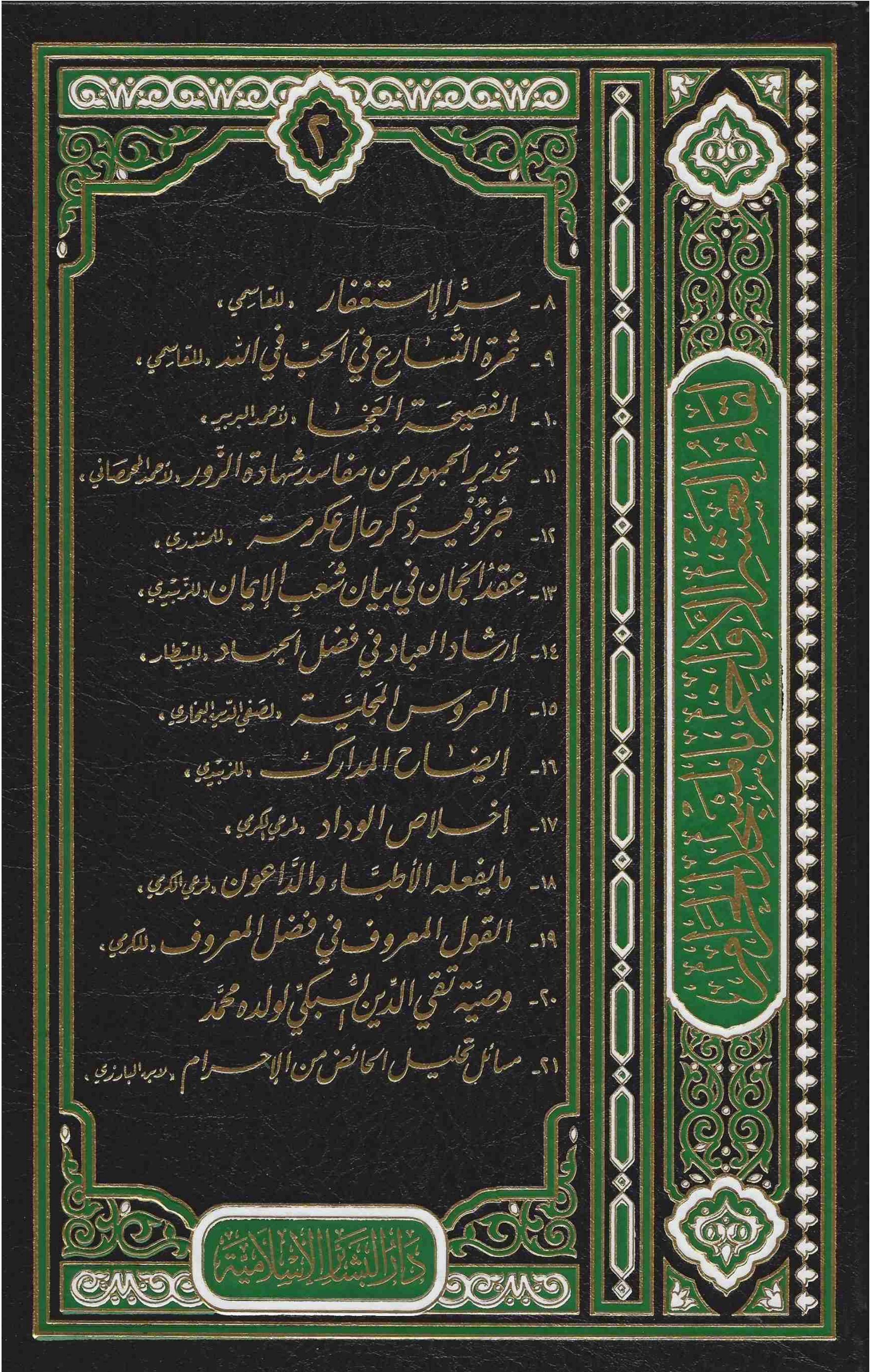

٢
٨- سر الاستغفار «للقاسمي»
٩- ثمرة التشارع في الحب في الله «للقاسمي»
١٠- الفصيحة العجما «لأحمد البربير»
١١- تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور «لأحمد المحصاني»
١٢- جزء فيه ذكر حال عكرمة «للمنذري»
١٣- عقد الجمان في بيان شعب الإيمان «للزبيدي»
١٤- إرشاد العباد في فضل الجهاد «للبيطار»
١٥- العروس المجلية «لصفي الدين البخاري»
١٦- إيضاح المدارك «للزبيدي»
١٧- إخلاص الوداد «لمرعي الكرمي»
١٨- ما يفعله الأطباء والداعون «لمرعي الكرمي»
١٩- القول المعروف في فضل المعروف «للكرمي»
٢٠- وصية تقي الدين السبكي لولده محمد
٢١- مسائل تحليل الحائض من الإحرام «لهبة الله البارزي»
دار البشائر الإسلامية

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٨ - ٩)

سر الاستغفار

عقب الصلوات

ويليه

ثمرة التسارع

إلى الحب في الله تعالى وترك التقاطع

تأليف

العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي
(١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)

تحقيق وتعليق
محمد بن ناصر العجمي

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير المجموعة الثانية

الحمد لله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على عباده الذين اصطفى، لا سيَّما سيِّدنا المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل العدل والإنصاف والوفا، ومن على إثرهم ــ إلى يوم الدِّين ــ اقتفى.

وبعد:

فقد يسَّر الله تعالى وله الفضل في موسم هذا العام (١٤٢٠هـ) التقاء الأحبَّة، وتجدَّدت مجالس الخير في رحاب بيت الله الحرام تجاه الكعبة المُشَرَّفة، وقد عَلَتْ هِمَمُ الإخوة ــ بحمد الله وتوفيقه ــ وزاد نشاطُهم فزادت رسائل هذا الموسم، وتضاعفت، وقد تلقَّى أهلُ العلم وطلبته المجموعة الأُولى من رسائل لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام بالقَبول والتِّرحاب والتَّشجيع، وطلب المزيد من ذلك؛ فالحمدُ للّٰه الذي بنعمته تتم الصَّالحات، وتتنزل البركات، وتزداد الخيرات.

وبفضل من الله تعالى وتوفيق منه عزَّ اسمه تمَّ هذا العام قراءة ومعارضة وإعداد الرَّسائل التالية:

١ ــ سِرُّ الاستغفار عقب الصَّلوات، للعلاَّمة جمال الدِّين القاسمي.

٢ ــ ثمرة التَّسارع إلى الحُبِّ في الله تعالى وترك التَّقاطع، للعلاَّمة القاسمي، كلاهما بتحقيق دُرَّة الكويت الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

٣ ــ الفصيحة العجما في الكلام على حديث: «أحبب حبيبك هوْنًا ما»، للشيخ أحمد البربير البيروتي، بعناية الأُستاذ المتفنن الشيخ رمزي بن سعد الدِّين دمشقية.

٤ ــ تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور، للشيخ أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي، بعناية الشيخ رمزي دمشقية.

٥ ــ جزءٌ فيه ذكر حال أبي عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس وما قيل فيه، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، بعناية راقم هذه السُّطور.

٦ ــ عِقْدُ الجُمانِ في بيان شُعبِ الإيمانِ، للسيِّد محمد مرتضى الزَّبيدي، بعناية كاتب هذه الكلمات.

٧ ــ إرشادُ العباد في فضل الجهاد، للعلاَّمة المُسْنِد الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار الدِّمشقي، بعناية الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

٨ ــ العروس المَجْلِيَّةُ في أسانيد الحديث المُسلسل بالأوَّلية، لصفيِّ الدِّين البخاري، بتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

٩ ــ إيضاح المَدَارك في الإفصاح عن العواتك، للسيِّد محمد مرتضى الزبيدي، بعناية الأستاذ المربي مساعد بن سالم العبد الجادر.

١٠ ــ إخلاص الوِدادِ في صِدْقِ الميعادِ، للعلاَّمة مرعي الكرمي الحنبلي، بعناية الشيخ الباحث خالد بن العربي مُدْرِك الحَسني.

١١ ــ ما يفعله الأطبَّاء والدَّاعون بدفع شرِّ الطاعون، للعلاَّمة مرعي الكرمي، بعناية الشيخ خالد بن العربي مُدرك الحسني المغربي.

١٢ ــ القول المعروف في فضل المعروف، للعلاَّمة مرعي الكرمي أيضًا، بعناية الشيخ محمد أبو بكر عبد الله باذيب اليماني.

١٣ ــ وصية تقي الدين السُّبكي، لولده محمد قاضي الرَّكب وناظره، بعناية مسطِّر هذه الكلمات.

١٣ ــ مسائل تحليل الحائض من الإحرام، للقاضي الإمام شرف الدين ابن البارزي، بعناية كاتب هذه السطور.

نسأل الله المزيد من فضله، والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

كما نسأله تعالى أن يجزي كلَّ مَنْ ساهم في هذا المشروع بقلمه ووقته وعلمه وماله خير الجزاء، وأن يكون في موازين حسناتهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

اللَّـٰهُمَّ يسِّر لنا العودة لأمثالها سنين مديدة ومرَّات عديدة، في أمن وإيمان، وسلامة وإسلام، وصحَّة وعافية، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

الفقير إلى الله تعالى

نظام محمد صالح يعقوبي

الجمعة ٢٣ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ

تجاه الكعبة المشرَّفة ببيت الله الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمُد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيِّد الخلق وحبيب الحق صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

أمَّا بعد:

فمواصلةً لرسائل لقاء العشر الأواخر في الرِّحاب الطَّاهرة بمكة المعظَّمة يأتي إخراج هذه الرسالة والتي تليها لعلاَّمة الشَّام الشيخ جمال الدِّين القاسمي رحمه اللَّه تعالى.

فالرسالة الأولى: في الاستغفار عقب الصلوات، وهي ردٌّ على من توهَّم أنه لا يجوز الاستغفار بعد الصلوات من غير دليل ولا برهان، وسياق جملة من الأحاديث الواردة في الاستغفار بعد الصلاة، وسرُّ الاستغفار عقب كثير من أعمال الطاعات والعبادات.

وأما الرسالة الثانية: فهي إيراد طائفة من الأحاديث النبوية العطرة والأقوال المصطفوية الشَّريفة في بيان فضل الحب في اللَّه والبغض فيه، وكراهة التقاطع والتَّشاحن والبغضاء بين المؤمنين.

وصف المخطوطات المعتَمَدة في ذلك:

الرسالتان كلاهما بخط المؤلِّف الفارسي الأنيق.

تقع الرسالة الأولى «**سرّ الاستغفار**» في خمس ورقات، وهي مسودة كما هو ظاهر من التشطيب على بعض السطور فيها، وعدد الأسطر فيها **٢٥** سطرًا، ولم يذكر متى انتهى منها.

أما الرسالة الثانية «**ثمرة التسارع**» فتقع في خمس ورقات أيضًا، وعدد الأسطر فيها **٢٣** سطرًا، وانتهى من هذه الرسالة في **١٩** شوَّال سنة **١٣١٣**هـ(١).

هذا وقد قمتُ بخدمتهما وتخريج ما فيهما من حديث.

اللَّـهُمَّ إنَّا نستغفرك ونتوب إليك، ونسألك صلاح أحوال المسلمين، وأن تجعل الأُلفة والمحبَّة بينهم دائمة، والحمد للَّه ربّ العالمين.



---

(١) وأصل الرسالتين محفوظ لدى الأُستاذ الأديب المفضال محمد سعيد القاسمي، حفيد العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي بدمشق المحروسة.

وقال الاستاذ الامام مفتي مصر حرس المولى وجوده[1] في تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام (ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم) تاب
بالمثناة كثاب بالمثلثة ومعناه رجع ويقال تاب العبد الى ربه اي رجع اليه لان اقتراف الذنب اعراض عن الله
اي عن طريق دينه وموجبات رضوانه ويقال تاب الله على العبد لان التوبة من الله تتضمن معنى الرحمة والعطف
لان الرحمة الالهية تنحرف عن المذنب باقترافه اسباب العقوبة فاذا تاب عادت اليه وعطف ربه عليه والتوبة
تختلف باختلاف درجات الناس فعبدك يتوب اليك من ترك ما امرته بفعله او فعل ما امرته بتركه وصديقك
يتوب اليك ويعتذر اذا هو قصر في عمل لك فيه فائدة عما في امكانه واستطاعته وولدك يتوب اذا قصر في ادب
من الآداب التي ترشده اليها ليكون في نفسه عزيزا كريما وكذلك تختلف توبات التائبين الى الله تعالى باختلاف درجاتهم
في معرفته وفهم اسرار شريعته فعامة المؤمنين لا يعرفون من موجبات سخط الله تعالى واسباب عقوبته الا المعاصي
التي شددت الشريعة في النهي عنها واذا تابوا من عمل سيء فانما يتوبون منها وخواص المؤمنين يعرفون ان لكل عمل سيء
لوثة في النفس تبعدها عن الكمال ولكل عمل صالح اشراقا فيها يقربها من الله وصفاته فالتقصير في الصالحات يعد عند هؤلاء
من الذنوب التي تهبط بالنفس وتبعدها عن الله تعالى فهي اذا قصرت فيها تتوب واذا شمرت لا تأمن النقائص
والعيوب ويختلف اتهام هؤلاء الابرار لانفسهم باختلاف معرفتهم بصفات النفس وما يعرض لها من الآفات
في سيرها ومعرفتهم بكمال الله جل جلاله ومعنى القرب منه واستحقاق رضوانه ولذلك قال بعض العارفين حسنات
الابرار سيئات المقربين ومن هنا تفهم معنى التوبة التي طلبها ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام اهـ

(١) من جزء ١٣ من المنار مجلد ٦

الورقة الأخيرة من «سر الاستغفار» بخط المصنف

السيد جمال الدِّين القَاسِمي

(١٢٨٢ ــ ١٣٣٢هـ)

لمعالي العلاَّمة الكبير محمد بك كرد علي

وزير معارف سورية السابق ورئيس المجمع العلمي العربي[(١)]

تَلِدُ الولَّاداتُ كُلَّ يومٍ أولادًا، وتطوي الأرض أُناسًا لا يحصي عددهم غير خالقهم، ولكن من يؤثرون الأَثَرَ فيذكرون في حياتهم وبعد مماتهم أقل من القليل وأقل منهم في أهل هذا الشرق التعس، وفي أهلِ الإسلام خاصَّةً؛ وذلك لأن العَالَمَ الإسلامي بعد أن هبت أعاصير الاختلافات في القرون الوسطى، وحاربت حكومات تلكَ الأيام رجالات المعقولات، وأحرارَ الأفكار ضعف مستوى العقول؛ لأنها لم يطلق لها العنان، وتقاصرت الهمم لأنها لم تجد منشطًا فقل جدًّا النَّابِغُونَ النَّابهون.

وما ننسَ لا نَنْسَ ما وقعَ لشيخِ الإسلامِ؛ بل عَالِمُ السُّنَّةِ، وإمامِ الأئمةِ، ومجددُ شَبابِ الحنيفيةِ السَّمْحاءِ تقي الدِّين ابن تَيمِيَّة فقد عُذِّبَ في القرن الثامن سنينَ كثيرةٍ في سجونِ القاهرة، والإسكندرية، ودمشق، وناله

(١) من مقدمة «لقطة العجلان» للزركشي شرح العلاَّمة القاسمي المطبوع في مكتب النشر العربي سنة ١٣٥٣هـ بدمشق، وقد صُدِّرت هذه الطبعة بترجمة محمد كرد علي للقاسمي.

من أذى أدعياء العلم في عصره حَسَدًا منهم لمكانته ما يُبْكي تَذكُّرُهُ المُقَلَ ويهون بعده كل اعتداء على العلماء ينالهم من أهل الحشو والجُمود.

ومن قرأ تاريخَ رجالنا في القرون الثَّلاثَةِ التالية أي في القرن الثامن والتاسع والعاشر أو القرون الثلاثة التي سبقتها أي الخامس والسادس والسابع يعرف أن كثيرين قضوا شهداء أفكارهم، وعُذِّبوا وأوذوا في سبيلها؛ لأنهم رأوا غير ما رآه العلماء الرسميون، ومن مَالأَهم من أرباب الزَّعاماتِ في أيامهم.

ومنذ اضطر مِثْلُ حُجَّةِ الإسلام أبي حامد الغزالي في القرن الخامس أن يَهْجُرَ العراق تخلصًا من حاسديه الذين لا يعدمون عندما تصبح إرادتهم حُجَّةً للاستعانة بالسلطة الزمنية للنيل مِمَّن أربى عليهم، وإيقافِ تيار أفكاره إلى عصر ابن تيمية الذي ناله ما ناله في مصر والشَّام حَتَّى قَضَى في سجنِ دمشق شهيد الإصلاح، إلى أن جاء القرن العاشر والذي يليه من القرون، وقد أصبحت العلوم رسميَّة والمدارس صُوريةً، والأوقاف المحبوسة على العلماء مأكولةً مهضومة.

منذ جرى كُلُّ هذا والأمة لا تكادُ تفرحُ لها بِعَالِم حقيقيٍّ يكسرُ قيودَ التَّقليد، ويقولُ بالأخذ من كُلِّ علمٍ، فَنَدَرَ النُّبوغُ؛ لأَنَّهُ نَدَرَ أن يلقى العالم ما يُنَشِّطُ عزيمته.

وكان قُصارى من تَسمو به الهمةُ إلى أخذ نفسه بمذاهب التَّعلم والتعليم أن يقتبسَ من كُتُب الفروع ما لا يخرج به عن مألوف معاصريه.

ومن حكَّم عقله في بعض المسائل كان اتهامه بأمانته من أيسر الأشياء، وطرده من حظيرة الحَظوة لدى العامَّة، ومن سَمَّوا أنفسهم بالخاصَّةِ من الأمور المتعارفة.

أما التضليل والتكفير والتبديع والتفسيق، فهذا لا يخلو منه عالم يريد أن يخرجَ بالنَّاس من الظُّلماتِ إلى النُّورِ.

ولكن إرادة المولى سبحانه قضت بأن لا تحرِمَ هذه الأُمة من أعلام يَصْدَعونَ بالحَقِّ؛ فَيُجددونَ لها أمر دينها، ويستَطيبونَ الأذى في إنارَةِ العُقولِ والرُّجوعِ بالشَّرعِ إلى الحَدِّ الذي رَسَمَهُ الشَّارِعُ وأصحابه، والتابعون، والأئمة الهادون المهديُّونَ.

● ومن هؤلاءِ المُجدِدينَ نابِغَةُ دمشق فقيدنا العزيز السَّيد جَمالُ الدِّينِ القَاسِمي الذي يعرِفُهُ قُراءُ هذه المجلة[1] بما نشرهُ في سِنيِّها الماضية من آثارِ عِلْمِهِ وأدبه، فقد قضى حياةً طَيبةً، ولم يعقهُ عن الاشتغالِ ما لقيه من تثبيطِ المُثَبِّطينَ في أول أمره، وتنغيصِ الحاسدينَ في أواسط عُمْرِهِ مِمَّن لا يخلو منهم مصر ولا عصر، خصوصًا في بلادٍ يستمد منها كل شيء من ولاة أمرها.

● نشأ السَّيد القاسمي في بيتِ فَضْلٍ وفضيلةٍ، وكان والدهُ وَجَدُّهُ من المعروفين بالأدب، ومكارمِ الأخلاق.

وهذا من النَّوادرِ في عصر لا يكبر رجاله في العيون إلَّا على مقدار عدهم في صفوف أهل الرَّسم، وفي دور قل أن يُنجبَ فيه ولدٌ لنجيبٍ فصم أو تصامَمَ منذ أوائل سِنِّ التَّحصيلِ عن كُلِّ ما يقف عثرةً في سبيل الطَّالِبِ، فكانَ منذ وعى على نفسه يعملُ على تهذيبها، ولا يكادُ يمضي عليه يوم لم يستفد منه فائدة، ولم يقيد شاردةً، فظهرت عليه مخايلُ النُّبُوغِ

(١) المقتبس: مج ٨ ج ٢.

ولمَّا يبلغِ العشرين، فما بالُكَ به وقد نيف على الأربعين وقارب أن يتم العقد الخمسين؟!

جِماعُ الأسباب التي نَجح بها فقيدنا طهارةُ نفسه من المطامع الأشعبية، وشغفه بالعلم للذته، ونفعه في إنارة القلوب، واعتقاد أنَّه منج في الدُّنيا والآخرة، فهو لم يجعل الدِّين سُلَّمًا إلى الدُّنيا وجسرًا مؤقتًا يجتاز عليه لحيازة مظهر خلاَّب، والتَّصدر في المجالس بمفاخر الهندام، وبرَّاق الثياب، **بل فرَّغ قلبه ووقته للعمل النافع فَبُورِكَ له بساعاتِ عمره القصير ويا للأسف!**

ولو عددنا ما كتبه من مصنفات وقسناه بالنسبة لهذا العصر الذي أضحت فيه بضاعة العلم مُزجاة بائرة لما قل عن اللِّحاق بالمكثيرين من التأليف في المتأخرين أمثال السُّيوطي، وابن السُّبكي، وأضرابهما مع ملاحظة ما بين العصور والبيئات من الفوارق.

● تذرَّع الفقيد بعامة ذرائع النفع لهذه الأُمة، فكان **إمامًا** في تآليفه الوفيرة، **إمامًا** في دروسه الكثيرة، **إمامًا** في محرابه ومنبره ومصلاه، رأسًا في مضاءِ العزيمة، **رأْسًا في العِفَّةِ، وهذه الصفة هي السِّرُّ الأَعظم الذي دار عليه محور نبوغه**، لأَنه لو صانع طمعًا في حطام الدُّنيا لما خرج عن صفوف أهل محيطه، ولكان عالمًا وسطًا، يشتغل بالتافهات ويعيش في تقية ويموت كذلك.

● كان أجزل الله ثوابه إذا لقيه المُماحك في أحد المجامع عرضًا أو غشيه في درسه وبيته ناقدًا أو ناقِمًا علَّمه من حيث لا يشعر، وهداهُ إلى المحبة بلين القول، فإذا أيقن أنَّه من المكابرين المموهين أعرض عنه وقال

سلامًا، ولذلك لم يلق ما لقيه أشداء العلماء والفلاسفة في العصور الماضية من الإرهاق والإعنات أمثال ابن حزم الأندلسي، والشِّهاب السهروردي، لأنَّه كان يتلطف في المُناظرة وإقناع المخالف فإذا رأى المناقش بمعزل عن الفهم سكت عنه.

نعم كان مثال التلطف في بث الفكر فلم يصك به ـ كما قيل ـ معارضه صك الجَنْدَلِ ويُنشقه متلقنه انتشاق الخَرْدَلِ.

● قام الأستاذ في دورٍ زهد النَّاس فيه في العلوم الدينية إلاَّ قليلاً، فأعاد إليها في هذه الدِّيار بنور عقله شيئًا من بهائها السابق، ولقد كان يجتمع به المُوافق والمُخالف فما كانا يصدران عنه إلاَّ معجبين بعقله مقرين بفضله معترفين بقصورٍ كثير حتى من المشاهير عن إدراك شأوه: **يخلب الألباب، ويستميلُ العقول، فكأنَّه خلق من معدن اللُّطف ورقَّةِ الشمائل.**

لم تجد الغلظة سبيلاً إلى قلبه، ولا الفظاظة أثرًا في كلامه وقلمه، ولا عجب إذا كثر في آخر أمره أنصاره، وعشقته النُّفوس فأكبرت الخطب فيه. جاء في الأثر: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلاَّ من كان فقيهًا فيما يأمر به فقيهًا فيما ينهى عنه رفيقًا فيما يأمر به رفيقًا فيما ينهى عنه حليمًا فيما يأمر به حليمًا فيما ينهى عنه.

دخل عبد اللطيف البغدادي فيلسوف الإسلام على القاضي الفاضل فقال: رأيت شيخًا ضئيلاً كله رأس وقلب، وهو يكتب ويُملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام، وكأنَّهُ يكتب بجملة أعضائه.

وهذا التَّعريفُ يصدقُ من أكثر وجوهه على الشَّيخ القَاسمي؛ فإنَّهُ

كان نحيلَ الجِسْمِ، كبيرَ الرُّوحِ، ولو تهيأ لجمال الدِّين مثلَ صلاح الدِّين لسرت أفكاره أكثر مِمَّا سَرَت، وراقت أسفاره أكثر مِمَّا وُفِّقَ إليه؛ ولكن إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ.

وقديمًا زكا غَرْسُ العلم في الشَّرْقِ في ظل الملوكِ والأُمراء، واليوم يزكو في الغرب في حمى الجامعات والمجامع والجمعيات، والعلم مذ كان محتاج إلى العلم.

● بَرَزَ الفقيدُ الرَّاحِلُ وأيّ تبريزٍ في علوم الشَّرع وما إليها، ولم يَفُتْهُ النَّظَرُ في علوم المدنية، فَأَلَمَّ بأَكثرها إلمامًا كافيًا؛ لتكونَ له عونًا على فهم أسرارِ الشَّريعة.

أَمَا وقد جمعَ الفضيلتين، فلا تَجِدُ لكلامه مسحةً من الجُمودِ المعهود لكثيرين ممن يقتصرونَ على العلم والعلمين، ويعدون ما عداهما لغوًا.

فهو عَالِمٌ دينيٌّ كَامِلٌ؛ ولكنه كان يقرأ العلوم المدنية، ويطالع صُحُفَها وَمَجَلَّاتِها، وكُتُبِها الحديثة كما يطالعها المنقطعون إلى هذه العلوم وزيادة، ولا ينكر شيئًا يقال له عِلْمٌ أو فن، ولذلك لم يَمُجَّهُ العصريون ولا غيرهم.

● ربما قال من لم يعرف أن هذا كلامُ صَدِيقٍ فُجِعَ بصديقٍ تسلسلت الصَّداقةُ بين بيتيهما منذ نحو ثمانين عامًا، وعينُ الحُبِّ رمداء، أما أنا فلا أُحِيلُ المعترض إلَّا على الرُّجوع إلى كُتُبِ الشَّيخ وقراءة بعض ما طبع منها، وتحكيم العَقْلِ والإنصاف، وأنا الضَّامِنُ بأَنَّهُ لا يلبثُ أن يُساهمني قولي ويُوقِنُ **بأن المرحوم جَوَّدَ تآليفه التي تَنُمُّ عن عقله وَعِلْمِه أكثرَ مِمَّا جَوَّدَها كثيرٌ من متأخري المؤلفين** من بعد عصر السُّيوطي، ممن شُهِدَ لهم بالإجادَةِ، ولو سَمحت له الحالُ أكثر مِمَّا سَمحت ومُتِّعَ بحرية

القول والعمل أكثر مِمَّا مُتِّعَ لجاء منه أضعاف ما جاء، ولكن ضيق العيش، وضيق المضطرب لا يرجى منهما أكثر مِمَّا تَمَّ على يد فقيدنا العظيم من الأعمال والآثار.

وقد أُغلقت دونه أبواب الدواعي والبواعث رحمه الله وبارك لنا فيمن خلَّفَ من مريديه ومعاصريه ومن ساروا بسيرته حتى لا نقع تحت مضمون الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جُهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلوا».

ولقد كتبنا في تأبين الشيخ غداة وفاته في جريدة الإصلاح ما نصه[1]: **لا تحضرني عبارة تُشْعِرُ بمبلغ الحُزنِ الذي نالَ دمشق بفقد مَنْ كان عالِمُها الكبير، وأُستاذُها العَامِل النِّحرير، فقد كان أحد أفراد هذا العصر المعدودين في التَّحقيق بأسرار الشريعة.**

وهو ولا مراء عَالِمٌ الكتاب والسُّنة بلا مدافِع، خُلِقَ ليعملَ على بث الدِّين المبين، خاليًا من حشو المتأخرين الجامدين، وتضليل المخرفين والمعطلين.

● لم يكد فقيدُنا العزيز يطرق هذه الموضوعات، ويهيبُ بالنَّاس **إلى الأخذ بمذاهب السَّلَفِ**، ويتلطفُ في إبلاغها العقولَ المظلمة في دروسه وتآليفه، حتى أخذ بعض أهل الجمود يغتابونه ويحذرون عوامهم بدون برهان من الأخذ عنه ولكن ظلمة تقليدهم ما لبثت أن انقشعت بنور

---

(١) لما توفي السيد جمال الدين، كانت مجلة «المقتبس» التي كتب فيها معالي الأستاذ كرد علي هذه الترجمة محتجبة فكتب عنه في جريدة الإصلاح التي كانت تصدر يومئذ هذه الكلمة التي أعاد نشرها في مجلته.

اجتهاده وتراجع أمر خصومه بعد قليل، وقد بَهَرَ النَّاس فضله وعلمه وأنشأوا بعد أن كانوا يزيفون أقواله في مجامعهم الخاصَّة والعامَّة يتبعون أقواله المدعومة بالسُّنة الصحيحة، ومذاهب الأئمة.

وأكبر دليل على ذلك ما شهدناه يوم مشهده الأخير من إجماع من كانوا خصومه أمس على إعظام الخطب فيه، والإقرار له بفضائل كانوا في حياته يغمطونه إيَّاها **ولكن المعاصرة حرمان.**

● رأيت رجالاً كثيرين من أهل الإسلام وغيرهم، وفي مصر والشَّام خاصة **فلم أرَ همَّة تفوق همَّة صديقي الرَّاحل، ولا نفسًا طويلاً على العمل ودؤوبًا عليه أكثر منه، ولا غَرامًا بالإفادة والاستفادة، ولا حُبًّا بالعلم للعلم، فقد قضى عن ٤٩ عامًا وخلَّف ما خلَّف من عشرات من مصنفاته الدينية العصرية النَّافعة** منها: «تفسيره» الذي لم يطبع، ومنها مقالاته الممتعة وأبحاثه المستوفاة، وأثر في عقول كثير من الطلبة تخرجوا به، وأخذوا أحكام الحلال والحرام عنه، دع دروس وعظه للعامة، وحلقات خاصَّته، **ومع كل هذا كان حتى الرَّمق الأخير أشبهُ بطالب يريد أن يجوز الامتحان لنيل شهادة العالمية.**

وكلما كان يُوغل في طلب المزيد من العلم والتحقيق تراه آسفًا على عدم إشباع أبحاثه حقها أحيانًا من النظر البليغ.

● رزق الصَّديق العلاَّمة صفاتٍ إذا جُمعَ بعضها لغيره عُدَّ قريعَ دهره، ووحيدَ عصره، **فقد كان طلق اللِّسان، طَلق المحيا، وافر المادة، وافر العقل، سريع الخاطر، سريع الكتابة، جميل العهد، جميل الود.**

وكان بلا جدال جمال الدين والدنيا، ما اجتمع به أحد إلاَّ وتمنى

لو طال بحديثه استمتاعه ليزيد في الأخذ عنه والتَّشَبُّع بفضائله والاغتراف من بحر علمه.

وبينا كنتَ ترى الأستاذ على قَدَمِ السَّلف الصالِح، عالمًا كبيرًا بين الفقهاء والأصوليين والمُحَدِّثِينَ والمفسرين إذا هو من الأفراد المُختصين بالأدب وما يتعلق به، وبينا تراه يؤلف ويطبع، إذا بك تراه يواظب على تدريس طلبته ووعظ المستمعين في درسه وخطبه، ومع كل هذه الأعمال التي قد يكون منها انقباض في صدر العامل تراه يهش ويبش كل ساعة، ويفسح من وقته شطرًا ليغشى مجلسه أوفياؤه وأخلاَّؤه وطلاّب الفوائد منه.

فهو علامة بين العلماء، منوَّر ممدن بين المنورين بنور المدنية الصحيحة. ذهبَ مثال الرجل الصالح، عفيف الطعمة، لم يسفِ إلى ما يسفِ إليه بعض من يتذوقون قليلاً من المعارف، وما أنكر إلاَّ المنكَر ولا أمر إلاَّ بالمعروف، ومن ضيق ذات يده كان يتصدق في السِّرِّ، ولا يخلو ساعة من عبادة وذكر، وما فقْده جَلَلٌ على دمشق بل على الشَّام بل على أهل الإسلام، وشهرته التي نالها في العالم الإسلامي في هذه السِّن من الكهولة هي مما استحقه أو أقل مما يستحقه، لأنه حقيقةً العالم العامل الذي يُحبب الدِّين حتى لمن لم يتدين حياته.

فاللَّهُمَّ عوِّض المسلمين عن هذه الدرة اليتيمة التي أصيبوا بها وارحمه عداد حسناته، وارزقنا الصبر عليه، وجميع أسرته ومريديه وأحبابه الذين فجعوا به؟

مُحَمَّد كُرْد عَلي

مؤلفاته

وأما مؤلفاته فقد بلغت أكثر من مائة كتاب، وهذا ذكر المطبوع منها:

١ ــ **الأجوبة المرضية عما أورده كمال الدين ابن الهمام على المستدلين بثبوت سنَّة المغرب القبلية**. ط ١ مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣٢٦هـ.

٢ ــ **إرشاد الخلق للعمل بخبر البرق**. ط ١ مطبعة المقتبس، دمشق ١٣٢٩هـ.

٣ ــ **الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس**. أتمَّ تأليفه في جمادى الأولى عام ١٣٣٢هـ، ط ١ دمشق ١٣٣٢هـ.

٤ ــ **الإسراء والمعراج**. ط دمشق ١٣٣١هـ.

٥ ــ **إصلاح المساجد، من البدع والعوائد**. ط ١ المكتبة السلفية، مصر ١٣٤١هـ.

٦ ــ **إقامة الحجة على المصلي جماعة قبل الإمام الراتب وأقوال سائر أئمة المذاهب**. ط ١ مطبعة الصداقة دمشق ١٣٤٢هـ.

٧ ــ **أوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي في تنفيذ بعض العقود على مذهب الشافعية وغيرهم**. ط ١ مطبعة الترقي دمشق.

٨ ــ **الأوراد المأثورة**. ط ١ بيروت ١٣٢٠هـ.

٩ ــ **تاريخ الجهمية والمعتزلة**. نشر أولاً بمقالات متسلسلة في المجلد السادس من مجلة المنار ثُمَّ جرد في كتاب مستقل. ط ١ صيدا ١٣٢٠هـ، ط ٢ مطبعة المنار، مصر ١٣٣١هـ.

١٠ ـــ **تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب**. ط ١ مطبعة والدة عباس، مصر ١٣٢٦هـ.

١١ ـــ **تنوير اللب في معرفة القلب**. مقالة كتبها في ٢٧ ربيع الثاني ١٣١٥هـ ونشرت في العدد الثاني والستين من جريدة الشام، دمشق، في ٣ صفحات.

١٢ ـــ **جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل**. مقالة في مجلة المنار نشرت عام ١٣٢٥هـ.

١٣ ـــ **جوامع الآداب، في أخلاق الأنجاب**. ط ١ مطبعة السعادة، مصر ١٣٣٩هـ.

١٤ ـــ **حياة البخاري**. ط ١ مطبعة العرفان صيدا ١٣٣٠هـ.

١٥ ـــ **خطب أو مجموعة خطب**. ط ١ دمشق ١٣٢٥هـ.

١٦ ـــ **دلائل التوحيد**. ط ١ مطبعة المقتبس، دمشق ١٣٢٦هـ.

١٧ ـــ **الشاي والقهوة والدخان**. ط ١ دمشق ١٣٢٢هـ.

١٨ ـــ **الشذرة البهية في حل ألغاز نحوية وأدبية**. دمشق ١٣٢٢هـ.

١٩ ـــ **شذرة من السيرة المحمدية**. ط ١ مطبعة المنار مصر ١٣٢١هـ.

٢٠ ـــ **شرح أربع رسائل في الأصول**. الأولى في أصول الشافعية لابن فورك، والثانية لابن عربي، والثالثة في المصالح للنجم الطوفي، والرابعة للسيوطي من كتاب النقاية. ط ١ بيروت ١٣٢٤هـ.

٢١ ـــ **شرح لقطة العجلان**. الأصل ـ أي: لقطة العجلان ـ من

تأليف الإمام بدر الدِّين الزركشي. جمع فيه أربعة علوم: الأصول والمنطق والحكمة والكلام، وأتمه في منتصف ربيع الأول سنة ١٣٢٥هـ. ط القاهرة ١٣٢٦هـ.

٢٢ ــ **شرف الأسباط**. ط ١ مطبعة الترقي، دمشق.

٢٣ ــ **الطائر الميمون في حل لغز الكنز المدفون**. ط ١ مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣١٦هـ.

٢٤ ــ **فتاوى مهمة في الشريعة الإسلامية**. ط ١ مطبعة المنار، مصر ١٣٣٦هـ.

٢٥ ــ **الفتوى في الإسلام**. ط ١ في دمشق ١٣٢٩هـ.

٢٦ ــ **الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين**. ط ١ دار النفائس، بيروت ١٩٨٦ بتحقيق عاصم البيطار.

٢٧ ــ **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**. ط ١ مكتب النشر العربي، دمشق ١٩٣٥م.

٢٨ ــ **محاسن التأويل (تفسير القاسمي) في ١٧ جزءًا**. ط ١ دار إحياء الكتب العربية، مصر من سنة ١٣٧٦ إلى سنة ١٣٨٠هـ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٩ ــ **مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن**. ط ١ مطبعة المقتبس، دمشق ١٣٢٨هـ.

٣٠ ــ **المسح على الجوربين**. رسالة ألَّفها في مجالس آخرها ربيع الثاني ١٣٣٢هـ. ط ١ مطبعة الترقي، دمشق ١٣٣٢ بتحقيق قاسم

خير الدِّين القاسمي، ط ٢ مصر ١٣٧٧ بتحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٣ المكتب الإسلامي، عمان وبيروت بتحقيق أحمد محمد شاكر.

٣١ ــ **منتخب التوسلات**. وهو متمم لكتابه الأوراد المأثورة جمعه عام ١٣١٥، وأراد به إلى الابتعاد عن الأدعية الخرافية التي تتداولها العامة.

٣٢ ــ **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**. ط ١ مصر ١٣٣١هـ، ط ٢ بيروت ١٩٨٠م بتحقيق عاصم البيطار.

٣٣ ــ **ميزان الجرح والتعديل**. ط ١ مصر، مطبعة المنار ١٣٣٠هـ.

٣٤ ــ **النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في علم التجويد**. ط ١ دمشق ١٣٢٣هـ.

٣٥ ــ **نقد النصائح الكافية**. ط ١ مطبعة الفيحاء، دمشق ١٣٢٨هـ.

❊ ❊ ❊

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٨)



عقب الصلوات

تأليف

العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

(١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه ربّ العالمين، وصلّى اللّٰه على سيّدنا محمد وآله أجمعين.

أمّا بعد:

فهذه رسالة في «**سرّ الاستغفار عقب الصلوات**» حداني إلى جمعها أنَّ بعض الطَلَبة نقل عن بعض الفقهاء أنَّه قال: لا يجوز للمصلِّي أن يقول بعد الفراغ من الصلاة «أستغفرُ اللّٰه» لأنَّ اللّٰه سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾. انتهى.

فقلت: أطبق المحدِّثون على رواية الاستغفار بعد الصلاة عن النبي ﷺ، واتفق الأئمة على ندب ذلك بلا نكير. ولا مساغ لردّ الأحاديث الواردة في ذلك عن معناها انتصارًا للرأي؛ لدلالتها القطعيَّة على ما أرشدت إليه، دلالة يفهمها العَرَبي والعَجَميّ، والبليغ والغبي؛ لظهورها نصًّا، ومجيئها على شرط الصحيح. والأعجب من هذا استدلاله بالآية على عدم الجواز مع أن الذي أُنزلت عليه ﷺ هو الَّذي سَنَّ الاستغفار بعد الصلوات قولاً وفعلاً.

وهاك بيان الأحاديث التي رواها أئمة السنن في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم:

* قال الإمام مسلم في «صحيحه» في باب «استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته»:

حدَّثنا داود بن رُشَيْد قال: حدَّثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن أبي عمار ـ اسمه شدَّادُ بن عبد اللّه ـ، عن أبي أَسْماء، عن ثوبان قال: «كان رسول اللّه ﷺ إذا انْصَرَفَ مِن صَلاَتِهِ استغفر ثلاثًا. وقال: «اللّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ وِالإِكْرَام».

قال الوليد: فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟

قال: تقول: أَستغْفِرُ الله، أَستغْفِرُ الله[1].

* وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن زاذان، قال: حدَّثني رجل من الأنصار، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول في دُبر الصَّلاة: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُور ـ مائة مرَّة»[2].

* وروى عبد الرزاق عن معاذ بن جبل: من قال بعد كُلِّ صلاة: أستغفرُ اللّه الذي لا إله إلاَّ هو الحيّ القيوم وأتوب إليه ـ ثلاث مرَّات؛ كَفَّرَ اللّه عنه ذُنوبه، وإن كان فرارًا من الزَّحْفِ[3].

* وروى ابن السنِّي وابن النجَّار عن معاذ مرفوعًا: «من قال بعد الفجر ثلاث مرَّات، وبعد العصر ثلاث مرَّات: أستغفرُ اللّه الذي لا إله

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤١٤) من حديث ثوبان، وكذلك من حديث عائشة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٣٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣ ـ ١٠٦) وإسناده كما قال المؤلف: صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزَّاق في «المصنف» (٢/ ٢٣٦) إلاَّ أنَّ في إسناده رجلاً لم يُسَمّ.

إلَّا هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ كُفِّرت عنه ذُنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر»[١].

* وروى الديلمي عن أبـي هريرة مرفوعًا: «من استغفر اللّٰه عزَّ وجل سبعين مرة في دبر كل صلاة؛ غُفر له ما اكتسب من الذنوب»[٢].

* وروى الخطيب مرفوعًا: «أيُّ عَبْدٍ صلَّى الفريضة ثُمَّ استغفر اللّٰه عشر مرَّاتٍ؛ لم يقم من مقامه حتى يُغفر له ذنوبه»[٣].

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية للمنصف.

ولا يخفى على الخبير، أن من سبر كثيرًا من جزئيات الطاعات، يرى أن الحق سبحانه وتعالى شَرَع التوبة والاستغفار في خواتيم أعمالها، فشرعها في خاتمة الحج، وقيام اللَّيل، وأَمَر تعالى رسوله بالاستغفار عقب توفِيَتِه ما عليه من تبليغ الرسالة، والجهاد في سبيله حين دخل الناس في دينه أفواجًا؛ فكان التبليغ عبادة قد أكملها وأدَّاها فشرع له الاستغفار عقيبها.

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٢٦) وإسناده ضعيف؛ فيه محمد بن سليمان الباغندي متكلَّم فيه، ومحمد بن جامع وعكرمة بن إبراهيم وكلاهما ضعيف كما في «الميزان» (٣/ ٨٩، ٤٩٨).

(٢) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» كما في «إتحاف السَّادة المتَّقين» للزبيدي (٨/ ٦٠٢)، والعزو إلى الديلمي مظنة للأحاديث الضعيفة كما نصَّ على ذلك بعض أهل العلم.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٢٤) من حديث ابن عباس، وقال بعد سياقه: «منكر جدًّا»؛ وذلك أنَّ فيه القاسم بن عمر الأنصاري، ليس حديثه بشيء، منكر الحديث. «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٤٦٣).

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾:

كثيرًا ما يأمر اللّه بذكره بعد قضاء العبادات؛ ولهذا ثبت في «صحيح مسلم»: أنَّ رسول اللّه ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر اللّه ثلاثًا[1].

وقال ابن القيم في كتابه «طريق الهجرتين» في بحث ترتيب عبادة الصالحين حين دخول وقت الصلاة ما نصَّه:

«فإذا جاء وقت الفرض بادر إليه مكملاً له، ناصحًا فيه لمعبوده، كنصح المحبِّ الصادقِ المحبةِ لمحبوبه الذي قد طلب منه أن يعمل له شيئًا ما؛ فهو لا يُبقي مجهودًا، بل يبذل مقدوره كله في تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله؛ ليقع موقعًا من محبوبه؛ فينال به رضاه عنه وقربه منه.

أفلا يستحي العبد من ربه ومولاه ومعبوده أن لا يكون عمله هكذا؟ وهو يرى المُحِبِّين في إشغال محبوبهم من الخلق كيف يجتهدون في إيقاعها على أحسن وجه وأكمله، بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق، فلا أقل من أن يكون مع ربه بهذه المنزلة. ومن أنصف نفسه وعرف أعماله؛ استحى من اللّه أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه، وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئًا إلاَّ فعله.

وبالجملة: فهذا حال هذا العبد مع ربه في جميع أعماله، فهو يعلم أنَّه لا يوفِّي هذا المقام حقه؛ فهو أبدًا يستغفر اللّه عقيب كل عمل.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٤٢، ٢٤٣، ط الحلبي).

وكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر اللّٰه ثلاثًا.

وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، فأخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل. قال الحسن: مدّوا الصلاة إلى السحر ثُمَّ جلسوا يستغفرون ربهم.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾، فأمر سبحانه بالاستغفار بعد الوقوف بعرفة والمزدلفة.

وشرع للمتوضِّىء أن يقول بعد وضوئه: «اللّٰهُمَّ اجعلني من التَّوَّابين واجعلني من المُتَطَهِّرين»[1].

فهذه توبة بعد الوضوء، وتوبة بعد الحَجِّ، وتوبة بعد الصلاة، وتوبة بعد قيام الليل؛ فصاحب هذا المقام مضطر إلى التوبة والاستغفار كما تبين، فهو لا يزال مُستغفرًا تائبًا، وكلَّما كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره». انتهى[2].

وقال رحمه اللّٰه تعالى أيضًا بعد ذلك بكراريس: «فإن قيل: فما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخافة، وشدة خوف النبي ﷺ مع علمه بأن اللّٰه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأنَّه أقرب الخلق إلى اللّٰه؟!

---

(١) أخرجه الترمذي (٥٥) من حديث عمر بن الخطاب بإسناد صحيح.

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن قيِّم الجوزية (ص٢٢٠، ط دار البيان بدمشق).

قيل: عن هذا أربعة أجوبه:

الجواب الأول: أن هذا الخوف على حسب القرب من اللّه والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى اللّه كان خوفه منه أشد؛ لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره، ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره. ونظير هذا في المشاهد: أنَّ الماثل بين يدي أحد الملوك المشاهد له أشد خوفًا منه من البعيد عنه؛ بحسب قربه منه ومنزلته عنده ومعرفته به وبحقوقه، وأنه يطالب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يطالب به غيره؛ فهو أحقّ بالخوف من البعيد.

ومَنْ تَصَوَّرَ هذا حقّ تصوره فهم قوله ﷺ: «إِنِّي أَعْلَمُكم باللّه وَأَشَدُّكُم لَه خَشية»[1].

وفهم قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره، من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إنَّ اللّهَ تعالى لو عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وهو غَيْرُ ظالمٍ لهم، ولَوْ رَحِمَهُمْ كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم»[2].

وليس المراد به لو عذَّبهم تصرف في ملكه ـ والمتصرف في ملكه غير ظالم ـ كما يظنّه كثير من الناس؛ فإن هذا يتضَّمن مدحًا والحديث إنَّما سِيق للمدح وبيان عظم حق اللّه على عباده، وأنه لو عذَّبهم لعذَّبهم بحقه عليهم ولم يكن بغير استحقاق، فإن حقَّه سبحانه عليهم أضعاف ما أتوا؛ ولهذا قال بعده: «ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم»،

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥١٣)، ومسلم (٤/ ١٨٢٩) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٥، ١٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٢٤٥)، وابن حبان (٧٢٧ ـ الإحسان)، وهو حديث صحيح.

يعني: أن رحمته لهم ليست على قدر أعمالهم؛ إذ أعمالهم لا تستقل باقتضاء الرحمة، وحقوق عبوديّته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها؛ فلو عذبهم والحالة هذه لكان تعذيبًا لحقه وهو غير ظالم لهم فيه، ولا سيما فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم؛ فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم، فإذا عذبهم على ترك شكرهم وأداء حقه الذي ينبغي له سبحانه عذبهم ولم يكن ظالمًا لهم.

فإن قيل: فهم إذا فعلوا مقدورهم من شكره وعبوديته لم يكن ما عداه ممَّا ينبغي له مقدورًا لهم، فكيف يحسن العذاب عليه؟.

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ المقدور للعبد لا يأتي به كله، بل لا بد من فتور وإعراض وغفلة وتوانٍ، وأيضًا ففي نفس قيامه بالعبودية لا يوفيها حقها الواجب لها، من كمال المراقبة والإجلال والتعظيم والنصيحة التامَّة للَّه فيها، بحيث يبذل مقدوره كله في تحسينها وتكميلها ظاهرًا وباطنًا، فالتقصير لازم في حال الترك وفي حال الفعل.

ولهذا سأل الصديقُ النبي ﷺ دعاء يدعو به في صلاته، قال له: «قُل: اللَّـهُمَّ إنِّي ظلمتُ نَفْسي ظُلمًا كثيرًا ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنت؛ فاغْفِر لي مَغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ وارْحَمْنِي، إنَّكَ أَنْتَ الغفورُ الرحيم»[1]، فأخبر عن ظلمه لنفسه، مؤكدًا له «بأنَّ» المقتضيةِ ثبوتَ الخبر وتحقُّقَه، ثُمَّ أكده بالمصدر النافي للتجوُّز والاستعارة، ثُمَّ وصفه بالكثرة المقتضية لتعدده وتكثره، ثُمَّ قال: «فاغفر لي مغفرة من عندك» أي: لا ينالها عملي ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣١٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

سعيـي؛ بل عملي يقصر عنها، وإنما هي من فضلك وإحسانك لا بكسبـي ولا باستغفاري وتوبتي. ثُمَّ قال: «وارحمني» أي: ليس معولي إلاَّ على مجرد رحمتك، فإن رحمتني وإلاَّ فالهلاك لازم لي.

فليتدبَّر اللبيب هذا الدعاء وما فيه من المعارف والعبودية، وفي ضمنه: أنه لو عذبتني لعدلت فيَّ ولم تظلمني، وإنِّي لا أنجو إلاَّ برحمتك ومغفرتك، ومن هذا قوله ﷺ: «لَنْ يُنْجِي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه؟ قال: «ولا أنا، إلاَّ أن يَتَغَمَّدَني اللّه بِرَحمةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»[1].

فإذا كان عمل العبد لا يستقل بالنجاة، فلو لم ينجه اللّه لم يكن قد بخسه شيئًا من حقه ولا ظلمه؛ فإنه ليس معه ما يقتضي نجاتَه، وعملُه ليس وافيًا بشكر القليل من نعمه. فهل يكون ظالمًا له لو عذَّبه؟ وهل تكون رحمته له جزاء لعمله؟ ويكون العمل ثمنًا لها، مع تقصيره فيه وعدم توفيته ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه، وكمال العبودية من الحياء، والمراقبة، والمحبة، والخشوع، وحضور القلب بين يدي اللّه في العمل له؟ ومن علم هذا علم السر في كون إعمال الطاعات تختم بالاستغفار».

ثُمَّ ساق نحو ما تقدَّم له، وقال بعدُ: «فهذا ونحوه مما يبيِّن حقيقة الأمر وأنَّ كل أحد محتاج إلى مغفرة اللّه ورحمته، وأنه لا سبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلاً».

ومن أراد تمام الأجوبة فعليه بالكتاب المذكور، ضاعف اللّه لمؤلفه الأجور[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٦٩).

(٢) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤).

وقال الأستاذ الإمام مفتي مصر[1] حرس المولى وجوده في تفسير قوله تعالى ــ حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ــ : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٨][2]. تاب ــ بالمثناة كثاب بالمثلثة، ومعناه ــ : رجع. ويقال: تاب العبد إلى ربه، أي: رجع إليه؛ لأن اقتراف الذنب إعراض عن اللَّه، أي: عن طريق دينه وموجبات رضوانه. ويقال: تاب اللَّه على العبد؛ لأن التوبة من اللَّه تتضمن معنى الرحمة والعطف، كأن الرحمة الإلهية تنحرف عن المذنب باقترافه أسباب العقوبة، فإذا تاب عادت إليه وعطف ربه عليه.

والتوبة تختلف باختلاف درجات الناس، فعبدك يتوب إليك من ترك ما أمرته بفعله أو فعل ما أمرته بتركه. وصديقك يتوب إليك ويعتذر؛ إذا هو قصَّر في عمل لك فيه فائدة عما في إمكانه واستطاعته. وولدك يتوب إذا قصَّر في أدب من الآداب التي ترشده إليها؛ ليكون في نفسه عزيزًا كريمًا.

وكذلك تختلف توبات التائبين إلى اللَّه تعالى باختلاف درجاتهم في معرفته وفهم أسرار شريعته.

فعامة المؤمنين لا يعرفون من موجبات سخط اللَّه تعالى وأسباب عقوبته إلاَّ المعاصي التي شددت الشريعة في النهي عنها، وإذا تابوا من عمل سيِّىء فإنَّما يتوبون منها.

وخواص المؤمنين يعرفون أن لكل عمل سيِّىء لوثةً في النفس تبعد

(١) المقصود به الشيخ محمد عبده المصري.

(٢) من الجزء ١٣ من «المنار»، مجلد ٦.

بها عن الكمال، ولكل عمل صالح أثرًا فيها يقربها من اللّه وصفاته. فالتقصير في الصالحات يعد عند هؤلاء من الذنوب التي تهبط بالنفس وتبعدها عن اللّه تعالى؛ فهي إذا قصَّرت فيها تتوب، وإذا شمَّرت لا تأمن النقائص والعيوب، ويختلف اتهام هؤلاء الأبرار لأنفسهم باختلاف معرفتهم بصفات النفس وما يعرض لها من الآفات في سيرها، ومعرفتهم بكمال اللّه جل جلاله ومعنى القرب منه واستحقاق رضوانه؛ ولذلك قال بعض العارفين: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

ومن هنا تفهم معنى التوبة التي طلبها إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والتسليم. اهـ.

* * *

* فرغتُ من مقابلته بأصله المخطوط بخط مصنّفه عند أذان العشاء من ليلة الجمعة ٢٣ من رمضان المبارك سنة ١٤٢٠هـ، وذلك بقراءة الأخ الشيخ رمزي دمشقية وحضور جمع من الإخوة الأعلام والفضلاء الكرام: الشيخ نظام يعقوبي، وسعادة الدكتور عبد اللّه المحارب، والشيخ مساعد العبد القادر، في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرَّفة زادها اللّه تشريفًا وتعظيمًا، والحمد للّه ربّ العالمين.

فقير عفو ربّه

محمد بن ناصر العجمي

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٩)

ثَمَرَةُ التَّسَارُعِ
إِلَى الحُبِّ فِي اللهِ تَعَالَى وَتَرْكِ التَّقَاطُعِ

تأليف
العلّامة الشّيخ محمّد جمال الدّين القاسميّ الدّمشقيّ
(١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)

تحقيق وتعليق
مُحَمَّد بن نَاصِر العَجمِي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله
اجمعين وبعد فهذه رسالة سميتها [illegible]
ثمرة التسارع الى الحب في الله تعالى وترك التقاطع ذكرت
فيها شذرة مما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
فمما ورد في الحب في الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول
يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل
الا ظلي رواه مسلم عن ابي هريرة وعنه صلى الله عليه وسلم ان
رجلا زار اخا له في قرية اخرى فارصد الله له على مدرجته
ملكا قال اين تريد قال اريد اخا لي في هذه القرية قال هل
لك عليه من نعمة تربها قال لا غير اني احببته في الله قال
فاني رسول الله اليك بان الله قد احبك كما احببته فيه
رواه مسلم عن ابي هريرة وعن انس ان رجلا قال يا رسول
الله متى الساعة قال ويلك وما اعددت لها قال ما اعددت
لها الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال
انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم
بها رواه البخاري ومسلم وعن معاذ بن جبل قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت محبتي
للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين
في رواه مالك وفي رواية الترمذي قال يقول الله تعالى
المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون
والشهداء وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم
الانبياء

الورقة الأولى من «ثمرة التسارع» بخط المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين، **وبعد**:

فهذه رسالة سمَّيتها: «**ثَمَرةُ التَّسارع إلى الحب في اللّٰه تعالى وترك التقاطع**» ذكرت فيها شذرة ممَّا ورد في ذلك عن النبي ﷺ.

فممَّا وَرَدَ في الحُبِّ في اللّٰه تعالى: قوله ﷺ: «إِنَّ اللّٰهَ يقولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحابُّونَ بِجَلَالِي، اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». رواه مسلم عن أبي هريرة[١].

وعنه ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زارَ أَخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أُخرى، فَأَرْصَدَ[٢] اللّٰه لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ[٣] مَلَكًا، قَال: أَيْنَ تُرِيد؟ قَال: أُرِيدُ أَخًا لِي في هٰذِهِ الْقَرْيَةِ. قَال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تربُّها[٤]؟ قَال: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللّٰهِ.

---

(١) (٤/١٩٨٨).

(٢) (فأرصد) أي أقعده يرقبه.

(٣) (على مدرجته) المدرجة هي الطريق، سُمِّيت بذلك لأنَّ الناس يدرجون عليها، أي يمضون ويمشون.

(٤) (تَربُّها) أي تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك. من «شرح صحيح مسلم».

قَال: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّـهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». رواه مسلم عن أبـي هريرة[1].

وَعَنْ أَنَس أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُول اللَّـه، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَال: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»، قَال: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ. قَال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَس: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيء بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحَهُم بِهَا. رواه البخاري ومسلم[2].

وَعَن مُعَاذ بن جبل قَال: سمعت رَسُول اللَّـه ﷺ يقول: «قال اللَّـه تعالى: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، والمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، والمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، والمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» ». رواه مالك[3].

وفي رواية التِّرمذي[4]: «قَال: يَقُولُ اللَّـه تَعَالى: المُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِن نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ».

وَعَن عمر قَال: قَال رَسُول اللَّـهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّـهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ والشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّـه»، قَالُوا: يَا رَسُول اللَّـهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرَوحِ اللَّـهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّـهِ إِنَّ

---

(١) (٤/ ١٩٨٨).

(٢) البخاري (٧/ ٤٢، ١٠/ ٥٥٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٢).

(٣) في «الموطإ» (٢/ ٩٥٣، ٩٥٤)، وأحمد (٥/ ٢٣٣)، وابن حبان (٥٧٥)، والحاكم (٤/ ١٦٨)، وصحَّحه الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣/ ٦٠٦).

(٤) (٢٣٩٠) وقال: «حسن صحيح»، وهو كما قال.

وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزنون إِذَا حَزِنَ النَّاسَ»، وقَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]. رواه أبو داود[١].

وَعَن ابنِ عبَّاس قَال: قَال رَسُول اللَّـهِ ﷺ لأبـي ذرٍّ: «يَا أَبَا ذَرّ، أَيُّ عُرَى الإِيمانِ أَوْثَق؟»، قَالَ: اللَّـه وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «المُوَالاَةُ فِي اللَّـهِ، والحُبُّ فِي اللَّـهِ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان»[٢].

وَعَن أَبـي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبـيَّ ﷺ قَال: «إِذَا عَادَ المُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ، قَال اللَّـه تعالى: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّة مَنْزِلاً». رواه الترمذي[٣].

---

(١) في «سننه» (٣٥٢٧)، وفي إسناده انقطاع، إلاَّ أنَّه حسن بشواهده التي منها: حديث أبـي هريرة عند ابن حبان (٥٧٣)، وحديث أبـي مالك الأشعري عند أحمد (٥/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠٦٨)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٣/ ٥٣) وإسناده ضعيف جدًّا؛ فيه الحسين بن قيس الرحبـي، متروك الحديث، إلاَّ أنَّ أصل الحديث حسن بشواهده التي منها: حديث البراء بن عازب، الذي أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، وابن أبـي شيبة في «الإيمان» (١١٠)، وإسناده ضعيف. ومرسل عمرو بن مرَّة: أخرجه وكيع بن الجرَّاح في «الزُّهد» (٣٢٩)، فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) في «سننه» (٢٠٠٨)، وأحمد (٢/ ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد»(٣٤٥)، وقال الترمذي: «حديثٌ حسن»، وهو كما قال بشاهد له عند أبـي يعلى في «مسنده» (٤١٣٩)، وأبـي نُعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٧) من حديث أنس. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٣): «رجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان، وهو ثقة».

وَعَنِ المِقْدَام بن مَعْدِي كرب عن النَّبِـيِّ ﷺ قَال: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبّه». رواه أبو داود والترمذي[1].

وَعَن أَنَس قَال: مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِـيِّ ﷺ وَعِنْده نَاسٌ، فَقَال رَجُلٌ مِمَّنْ عِنْدَه: إِنِّي لأُحِبُّ هٰذَا للَّـهِ؛ فَقَال النَّبِـيّ ﷺ: «أَعْلَمْتَه؟»، قَال: لاَ، قَال: «قُمْ إِلَيْهِ فَأَعْلِمْهُ»، فقَامَ إِلَيْه فَأَعْلَمَهُ، فَقَال: أَحَبَّكَ الَّذي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، قَال: ثُمَّ رَجَعَ، فَسَأَلَهُ النَّبِـيّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَال، فقَال النَّبِـيّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ». رواه البيهقي في «الشعب»، وللترمذي نحوه[2].

وَعَن أَبِـي سَعِيدٍ الخدري أنَّه سَمِـعَ النَّبِـيّ ﷺ يَقُول: «لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ». رواه الترمذي، وأبو داود والدَّارمي[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٢)، وأبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٤/ ٢٨٤ من تحفة الأحوذي، ط الهند، وقد سقط من طبعة إبراهيم عطوة)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزَّاق في «المصنف» (٢٠٣١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٩٦)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٣/ ٦٦، ٦٧)، وإسناده جيِّد.
وأما رواية الترمذي فإنه أخرجها في «سننه» (٢٣٨٦)، ولفظها: «المرءُ مَع مَنْ أَحَبَّ، وله ما اكْتَسَبَ».
وإسنادها ضعيف؛ فيها أبو هشام الرفاعي محمد بن يزيد، شيخ الترمذي، ليس بالقوي كما في «التقريب»، والحسن البصري لم يصرح بسماعه من أنس، فتبقى لفظة: «وله ما اكتسب» ضعيفة، ومما يدل على ضعفها أنَّ الإمام أحمد أخرج هذا الحديث في «مسنده» (٢/ ٢٢٦، ٢٨٣) بسند جيِّد من حديث أنس هذا وفيه: «ولك مَا احْتَسَبْتَ».

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢/ ١٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٣٧)، وإسناده حسن.

وَعَـن أَبِـي هُـرَيْـرَةَ قَـال: قَـال رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «الْمَـرْءُ عَلَـى دِيـنِ خَلِيلِـهِ، فَلْيَنْظُـرْ أَحَـدُكُـمْ مَـنْ يُخَـالِـلُ». رواه الإمـام أحمـد، والتـرمـذي، وأبو داود، والبيهقي[1].

وَعَن يَزِيد بن نعامة قَال: قَال رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِذَا آخَىٰ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلمَوَدَّةِ». رواه الترمذي[2].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ عَبْدَيْنِ تَحَابَّا فِي اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاحِدٌ فِي المَشْرِقِ وَآخَرُ فِي الْمَغْرِب؛ لَجَمَعَ اللَّـه بَيْنَهُمَا يَوْمِ القِيَامَةِ، يَقُول: هٰذَا الَّذِي كُنْتَ تُحِبُّهُ فِيّ»[3].

وَعَن أَبِـي رَزِين، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَلَاكِ هٰذَا الأَمْرِ الَّذِي تُصِيبُ بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ عَلَيْكَ بِمَجَالِس أَهْلِ الذِّكْرِ، وَإِذَا خَلَوْتَ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ بِذِكْرِ اللَّـهِ، وَأَحِبَّ فِي اللَّـه وأَبْغِضْ فِي اللَّـه. يَا أَبَا رُزَين: هَلْ شَعَرْتَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ زَائِرًا أَخَاهُ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُم يُصَلّونَ عَلَيْهِ ويَقُولُون: رَبَّنَا إِنَّهُ وَصَلَ فِيكَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٩٠، ٨٩٩١)، وفي «الآداب» (٣٠٨)، وإسناده حسن.

(٢) في «سننه» (٢٣٩٢) وقال: «غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، ولا نعرف ليزيد بن نعامة سماعًا من النبـي ﷺ»، وإسناده ضعيف؛ وذلك لأنَّ يزيد بن نعامة ليست له صحبة. (تهذيب الكمال للمِزِّي ٣٢/ ٢٥٥)، وفيه سعيد بن سلمان لم يوثقه غير ابن حبان.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٦٠٦) وإسناده ضعيف؛ فيه حكيم بن نافع القرشي، ضعيف الحديث.

فَصِلْهُ، فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تعمل جَسَدَكَ فِي ذٰلك فَافْعَل»[١].

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللّه ﷺ، فَقَال رَسُولُ اللّه ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لعمدًا مِن ياقوتَةٍ عَلَيْهَا غُرَفٌ مِن زَبَرْجَدٍ، لَهَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَة تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الكَوْكَب الدُّرِّيّ»، فَقَالُوا: يَا رَسُول اللّه، مَنْ يَسْكُنها؟ قَال: «المُتَحَابُّونَ فِي اللّه، والمُتَجَالِسُون فِي اللّه، والمُتَلاَقُونَ فِي اللّه»[٢].

روى البيهقي الأحاديث الثَّلاثة في «شعب الإيمان».

ومِمَّا وَرَدَ فِي النَّهْي عَن التَّهَاجُرِ والتَّقَاطُع:

قوله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث لَيَالٍ، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». رواه البخاري، ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري[٣].

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قال رَسُول اللّه ﷺ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسوا، وَلاَ تَجَسَّسوا، وَلاَ تَنَاجَشوا، وَلاَ تَحَاسَدوا، وَلاَ تَبَاغَضوا، وَلاَ تَدَابَروا، وَكُونُوا عِبَادَ اللّهِ إِخْوَانًا».

وفي رواية: «وَلاَ تَنَافَسوا». رواه البخاري، ومسلم[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٦٠٨)، وإسناده ضعيف؛ فيه عثمان بن عطاء المقدسي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البزار (٣٥٩٢)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٨٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٨): «وفيه محمد بن أبي حُميد، وهو ضعيف».

(٣) البخاري (١١/ ٢١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٤).

(٤) البخاري (١٠/ ٤٨١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥، ١٩٨٦).

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَال: قَال رَسُول اللّـه ﷺ: «يَفْتَحُ اللّـهُ أَبْوَابَ الجَنَّة يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيس، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللّـه شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاء، فَيُقَال: أَنْظِروا هٰذَينِ حتَّى يَصْطَلِحَا». رواه مسلم[1].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ: «يعرض أعمال النَّاس فِي كُلِّ جُمعةٍ مَرَّتَيْنِ، يَوْمَ الاثنينِ ويَوْمَ الخميس، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمنٍ إِلاَّ عَبْدًا بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاء، فيُقَال: اتْركُوا هٰذَينِ حتَّى يَفِيئَا». رواه مسلم[2].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُول اللّـه ﷺ قَال: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ». رواه الإمام أحمد، وأبو داود[3].

وَعَن أَبِـي خِراش السُّلمي أَنَّه سَمِـعَ رَسُول اللّـه ﷺ يَقُول: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهْوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». رواه أبو داود[4].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَال: قَالَ رَسُول اللّـه ﷺ: «لا يَحِلُّ لِمُؤْمنٍ أَنْ

---

(١) (١٩٨٧/٤).

(٢) (١٩٨٨/٤).

(٣) لم يروه الإمام أحمد؛ وإنما رواه أبو داود (٤٩١٤)، وصحَّحه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٢٢٣) ولم يعزه إلى مسند أحمد.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٤)، وأبو داود (٤٩١٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ رقم ٧٧٩)، والحاكم (٤/ ١٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (٦٢٠٧)، وفي «الآداب» (٣٠٢)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٢٢٣): «إسناده صحيح».

يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاث، فَإِنْ مَرَّت بِهِ ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَه فَلْيُسَلِّم عليه، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلام فَقَد اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ». رواه أبو داود[1].

وَعَن أَبِـي الدَّرْدَاء قَال: قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ والصَّدَقَةِ والصَّلاةِ؟»، قَال: قُلْنَا: بَلَى. قَال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، وفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ هِي الحَالِقَةُ». رواه أبو داود، والترمذي[2].

وَعَن الزُّبَيْر قَال: قال رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُم دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُم: الحَسَدُ، والبَغْضَاءُ؛ هِي الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، ولَكِنْ تَحْلِقُ الدِّين». رواه الإمام أحمد، والترمذي[3].

وَعَن أسماء بنت يزيد قالت: قال رَسُول اللَّـه ﷺ: «لا يَحِلُّ الكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: كَذِبُ الرَّجُل مَعَ امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا، والكَذِبُ فِي الحَرْبِ، والكَذِبُ ليصلحَ بَيْنَ النَّاسِ». رواه أحمد، والترمذي[4].

---

(١) في «سننه» (٤٩١٢)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٦١٩٥)، وإسناده ضعيف؛ فيه هلال بن أبـي هلال لا يعرف كما قال الحافظ الذهبـي (الميزان ٤/ ٣١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٤، ٤٤٥)، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٦٧)، والترمذي (٢٥١٠)، من طريق يعيش بن الوليد، أنَّ مولى لآل الزبير حدَّثه عن الزبير به، وإسناده ضعيف لجهالة مولى آل الزبير هذا.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٩، ٤٦١)، والترمذي (١٩٣٩)، وإسناده ضعيف، لضعف شهر بن حوشب، لكن يشهد له ما بعده، فهو به حسن.

وَعَن أُمِّ كلثوم بنت عقبة بن أبـي مُعيط قالت: سمعت رَسُول اللّـه ﷺ يقول: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِـحُ بَيْنَ النَّاسِ ويَقُولُ خَيْرًا ويُنمي خَيْرًا». رواه الشيخان[1].

وزَادَ مُسْلِم: «قَالَت: ولَمْ أَسْمَعه ــ تعني النَّبِـيّ ﷺ ــ يُرَخِّصُ فِي شَـيْءٍ مِمَّـا يَقُـولُ النَّـاسُ كَـذِبٌ إلاَّ فِـي ثَـلاَثٍ: الحَـرْبُ، والإِصْـلاَحُ بَيْـنَ النَّاسِ، وحَدِيثُ الرَّجُل امْرَأَتَهُ وحَدِيثُ الْمَرْأَة زَوْجها»[2].

قَـالَ الخطَّابِـي: «هٰـذِهِ أُمُـور قـد يَضطـرُّ الإنسـان فيهـا إِلـى زيـادة القَـوْلِ، ومجـاوزة الصِّدق، طلـبًا للسـلامة، ودفعًا للضرر. فالكذب في الإِصـلاح بين اثنيـن هـو: أن يُنمي من أحدهما إلى صاحبه خيرًا، ويبلغه جميـلاً، وإن لـم يكـن سمعه منـه؛ يريـد بذلـك الإصـلاح. والكذب في الحرب: أن يظهر من نفسه قوَّة، ويتحدث بما يقوي به أصحابه ويكيد به عدوه. وأما كذب الرجل زوجته، هو: أن يعدها ويُمنِّيها ويُظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه؛ يستديم بذلك صحبتها ويُصلح به خلقها»[3]. انتهى.

والأحاديث في ذلك كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية لأُولي الهداية، والحمد للّـه في البداية والنِّهاية، على يد جامعه محمَّد جمال الدِّين القاسمي.

---

(١) البخاري (٥/ ٢٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٠١١).

(٢) مسلم (٤/ ٢٠١١، ٢٠١٢).

(٣) «معالم السنن» للخطابـي (٧/ ٢٣٦ ــ المطبوع بهامش مختصر سنن أبـي داود للمنذري).

في ١٩ شوَّال سنة ١٣١٣[١].

* * *

(١) انتهيت من مقابلة المنسوخ بخط مؤلفه في السابع عشر من شعبان المكرم سنة ١٤٢٠هـ في الروضة الشريفة بالمسجد النبوي بدار السُّنَّة، المدينة المنوَّرة، على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام، والحمد لله رب العالمين.
ثُمَّ قابلته مرَّة أُخرى بأصله وذلك بقراءة الأخ في الله المحبّ جوهرة المدينة المنوَّرة المكنونة/ هانىء بن عبد العزيز ساب المَدَني، وذلك في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرَّفة يوم الأربعاء بين العشاءين في الحادي والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٤٢٠هـ.

المحتوى

❑ ❑ ❑

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٠)

الفَضِيحَةُ العَجْمَا

فِي الكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ

أَحْبِبْ حَبِيْبَكَ هَوْنًا مَا

تأليف
الشَّيخ أَحْمَد بن عَبد اللَّطِيف البَربِير الحَسَنِي البَيْرُوتِي
(١١٦٠ - ١٢٢٦ هـ)

تحقيق
رمزي سعد الدين دمشقية

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الفصيحة العجما

في الكلام على حديث

أَحْببْ حَبِيْبَكَ هونًا ما

الطَّبْعَةُ الأُولىٰ
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حَمْدَ معترفٍ له بالفضل والإنعام، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام، محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه البرَرَة الكرام.

أما بعد، فإنَّ من البرِّ تعاهدَ آثار الأجيال الماضية، والقيام بنشر أعمالهم الحسنة وما دلُّوا عليه من الخير. وإن أولى من يَبرُّ المرءُ من كان منه قريب الزمان لصيق المكان، لذا أحببت أن تكون مشاركتي لهذا العام الهجري ــ أعني سنة ١٤٢٠هـ ــ في لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام برسالتين لعالمين جليلين من علماء بلدتي بيروت، قيامًا بحقِّهما وتعريفًا للقاصي والداني بفضلهما، وفضل أهل هذا الثغر الذي زخر بالعلماء منذ سكنه المسلمون ورابطوا فيه، وفي مقدمتهم الإمام المجتهد، الصادع بالحق، والجامع بين العلم والعمل، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي رحمه الله تعالى وأحسن مثواه.

أما الرسالة الأولى فهي «**الفصيحة العجما في الكلام على حديث: «أحبب حبيبكَ هونًا ما...»**» للشيخ الأديب أحمد بن عبد اللطيف البربير المتوفى سنة ١٢٢٦هـ، بيَّن فيها معاني هذا الأثر النبوي وأظهر فصاحته وبلاغته، جاعلاً جُلَّ شرحه له من أبواب اللغة والنحو والأدب، ولا غرو فهو أحد فرسان هذا الميدان البارعين فيه.

وقد اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسخة المؤلف بخطه، وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد حاليًا)، ضمن مجموع برقم **١٠٠٤٩**، من (ق **١٣٩ ـ ١٤٢**).

أما الرسالة الثانية فهي «**تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور**» للشيخ أحمد بن عمر المحمصاني المتوفى سنة ١٣٧٠هـ، وسيأتي الكلام عليها في أولها.

ومن الله نرجو العون والسداد والتوفيق والإمداد، وأن يتقبل منَّا ويعاملنا بما هو أهله، إنه سميع قريب مجيب.

وكتبه
حامدًا ربَّ البريَّة
مصلِّيًا على النبي والذُّريَّة
رمزي سعد الدين دمشقية

نصُّ الحديث وتخريجه وشرحه

قال الإمام الحافظ الحجة أبو عيسى الترمذي في سننه في كتاب البرِّ والصلـة، بـاب مـا جـاء فـي الاقتصـاد فـي الحـب والبغـض **٤/ ٣٦٠** (ح ١٩٩٧):

حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا سُوَيد بن عمرو الكَلْبي عن حمَّاد بن سَلَمةَ، عن أيوبَ، عن محمد بن سِيرينَ، عن أبـي هريرة أُراه رفعه قال:

«أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا ما عَسَىٰ أنْ يكونَ بَغِيضَكَ يومًا ما، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا ما عَسَىٰ أنْ يكونَ حَبيبَكَ يومًا ما».

التخريـج:

ــ قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلاَّ من هذا الوجه، وقد رُوِيَ هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا رواه الحسن بن أبـي جعفر وهو حديث ضعيف أيضًا بإسناد له عن عليّ عن النبـي ﷺ، والصحيح عن علي موقوفٌ قولُهُ.

والحديث رواه عدا الترمذي:

ــ الحافظ الطبراني في معجمه الأوسط والكبير من حديث ابن

عمر، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٨٨: وفيه جميل بن زيد، وهو ضعيف.

ـ وفي الأوسط والكبير أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو، قال الهيثمي ٨/ ٨٨: وفيه محمد بن كثير الفهري، وهو ضعيف.

ـ والبخاري في الأدب المفرد ح ١٣٢١، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب بلفظ: هل تدري ما قال الأول؟ أحبب حبيبك. . .

ـ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه الكافي الشاف بتخريج أحاديث الكشاف ص ١٢٢ (أحاديث سورة الفرقان):

الحديث أخرجه الترمذي من رواية أيوب عن ابن سيرين عن أبـي هريرة، تفرد به سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب، قال الترمذي: غريب.

وقال ابن حبان في الضعفاء[1]: سويد بن عمرو يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة، وليس هذا من حديث أبـي هريرة، وإنما هو من قول علي رضي الله عنه، وقد رفعه الحسن بن أبـي جعفر عن أيوب عن حميد بن عبد الرحمن عن علي، وهو خطأ فاحش.

ورواية الحسن بن أبـي جعفر في فوائد تمام[2].

وأخرجه ابن عدي[3] من طريق الحسن بن دينار عن ابن سيرين عن أبـي هريرة، قال: الحسن بن دينار أجمعوا على ضعفه.

---

(١) كتاب المجروحين ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٢) الروض البسام بترتيب فوائد تمام ٣/ ٤١٥، ح ١١٩١.

(٣) الكامل في الضعفاء ٢/ ٧١١.

ورواه الطبراني في الأوسط من رواية أبـي الزناد عن الأعرج عن أبـي هريرة، لكن الراوي له عن أبـي الزناد متروك، وهو عباد بن كثير.

وفـي البـاب عـن ابـن عمـر، أخـرجـه الطبـرانـي، وفيـه أبـو الصلـت الهروي، وهو متروك.

وعن ابن عمرو بن العاص، أخرجه أيضًا من طريق محمد بن كثير الفهري عن ابن لهيعة عن أبـي قبيل عنه، وهذا إسناد واهٍ جدًّا.

والمـوقـوف عـن علـي، أخـرجـه البيهقـي فـي الشعـب فـي الحـادي والأربعين من رواية أبـي إسحاق عن صبرة بن يزيد ثم عن علي.

وقال الدارقطني: الصحيح عن علي موقوف، اهـ[1].

ــ قـال الشيـخ المنـاوي فـي فيـض القـديـر شـرح الجـامـع الصغيـر ١/ ١٧٧ بعد أن عرض لروايات الحديث: وبعد أن علمتَ هذه الروايات فاعلم أن أمثلها الأولى ــ أي رواية الترمذي ــ، وقد استدرك الحافظ العراقي على الترمذي دعواه غرابته وضعفه، فقال: قلت: رجاله رجال مسلم، لكن الراوي تردد في رفعه، انتهى. والمصنف ــ أي السيوطي في الجامع الصغير ــ رمز لحُسنه.

الشرح:

قوله: (أُراه) هو بضم الهمزة، أي: أظنه، وهي الرؤية الذهنية، فإن أُرِيدَ الرؤية البصرية كانت بفتح الهمزة.

---

(١) في نص ابن حجر في «الكافي الشاف» أخطاء صححتها من المراجع المشار إليها.

قوله: (**أحبب حبيبك هونًا ما**)، أي: حبًّا مقتصِدًا لا إفراط فيه.

قوله: (**عسى أن يكون بغيضك يومًا ما**)، أي: فلربما انقلب هذا الحب بغضًا بتغيُّر الزمان والأحوال فلا تكون قد أسرفتَ في حبه فتندم عليه إذا أبغضته.

قوله: (**وأبغض بغيضك هونًا ما**)، أي: بغضًا معتدلاً لا إفراط فيه.

قوله: (**عسى أن يكون حبيبك يومًا ما**)، إذ ربما انقلب هذا البغض حبًا فلا تكونُ قد أسرفتَ في بغضه فتستحي منه إذا أحببته.

ترجمة المؤلِّف[1]

هو العلاَّمة الأديب، والشاعر النَّاثر؛ أديب الفقهاء، وفقيه الأُدباء؛ الشيخ شهاب الدِّين أبو العبّاس أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمد البربير الحسني البيروتي الأصل[2]، الدمياطي المولد، الدِّمشقيّ وفاة.

---

(١) مصادر ترجمته: «حلية البشر» لعبد الرزاق البيطار (١/ ٢١٧)؛ و «أعيان دمشق» لجميل الشطي (ص ٣٣)؛ و «منتخبات التواريخ لدمشق» للحصني (٢/ ٦٤١، ٦٧٥، ٨٥٧)؛ و «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٨)؛ و «أعيان القرن الثالث عشر» لخليل مردم بك (ص ١٤٥)؛ و «معالم وأعلام» لأحمد قدامة (١/ ١١٧)؛ «مجلة الفكر الإسلامي» مقالات للشيخ طه الولي (العدد ٣ ـ ٩/ ٣ سنة ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢).

(٢) إن عائلة البربير في الأصل بيروتية الموطن، إلاَّ أن بعض أجدادهم انتقلوا إلى مصر، ونزلوا في بلدتي دمياط ورشيد، حيث زاولوا الأعمال التجارية.
و «البربير» كلمة إيطالية كانت تطلق على الحلاق الذي كان يمارس في نفس الوقت الفصد ويضع الضمادات ونحو ذلك من أعمال الطبابة الأهلية.
وعائلة البربير عُرفت قديمًا باسم «آل القحف» ثم أهمل هذا الاسم واشتهر الاسم الجديد لأن أحد أجداد هذه العائلة كان يلازم حلاقًا يمارس الطب على عادة أهل ذلك الزمان يسمى «البربير». «مجلة الفكر الإسلامي» (عدد ٣/ ٣ سنة ١٣٩٢).

مولده ونشأته:

وُلِد بدمياط سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٧م) لأبٍ تاجر، ولمّا نشأ أخذ بطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم صغيرًا على الشيخ قاسم بن داود، ثمَّ لمّا بلغ اثنتي عشرة سنة حفظ ألفية ابن مالك، وحضر شرحها لابن عقيل على الشيخ عبد الحيّ بن فتح الله. وعند الثالثة عشرة تعلق بنظم الشعر، فصار يشبب ويتغزَّل، فاعترض عليه في دعوى الصبابة بعض الأُدباء، فأنشد:

لقد أنكر اللاحي شُجوني وصَبوَتي ... لكوني صغيرًا قلتُ لا تُنكروا الفضلا
رآني الهوى طفلاً فمازَحَ مُهجتي ... ومِنْ عادةِ المزَّاحِ أن يألفَ الطفلا

طلبه للعلم وشيوخه:

ثم حضر قراءة المنهج وتفسير البيضاوي على الشيخ محمد الدنهيجي، وجمع الجوامع على الشيخ عبد السلام أبي النصر، وتجريد الخطيب وابن قاسم مرارًا على الشيخ عبد الحي، وقرأ عليه أيضًا مختصر السعد والسُّلَّم للأخضري وغيره، وحضر على الشيخ مصطفى المحلي ـ الشهير بالسَّقَّا ـ شرح الهدهدي وشرح اللقَّاني على الجوهرة، والاستعارات لعصام، وحضر على الشيخ أحمد البستاني في العَرُوض والفرائض والأشموني على الألفية.

ومن شيوخه المصريين: الشيخ أحمد الجوهري المتوفى سنة ١٢١٤هـ، ومن شيوخه بل من أعظمهم مكانة في نفسه وتأثيرًا على سلوكه وثقافته السيد محمد مرتضى الزبيدي «شارح القاموس» المتوفى بمصر سنة ١٢٠٥هـ، فقد أخذ عنه علم الحديث بمصر.

هجرته إلى بيروت:

وفي سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) هاجر إلى بيروت موطن آبائه وأجداده بعد أن مرَّ بدمشق لفترة وجيزة، وفي بيروت تزوج ثم ما لبث أن طلق زوجته، فانضاف ذلك إلى غربته عن أهله، فأنشد معبرًا عن حاله:

لقد غرَّني إبليسُ قومي بقولِهِ   تغرَّبْ عن الأوطان في طلبِ المجدِ
كما غرَّ إبليسُ الشياطينِ آدمًا   وأخرجَهُ بالمكرِ من جنَّة الخُلدِ

تقلُّده القضاء والإفتاء في بيروت:

وقد طلب منه الأمير يوسف الشهابي أن يتولى الفتوى والقضاء في بيروت، فامتنع الشيخ البربير عن ذلك حتى أقنعه الأمير بالموافقة، غير أنَّ الشيخ وضع شروطًا لقبوله، فإذا أخلَّ الأمير بإحداها اعتزل المنصبين، وكانت الشروط هي:

١ ـ أن لا يتصدَّى الأمير للدعوى بعد أن يكون هو فصلها بمجلس قضائه، وأن يأمر بتنفيذها دون إبطاء.

٢ ـ إذا كانت الخصومة بين الأمير وبين أحد المواطنين العاديِّين، وكان الحكم ضد الأمير، فإنَّ على الأمير أن ينفِّذ ما أمر به الشرع الحنيف.

٣ ـ أن يبعث الأمير من قِبله أحد أتباعه ويجلس في المحكمة لتحصيل ما على الدعوى من الرسوم المقرَّرة بين القضاة.

٤ ـ أن لا يلتزم الشيخ البربير بارتداء الزيّ المقرَّر للقضاة من لبس العمامة والفَرَجيَّة[1].

---

(١) هي الجبة التي كانت خاصة بالقضاة تمييزًا لهم عن بقية العلماء. وهي منسوبة =

وقد نزل الأمير عند رغبة الشيخ وتعهد بالتزام الشروط التي طلبها. لكن الشيخ كان يتمنى أن يخل الأمير بشرط حتى يتخلص من هذا المنصب الذي قَبِله على مضض، ولم يكن يخفي تبرمه وضيق صدره، فمما نظمه مُعبرًا عن ذلك قوله:

قد عَدَلْنا وما عَدَلْنا بغَيٍّ وحكَمْنا بأمرِ ربِّ السماءِ
فشكا الناسُ حُكمَنا ولَعمري قلَّ مَن يرتضي بحكمِ القضاءِ

وقوله:

رماني زماني بما يجهدُ فمن ذا أرومُ ومن أقصدُ
وأوقفني في القضاءِ القضا وما كنتُ أحسبه يوجدُ
وظيفةُ كرْبٍ، لأثقالها تراني لموتي الرَّدَى أحمدُ
وحسبي انقلابُ صديقي بها عدوّاً، إذا فاته المقصدُ
فباطنها الذُلّ والابتلا وظاهرها العزُّ والسُّؤددُ
وإذ ليس دأبي ولا ديدني ولا أرتضيه، ولا أعمدُ
وصعبٌ على المرء تكليفُهُ أمورًا خلاف الذي يَعْهَدُ

ولم تلق هذه المنظومات لدى الأمير أذن صاغية، مما اضطر الشيخ أن يوجه للأمير قصيدة مطولة ضمَّنها رجاءه بإلحاح لإعفائه من هذا المنصب، واصفًا نفسه بالظلم وعدم الأهلية لتولي هذا المنصب، فمما قاله فيها:

= إلى السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق من سلاطين المماليك الجركسية، ولي الحكم بمصر بعد أبيه سنة ٨٠١هـ، ثم عزل سنة ٨٠٨هـ، ثم أعيد إليه وانتهى به الأمر أن قتل سنة ٨١٥هـ.

تنبَّــه أخـــي فمـــا ذا العمـــى وقـد بَلَـغَ السيـلُ أعلـى الـرُّبـى
تـواريـتَ فـي جُنـح ليـل الـذنـوب ولـم تـرَ إشـراق فجـر الـدُّجـى
فكيــف رضيــتَ تُــرى قـاضيًـا وفـوقـكَ بـالقهـر قـاضـي السمـا
وكيـف عجـزتَ بحمـل القميـص وتقـوى علـى حمـل حـقِّ المـلا
وأصبحــتَ بــالظلـم فـي غـايـةٍ ومـــرتبـــةٍ مـــا لهـــا منتهـــى

وقال:

أمـــا فـــي الأُلـــى سلفـــوا عبـــرة لمثلــكَ دلَّــت علــى مــا نــأى
فــأيــنَ القضـــاةُ وأيـــن الملــوك وأيـــن الحُلـــيُّ وأيـــن الحُلـــى
وأيــنَ الأحــاديــثُ فــي ســردهــا وقـــد أنبـــأتـــكَ بـــذمِّ القضـــا
فـــإن قلـــتَ إنـــي امـــرؤٌ عـــادلٌ فلا تنس «من حام حول الحمى»
درءُ المفـــــاســـــدِ تقـــــديمـــــهُ علـى جلـب مصلحـةٍ يـرتضـى
وإن قلـــتَ إنـــي أمـــرؤٌ مكـــرهٌ عليهـا فـدونـكَ رحـب الفضـا
وكـــلُّ مَـــنْ تخلفُهـــم للـــذي أحـاط بمـا كـان تحـت الثـرى
فقـــد رزَقَ الطيـــر فـــي وكـــرهِ وخـــصَّ الجنيـــنَ بِطيـــبِ الغِـــذا
وعــشْ بــاليسيـر وأكـل الشعيـر وتـرك الحـريـر ولبـس العبـا
فـذلـك أهـونُ مـن بيـع دينـكَ يـــا غـــافـــلاً بـــديـــن الـــدُّنـــى

فلما أن اطلع الأمير يوسف الشهابي على هذه الأبيات دخلت قلبه خشية الله، فبادر إلى إعفاء الشيخ من القضاء وعيَّن له مرتَّبًا يكفيه، فامتدحه الشيخ البربير بقوله:

أميـــرُنـــا أَكـــرِمْ مـــن حـــاتـــمٍ لـــه بَنـــانٌ ضـــاق عنهـــا الفضـــا
بحلمـــهِ أدركـــتُ مـــا أشتهـــي وقـــد كفـــانـــي الله شـــرَّ القضـــا

وقال أيضًا:

أميــــرٌ عظيـــــمٌ لـــــهُ رتبــــةٌ ... علــى غيــره صعبــةُ المُــرتَقَــى
قصــرتُ ثنــائــي علــى وصفــهِ ... وأعطيتُــهُ فــي الــورى مَــوْثِقــا
ولا غــروَ فــي كــونِــهِ وارثًــا ... ثنــائــيَ دون الــورى مطلقــا
فقــد أعتــقَ القلــب مــن كــربِــهِ ... وصـــحَّ الـــولاءُ لمَـــنْ أعتقَــا

وبعد ذلك أنشأ مكتبًا (كُتَّابًا) لتعليم الأولاد قانعًا بما يناله منه من الرِّزق الكفاف، إلَّا أنه لم يسدّ حاجته، وافتقر.

انتقاله إلى دمشق:

وفي سنة ١١٩٥هـ تعرضت بيروت لعدوان من قراصنة روس مما حمل أهلها إلى النزوح عنها إلى حيث يجدون الأمن والطمأنينة. فعزم الشيخ على الرحيل إلى دمشق ورغب في سكناها، ورأى أنها خير البلاد. فلما قصدها نزل ضيفًا على الشيخ محمد بن خليل المرادي[1] مفتي دمشق، فلمّا دخل عليه مدحه بقصيدة طرب لها ورفع شأنه عنده فأكرمه وشمله برعايته.

ثم سكن الصَّالحية واستقرَّ بها وأُعجب بها غاية الإعجاب، وذكرها بشعره مادحًا يقول:

قــد ظفــرنــا بعيشــةٍ مَــرضيَّــة ... مُــذْ حللْنــا فــي جنَّــةِ الصــالحيّــةْ
ورأينــا الــزهــورَ تبســم لطفًــا ... عــن ثنــايــا مــن النــدى لــؤلــؤيّــةْ
وجــواري السحــاب جلَّلَــتِ الأر ... ضَ ببُسْــطٍ مــن غــزلهــا سنــدسيّــةْ

---

(١) مؤلف كتاب «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» المتوفى سنة ١٢٠٦هـ.

رقص الماءُ من غنا الطير حتى نقَّطَتْــه أوراقُهـــا الـــذهبيّـــةْ
وجـهُ روضٍ يـريـك نجـلَ عيـونٍ وخــدودًا مــن زهــره عنــدميّــةْ
وقــدودًا مــن الغصــونِ نشــاوى مــن طــلا الطــلِّ بُكــرةً وعشيّــةْ
حبَّــذا حبَّــذا معــانــي مغــانٍ كبــروجٍ حَــوت نجــومًــا مُضِيّــةْ

وبعد استقراره بدمشق تزوج مرة ثانية، ولكنه لم يُرزق من زواجه هذا بولد، وتوفي رحمه الله ولم يترك ذرية.

مقتطفات من شعره:

للشيخ أحمد البربير شعر كثير ضمنه كتبه، وفي رسالتنا التي نقدِّم لها شيء من ذلك. ومن جميل ما قال، قوله في التوحيد:

لقـــد آمنـــتُ بـــالله وأصبحـــتُ بـــه آمِـــنْ
هـــو الأولُ والآخِـــر والظـــاهـــرُ والبـــاطِـــنْ

وقوله في كبح الشهوات:

إنَّ الـــذيـــنَ يجـــاهـــدون النفـــسَ شبّـــانًـــا وشيبـــا
مَـــنَّ الإلــــه بنصـــرِهـــمْ وأثـــابهـــم فتحًـــا قـــريبـــا

وقال مادحًا أهل دمشق مضمنًا كلامه أسماء بعض كتب الحديث النبوي:

رعى الله في الدنيا أفاضل جِلَّقٍ فكـم عمَّنـي منهـا سـرورٌ وإكـرامُ
أناسٌ وجدنا من شمائلها الشِّفا مصابيحُ هدي عَينُ مشكاتها الشَّامُ[1]

---

(١) قوله: «الشفا» يقصد به كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وقوله: «مصابيح» يقصد به كتاب مصابيح السنة للإمام البغوي، وقوله: «مشكاتها» يقصد به كتاب مشكاة المصابيح للإمام التبريزي.

وقال يهجو شاعرًا ويعيره بسوء ظنه:

سمعــــتُ شِعــرَ شــاعــرٍ يُشبــهُ صــوتَ الجُلجُلــةْ
ألفـــاظُـــهُ مُهملـــةٌ لكنَّهـــا مُستعملـــــةْ

شيوخه بدمشق:

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم بدمشق: المحدِّث الشيخ محمد الكزبري (المتوفى ١٢٢١هـ)، والشيخ أحمد العطار (المتوفى ١٢١٨هـ)، والشيخ حسين المدرس (المتوفى ١٢٢٠هـ)، والشيخ مصطفى الصلاحي (المتوفى ١٢٦٥هـ)، وغيرهم من علماء ذلك العصر في دمشق والوافدين عليها.

تلاميذه:

لقد كان لما بلغه البربير من مكانة رفيعة في العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها الأثر بأن يقصده طلبة العلم لينهلوا من مَعين علومه وغزير أدبه.

فممن تلقى عنه:

ـ الشيخ عبد اللطيف فتح الله، الذي تسلم الفتوى ببيروت مدة طويلة حتى غلب عليه لقب «المفتي»، وأصبح هذا اللقب عَلَمًا عليه وعلى عائلته من بعده حتى اليوم، توفي ببيروت سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م).

ـ الشيخ أحمد الأغرّ، الذي تولى القضاء والإفتاء ببيروت أيضًا، توفي بها سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م).

ـ الشيخ قاسم بن محمد تلحوق من عائلات مشايخ الدروز.

ـ الشيخ قاسم بن بشير جنبلاط من زعماء العائلات الدرزية.

مما قيل فيه:

ترجم له الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه «حلية البشر» قائلاً: «سهم الأغراض والأماني، وكنانة البيان والمعاني، ذو الأدب الباهي الباهر، والأرب الزاهي الزاهر، والنفس الزكية، والأخلاق المرضيَّة، مَنْ تستعذب النفوس نثره، وتستطيب نظمه وشعره، ... أقبل على الترقي بهمة قوية إلى أن صار فردًا يشار إليه، وعمدة في المشكلات يُعتمد عليه، وشهد له مشايخه بالفضل، وإنه لما يُثنى عليه به مستحق وأهل...».

وقال عنه الشيخ محمد جميل الشطي في كتابه «روض البشر»: «العالم الفاضل، الأديب الشاعر، المُجيد المُفلِق، الناظم الناثر، المفنن الأوحد».

وقال عنه الشيخ محمد عبد الجواد القاياني في رحلته «نفحة البشام في رحلة الشام»: «السيد أحمد البربير عالم فاضل نحرير، من كبار العلماء المشاهير، له مؤلفات جليلة، ومصنفات جميلة، في العلوم العربية، والفنون الأدبية».

وذكره تلميذه مفتي بيروت العلاَّمة عبد اللطيف فتح الله في ديوانه، حيث قال مادحًا جنابَ قُرَّة عين الأُدباء الكرام، وواسطةِ عقد الجهابِذَةِ الفخام، حضرةَ شيخِهِ السيد أحمد البربير، وكان إذ ذاك حضرَ من دمشقَ الشام سنة ١١٩٨هـ[١]:

---

(١) «الديوان» (١/ ٤٩، ٥٠)، وقد ذكره مادحًا له في مواضع منه (١/ ٥٢، ٥٥، ٦٠ ـ ٦٢، ٦٦، ٧٠، ٧٧، ٧٨).

شَمْسُ الكَمَالِ كَسَا بَيْرُوتَنَا حُلَلاً مِـنْ نُـورِ طَلْعَتِـهِ لَمَّـا حَـلاَ وَحُـلاَ
غَزَالُ سِرْبٍ غَزَا الأَلْبَابَ نَاظِرُهُ وَثَوْبُ سُقْمٍ لِجِسْمِي بِالْهَوَى غَزَلاَ
بَدْرُ الجَمَالِ جَمَالُ الْبَدْرِ حَلَّ بِهَا قَدْ حَلَّ بُرْجَ الْعُلَى وَالْعِزّ مُكْتَمِلاَ
الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ عَقْدُ الْمَجْدِ مَنْ نُظِمَتْ بِـهِ الْفَضَـائِـلُ حَتَّـى زَيَّـنَ الْفُضَـلاَ
وَمَنْ سَمَا فِي سَمَاءِ العِزِّ مُرْتَفِعًا فَوْقَ السِّمَاكِ عَلَى أَوْجِ السُّهَى وَعَلاَ
الأَلْمَعِيْ حَسَنُ الأَفْعَالِ ذُو حَسَبٍ عَلِـيٌّ قَـدْر عَلَـى أَمْثَـالِـهِ كَمـلاَ
أَعْنِي بِذَا أَحْمَدَ الْبَرْبِيرَ مَنْ جُمِعَتْ فِيـهِ مَـزَايَـا بهـا قـد نَبْلُـغُ الأَمَـلاَ
نَسْـلُ الأَكَـارِمِ بَحْـرٌ مِـنْ مَكَـارِمِـهِ إِكْـرَامُ وَافِـدِهِ إِنْ نَحْـوَهُ وَصَـلاَ
كُلُّ الْمَحَاسِنِ نُورٌ مِنْ مَحَاسِنِهِ لَمَّا عَلَى الْحُسْنِ مِنْ دُونِ الوَرَى ٱشْتَمَلاَ
لَهُ حَدِيثٌ غَرِيبُ النَّظْمِ سَلْسَلَهُ بِكُـلِّ مَعْنًـى لَطِيـفٍ حَيَّـرَ العُقَـلاَ
هَذَا هُوَ الْكَوْكَبُ الزُّهْرِيْ الَّذِي مُحِيَتْ عَنَّـا الغُمُـومُ بِـهِ لَمَّـا الْهُمُـومَ جَـلاَ
شَبَّهْتُـهُ الْبَـدْرَ لَكِـنْ لَيْـسَ يُشْبِهُـهُ فَـذَا يَغِيـبُ وَهَـذَا قَـطُّ مَـا أَفَـلاَ
هَذَا الَّذِي قَدْ حَوَى حِلْمًا بِلاَ شَبَهٍ لِأَنَّـهُ مِـنْ كَمَـالِ الحِلْـمِ قَـدْ جُبِـلاَ
هَذَا الَّذِي هَامَ قَلْبِـي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ شَجًا، فَيَا وَيْلَ مَنْ فِيهِ لَنَا عَذَلاَ
تَبَسَّـمَ الـدَّهْـرُ مِـنْ فِيـهِ بِـهِ فَـرِحًـا يُشِيـرُ لِـي أَنَّـهُ قطـبُ الـزَّمَـانِ بِـلاَ
يَمِّـمْ حِمَـاهُ لِتَجْنِـي مِـنْ بَـدَائِعِـهِ دُرَّ العُقُـودِ إِلَـى أَنْ تَبْلُـغَ الأَجَـلاَ
وَٱقْصِدْهُ تهْدِكَ نِيرَانُ القِرَى سُبُلاً لِرَبْعِهِ المُعْتَلَى مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسَلاَ
وَلاَ تَكُنْ غَافِلاً عَنْ فَيْض رَاحَتِهِ فَلَيْـسَ ينْكـر ذَا، إِلاَّ الَّـذِي جَهِـلاَ
لاَ زَالَ طَـالِعُـهُ بِـالسَّعْـدِ مُقْتَـرِنًـا يَـزِيـدُهُ رِفْعَـةً، لاَ تَنْتَهِـي، وَعُـلاَ
مَا هَزَّ غُصْنَ الرُّبَـى رِيحٌ وَمَا نَشَدَتْ شَمْسُ الكَمَالِ كَسَا بَيْرُوتَنَا حُلَلاَ

مؤلفاته:

ترك الشيخ أحمد البربير مؤلفات عدة منها:

١ ــ تشطير البردة.

٢ ــ شذور الياقوت والمرجان فيما حواه اسم سليمان من الفضائل الحسان، وهو في تاريخ سليمان باشا الملقب بالعادل والي عكا.

٣ ــ الفصيحة العجما في الكلام على حديث «أحبب حبيبك هونًا ما»، وهي الرسالة التي بين أيدينا.

٤ ــ اقتباس آي القرآن في مدح عين الأعيان، وهي اقتباسات شعرية في بعض آي الذكر الحكيم في مدح صديقه السيد عبد الرحمن العمادي المرادي مفتي الأحناف بدمشق.

٥ ــ دلائل الإعجاز في الأحاجي والمعمَّى والألغاز، وهي رسالة ألَّفها برسم الأمير حسن الشهابي، وبدأها بالمعمى باسم حسن. النسخة الأصلية منها محفوظة بمكتبة الأسد بدمشق ضمن مجموع رقم ١٠٠٤٩، (١٧٨ أ ــ ١٨١ ب).

٦ ــ قصيدة بديعية، وهي منظومة شعرية شرحها شيخه الشيخ مصطفى الصلاحي.

٧ ــ مقامات البربير، توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

٨ ــ تحقيق ظهور المهدي، ألفها سنة ١٢٢٣هـ.

٩ ــ سيرة حياته الذاتية بقلمه.

١٠ ــ زهر الغيضة في ذكر الفيضة، رسالة وصف فيها فيضان نهر بردى الذي أغرق دمشق سنة ١٢٠٦هـ، طبعها الشيخ محمد أحمد دهمان.

١١ ــ مفاخرة بين الماء والهواء، وهي مقامة طريفة أوردها الشيخ عبد الرزاق البيطار كاملة في «حلية البشر»، وطبعت على حدة عدة طبعات[١].

١٢ ــ الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ، وهو موسوعة ضخمة تناول فيها المؤلف عشرات الموضوعات من العلوم والمعارف في أبواب اللغة وفنون الأدب والشعر والفقه والتفسير وغيرها، وذلك من خلال شرحه لبيتي شعر قالهما الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الموصلي المتوفى ١١١٨هـ، وهما:

إنْ مـرَّ والمـرآة يـومًـا فـي يـدي ... من خَلْفِه ذو اللُّطف أسمى من سَما

دارت تماثيلُ الزجاج ولم تزلْ ... تقفـوه عَـدْوًا حيـث سَـار ويمَّـمـا

وقد ألف البربير هذا الكتاب استجابة لطلب صديقه محمد بك العظم الذي سأله شرحهما وحل رمزهما.

والكتاب طبع سنة ١٣٠٢هـ بالمطبعة الأدبية ببيروت تولى طبعه الشيخ محمد بن عمر البربير، ثم أعاد طبعه مرة ثانية الطبيب نسيب البربير مؤسس مستشفى البربير ببيروت لدى المكتب الإسلامي.

---

(١) من آخر طبعاتها إيرادها ضمن مجموعة رسائل في بابها بعنوان «المفاخرات والمناظرات» قام بتحقيقها الأخ الأديب الدكتور محمد حسَّان الطيان، وطبعت بدار البشائر الإسلامية سنة ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.

وفاته ورثاء تلميذه له:

تُوُفِّي الشيخ البربير رحمه الله تعالى بالصالحية بدمشق ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة ختام سنة ١٢٢٦هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون في مدافن بني الزكي.

وقد رثاه تلميذه، مفتي بيروت، الشيخ عبد اللطيف فتح الله حيث قال[١]:

مـا للحمـائـمِ لا تكـادُ تطيـرُ؟	مـا لـلأراضـي بـالأنـامِ تَمـورُ؟
ما للجبالِ الشامخاتِ تَدَكْدَكَتْ،	وأبـو قُبَيـسٍ قـد هـوَى وثبيـرُ
ما للنفوسِ تكادُ تُزهَقُ لَوعةً،	ولهـا شهيـقٌ قـد عـلا وزفيـرُ
مـا للعيـونِ دمـوعُها مصبوبـةٌ	مثلُ الـدماءِ على الخدودِ تسيرُ
فكـأنها، حُمرًا وسُودًا، أحرفٌ	لكنهـا فـوقَ الخـدود سطـورُ
مـا بـالُ قلبـي قـد تلهَّب حُرقةً	مـن أيـنَ فيـه جهنَّـمٌ وسعيـرُ
ما للنجومِ غربْنَ وهي طَوالِعٌ	جُنحَ الدجى، وخَسَفْنَ وهي بدورُ
ما للشموسِ لبسنَ في رأَدِ الضحى	ثـوبَ الكسـوفِ ومـا لهـنَّ ظهـورُ
ما للجنانِ تزخرفَتْ ثم اغتدَى	منهـا يلـوحُ منـازِلٌ وقصـورُ
وتـزيَّنـت وِلـدانهـا وتقلَّـدتْ	عِقْدَ الجواهرِ في النحور الحورُ
فعجبـتُ مـن هـذا وقلنـا حـادث	فـي الكـون بـانَ وإنـه لكبيـرُ
فأُجِبْتُ: لا تذهل، وقيل لِيَ: انتبهْ	فـاليـومَ مـاتَ العـالـمُ النحـريـرُ
شيخُ الجَهَابذِ والأفاضِل مفردًا	نجـمُ العلـومِ الجِهبـذُ المشهـورُ

(١) «ديوان عبد اللطيف فتح الله» (١/ ٣٧٥، ٣٧٦).

بـدرُ الشـريعـة والطـريقـةِ والهُـدَى ... شمـسُ الحقيقـة : أحمـدُ البـربيـرُ
بحرُ المعارف ما له من ساحلٍ ... منـه استمـدَّتْ فـي الأنـامِ بحـورُ
ربُّ الفَطَـانَـةِ والفُهـومِ مع الـذكـا ... فـي طَـوعـه التحقيـقُ والتَحـريـرُ
عنه الحديثُ سماعُهُ قد ينبغي ... والفقـهُ، والتـوحيـدُ، والتفسيـرُ
وكـذا الأصـولُ، وكـلُّ فـنٍّ ينتمـي ... للنقـل أو للعقـل، وهـو شهيـرُ
كـم قلـبِ علـمٍ سـرَّهُ تـأليفُـهُ ... وأقـرَّ منـه طـرفـه تقـريـرُ
مولَى القوافي قد تملَّكَ أمرَها ... فـأطـاعـه المنظـومُ والمنثـورُ
فيها تصرَّفَ كيف شاءَ، وصاغَها ... صَـوْغًـا علـى الإتقـان ظَـلّ يـدورُ
مِن كلِّ معنىً ليس مسبوقًا له، ... كـلاّ، ولا بسـواه فيـه شعـورُ
مِـن كـلِّ مختَـرَعٍ يسيـلُ بـلاغـةً ... ويكـاد فـي سحـر البيـان يطيـرُ
ما البحتريُّ لديهِ؟ ما سَحبانُ؟ ما ... نحـو الفـرزدقِ عنـدَهُ وجـريـرُ
فيـه أُصِبنـا، والمصـائـبُ جَمَّـةٌ، ... منهـا العظيـمُ، كمـوتِـهِ، وحقيـرُ
لا بِـدْعَ إنْ ذهـبَ الكِـرامُ فـإنمـا ... عُمـرُ الكـرامِ مـن الأنـام قصيـرُ
يـا ليـت أعمـارَ الكِـرام مـديـدةٌ، ... ويكـونُ فيهـا الطـولُ والتـأخيـرُ
يـا ويـحَ بيـروتٍ وقلَّـةَ حظِّهـا، ... هيهـاتَ منهـا مثلُـهُ ونظيـرُ
لكـنْ لهـا فخـرٌ بـه لا ينتهـي ... يفنَـى الـزمـانُ ومـا لـه تغييـرُ
أرواحُنـا، لـو كـان فيهـا يُفتَـدى، ... جُـدْنـا بهـا، وبهـا الفِـداءُ يسيـرُ
لكـنْ فنـاءُ الخَلْـقِ حُكـمٌ نـافـذٌ ... لـم ينـجُ منـه كبيـرُنـا وصغيـرُ
ما كان في الدنيا خلودٌ لامرئٍ ... ظَـنُّ الخلـودِ جَهـالـةٌ وغـرورُ
لو كان فيها لم يمتْ فيها امرؤٌ ... بـل لـم يكـن لـلأنبيـاءِ قبـورُ
فـاللّـه يلهمُنـا الـرضـاءَ بحكمِـهِ ... والصبـرَ عنـد الـرُّزْءِ، فهـو قـديـرُ
والحكـم للّـه العلـيِّ وإنمـا ... خيـرُ المصـابِ مُسَلِّـمٌ وصَبـورُ

فـي صـالحيـةِ جلَّـقٍ وريـاضِهـا　　أودَى، فـراح إلـى الجنـان يسيـرُ

وضريحُه في روضةٍ قد أنورت　　بضريحِ محيـي الدين وهو منيرُ

بجـواره قـد حـلَّ وهـو ضجيعُـهُ　　نِعـمَ الجـوارُ، وكـم لـه تـأثيـرُ

فعليـه رضـوان ورحمـةُ ربِّـهِ　　ما غـرَّدت فـوقَ الغصـونِ طيـورُ

أو مـا ابـنُ فتـح الله أنشـدَ راثيًـا　　مـا للحمـائـمِ لا تكـادُ تطيـرُ

* * *

نفثة المفصحة العجما في الكلام على حديث
احبب حبيبك هونا ما تأليف العاجز
الضعيف والفقير الحقير
السيد احمد البرزنجي
السيد احمد عفى الله
عنه

صورة غلاف المخطوط وهي بخط المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالإحسان بعد ما تنكر واحاط علمه بكل معلوم فاستوى عنده
الظاهر والمضمر والصلاة والسلام على من ارشدنا لإصلاح المعاش والمعاد وكان
بالمؤمنين رحيما ارحم بهم من الوالدين بالأولاد وعلى آله واصحابه الذين قابلوا شريف
امره بالامتثال فانتهى بهم ذلك إلى قضا حقيقة الهدى من مجاز الضلال اما بعد
فقد تاملت في حديث احبب حبيبك هونا ما فوجدته من جوامع الكلم التي قد انتجت
معاني باهرة البديع بالإيجاز الى حد الإعجاز حتى لو سمعه قس بن ساعدة او سحبان
وائل لاعترف بالعجز عن الإتيان بمثله ولا بدع في ذلك اذ كان
من كلام من اوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا وجعل الله تعالى في
القرآن المنزل كتابه فتحدى باقصر سورة منه مصاقع البلغاء حتى اقروا بالعجز عن
الإتيان بمثله جهارا وتاملت ما تضمنه من معانيه التي لا تتعدد ولا تحصر ان هذا الأمر
يدرك [illegible] اليه بلغة ابيه اسماعيل [illegible] ومدى تواعدها واسابه
[illegible] وثبت اركانها وافتر من سعتها ما ضيق عنه صدور الجهلة
ولا يحيط به الا ملك مقرب او رسول حتى كان لا يخاطب احدا الا بلغته من
العرب ان [illegible] في ذلك ما اتى به من غريب اللغة في حديث ذي [illegible] لانه اعرب
ونطق به لسانه [illegible] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه في جميع حالاته
ومستقبلها عند [illegible] كلمات اللغة العربية مهملها ومستعملها وقد رايت عند الحدث
[illegible] ما لا يفعله الشراب القديم في النشوة والطرب بالنديم كتبت عليه هذه
الرسالة متوسلا بها الى صاحب الوسيلة [illegible] وسميتها [illegible] في الكلام على
حديث احبب حبيبك هونا ما والله المسؤول ان يمن عليها بالقبول فاقول اعلم
اني قد رايت الشيخ الميداني ذكر هذا الحديث في امثاله وقال [illegible] انه مثل من
امثال العرب ولا منافاة فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم تمثل كثيرا بامثال العرب
منها ما يجري على معناه كهذا الحديث ومنها ما اخرجه عن معناه الذي وضع له
بارادة معنى آخر كقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما وذلك لان الجاهلية كانت
تريد نصرة الاخ وان كان ظالما فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما ارادته
واراد بنصرة الاخ الظالم دلالته على الحق واعلامه انه ظالم فاذا فعل ذلك
فقد نصره على هوى نفسه وشيطانه وغضبه وقوله في الحديث احبب
امر ارشاد لا امر ندب لان المقصود به نفع المخاطب في الدنيا قال ابن ابي
في حاشيته على جمع الجوامع قال التاج السبكي الفرق بين الندب والارشاد
ان الندب مطلوب لثواب الاخرة والارشاد لمنافع الدنيا ولا يتعلق به
ثواب البتة لانه فعل متعلق بغرض الفاعل ومصلحته اهـ قلت وعدم
لا ياتي ترتب الثواب لامر الارشاد كالاكل والنوم بقصد التقوي على الطاعة

صورة الورقة الأولى من المخطوط

اذا استعملت في حالة الجحد اثبتت وان أثبتت قامت مقام نفيه

ومما يؤيد ما ذكره ما حكي ان ذا الرمة وهو غيلان صاحب مية لما انشد قوله

اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

اعترضه السامعون بأنه يلزم [illegible] ونفيها اثبات وان الواقع في بيته منفي يكون
مثبتا ويصير المعنى ان رسيس الهوى قد زال من حب مية مع ان مراده دعوى
دوامه وان ذا الرمة لما سمع اعتراضهم غير قوله لم يكد بلم يجد وقال
المحققون ان كاد كغيرها من الافعال نفيا واثباتا وان المعترض مخطئ وان
ذي الرمة له خطأ والصواب بقاء البيت على ما هو عليه ويكون معناه لم يقرب
رسيس الهوى من الزوال اذا ازاح المحبين من ابتعاد بل قوله ابلغ من قوله لم
يبرح رسيس الهوى وذلك لان مقاربة الزوال اذا انتفت فالزوال من
باب اولى ومثله قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها وهو في الاية ابلغ من لم
[illegible] وان من لم ير قد يقارب الرؤية وقالوا ان عسى لا تكون من الله تعالى
الا واجبة ومثلها لعل لاستحالة الترجي والطمع عليه تعالى والتحقيق ان [illegible]
اذا وقعتا في كلامه تعالى كانتا على معناهما [illegible] وهو التوقع والطمع ويكون
ذلك بالنسبة الى المخاطبين لا بالنسبة للمتكلم كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما
السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والمعنى ان كلا من تذكره وخشيته
متوقع ومظنون لكما والذي في علمه القديم انه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ارسلكما
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله في الحديث وابغض بغيضك
بهمزة القطع لانه رباعي يقال ابغض زيد عمرا قال في المصباح قالوا ولا يقال
بغضه بغير الف اهـ قلت وتعبيره بصيغة التبري تشير الى ان بغضه لغة
اقول ويشهد له ما في الحديث وهو قوله بغيضك لان صيغة فعيل لا تصاغ الا من
ثلاثي لكن الانسب في الحديث ان يكون رباعيا ذكره بهمزة القطع ليشاكل قوله
قوله احبب ولا يخفى ان المشاكلة من انواع البديع وفي الحديث ايضا من الانواع البديعية
الطباق بين قوله حبيبك وبغيضك واحبب وابغض وفيه الاشتقاق بين احبب وحبيبك
وابغض وبغيضك وفيه التزايد وهو الاتيان بلفظة لا يقوم غيرها مقامها وهي في
الحديث لفظة ما وفيه الانسجام والايجاز وفيه الموازنة بين قوله احبب حبيبك
وابغض بغيضك وفيه المجاز كما عرفت مما تقدم فهذه ثمانية انواع من البديع وفيه
غيرها والمرتبة لهذا الحديث انه حسن كما ذكره العزيزي عن شيخه واعلم ان الحديث
الحسن قسمان حسن لغيره وهو ما في رجاله مستور لم تحقق اهليته وليس مغفلا
[illegible] وعرف متنه بان يروى من وجه آخر والثاني حسن لذاته وهو ما كان
راويه مشهورا بالصدق لكنه مقصر عن رجال الصحيح في الحفظ وهو مرتفع عن حال
من يعد تفرده منكرا والله اسأل ان يمن علينا بمحبة من وجب علينا محبته
وان يحفظنا مما يوجب بغضه من الاثام وان يتفضل علينا وعلى احبابنا بحسن
الختام وقد قيدت هذه الشوارد بالكتابة خوفا من شرودها عني لا فكار [illegible]
تبلبلت والاهوال التي تسلسلت وكفى بعصرنا هذا عذرا لكل معتذر [illegible]
متذكر نسأل الله فيه المعافاة الدائمة وحفظ الدين وحسن الخاتمة بوسيلة [illegible]
للانبياء خير ختام [illegible] وسلام

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(١٠)

الفَصِيحَةُ العَجْمَا

فِي الكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا

تأليف
الشَّيخِ أَحمَدَ بنِ عَبدِ ٱللَّطِيفِ ٱلبَرْبِيرِ ٱلحَسَنِيِّ البَيرُوتِيِّ
(١١٦٠ - ١٢٢٦ هـ)

تحقيق
رمزي سعد الدين دمشقية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّهِ الذي تعرَّف للمسيء بالإحسان بعدما تنكَّر، وأحاط علمه بكل معلوم فاستوى عنده الظاهر والمُضمر؛ والصلاة والسلام على مَن أرشدنا لإصلاح المعاش والمعاد، وكان بالمؤمنين رحيمًا أرحمَ بهم من الوالدَيْن بالأولاد، وعلى آله وأصحابه الذين قابلوا شريف أمره بالامتثال، فأفضى بهم ذلك إلى قضاء[1] حقيقة الهدىٰ من مجاز الضلال.

أما بعد، فقد تأمَّلْتُ في حديث: «أحبب حبيبك هونًا ما. .» فوجدته من جوامع الكلم التي قد انتهت معاني بيانها البديع بالإيجاز إلى حدِّ الإعجاز، حتى لو سمعه قُسُّ بن ساعدة[2] أو سَحبان بن وائل[3]، لأصبح

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: فضاء.

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو، من بني إياد، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يضرب به المثل يقال: أبلغ من قس. كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئًا على سيف أو عصا. طالت حياته فكان من المعمَّرين، أدركه النبي ﷺ قبل النبوة ورآه في عكاظ، توفي نحو ٢٣ ق. هـ. الأعلام ٥/ ١٩٦، مجمع الأمثال ١/ ٩٩.

(٣) سَحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان. يقال: أخطب من سحبان وائل، وأفصح من سحبان. اشتهر في الجاهلية وعاش زمنًا في الإسلام. كان إذا خطب لم يُعد حرفًا ولم يتلعثم ولم يتوقف ولم يتفكر =

كلٌّ عند سماع مبانيه ورِقَّة معانيه أعيىٰ من باقل[1]، ولا بِدَع في ذلك؛ إذ كان مِن كلام مَنْ أُوتي جوامع الكِلَم واختُصِر له الكلام اختصارًا[2]، وجعل الله تعالى القرآن العظيم كتابه، فتحدَّى بأقصر سورة منه مصاقع البُلَغاء؛ حتى أقرُّوا بالعجز عن الإتيان بمثله جهارًا، وقالوا من دَهَشِهم من معانيه التي لا تعدُّ ولا تحصر: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: ٢٤].

وجيء إليه بلغة أبيه إسماعيل بعد اندراسها وهدم قواعدها وأساسها؛ فشيَّد بنيانها، وثبَّت أركانها، وأظهر من سعتها ما تضيق عنه صدور الفحول ولا يحيط به إلاَّ مَلَكٌ مقرَّب أو رسول، حتى كان لا يخاطب أحدًا إلاَّ بلغة قومه من العُربان، وحسبُك في ذلك ما أتى به من غريب اللغة في حديث زبَّان[3]، لأنه أغرب ما نطق به لسان ووعاه جَنَان.

= بل كان يسيل سيلاً. أسلم زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به، ثم أقام بدمشق أيام معاوية. توفي سنة ٥٤هـ. الأعلام ٣/ ٧٩، مجمع الأمثال ١/ ٢٢٨.

(١) هو مثل يُضرب لمن أعياه الكلام، وباقل رجل من ربيعة بلغ من عِيِّه أنه اشترى ظبيًا بأحد عشر درهمًا فمر بقوم فقالوا له: بكم اشتريت الظبي؟ فمدَّ يديه ومدّ لسانه يريد أحد عشر فشرد الظبي وكان تحت إبطه. مجمع الأمثال ١/ ٤٤٧.
والمعنى: أن إيجاز كلامه ﷺ وإعجازه لو سمعه قس بن ساعدة، وسحبان وائل وهما مضرب المثل في البلاغة والفصاحة لسكتا وعجزا عن الكلام.

(٢) في هذا إشارة للحديث الصحيح الذي رواه البخاري ح ٢٩٧٧، ومسلم ح ٥٢٣، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «بُعثتُ بجوامع الكلِم». وما رواه الدارقطني في سننه ٤/ ١٤٤ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أعطيتُ جوامع الكلم، واختُصِرَ لي الحديثُ اختصارًا».

(٣) هو زبَّان بن قِسْوَر الكُلَفي، صحابي مختلف في اسمه واسم أبيه، حديثه عند الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ١٠٨٥ ــ ١٠٨٦ (طبعة دار الغرب =

فصلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه في جميع حال الأوقات ومستقبلها، عَدَد

= الإسلامي ١٤٠٦هـ ـ تحقيق د. موفق عبد القادر) قال الدارقطني: حديثه منكر الإسناد.

ثم ساق إسناده فقال: حَدَّثنا الحسن بن رشيق بمصر، حَدَّثنا أبو عَليّ أحمد بن مُحمَّد بن يحيى بن جَرير الهَمْداني، حَدَّثني أبو محمَّد عبد الله بن مُحمَّد البَلَويّ، حَدَّثني عُمَارة بن زَيْد الأنصاري من الأوس من ساكني تَيْماء، حَدَّثني إبراهيم بن سعد، عن مُحمَّد بن إسحاق، حَدَّثني يحيى بن عُرْوَة بن الزبير، عَنْ عُرْوَة بن الزُّبير، عن زَبَّان بن قِسْوَر الكُلَفيّ، قال: رأيت رَسول الله ﷺ، وهو نـازِل بـوادي الشَـوْحَـط ومعـه رَجُـلٌ دونـه فـي هَـدْيـه وَسَمْتِـهِ، إذا كَلَّـم رَجُـلٌ رسولَ الله ﷺ فأطالَ، أومأ إليه أنْ اقتصر، وإذا كَلَّم رسول الله ﷺ رَجُلاً سَمَّعَهُ وفَهَّمَهُ قول رسول الله ﷺ، فقلت لبعض أصحابه: مَن هذا؟ قالوا: هذا صاحبه الأخص أبو بكر الصدّيق، فَكَلَّمتُ رسول الله ﷺ فقلت: إنّ لُوْبًا لنا نحلاً كان في عَيْلم لنا له طِرم وشبرق، فجاء رَجلٌ فضرب مَيْتَيْن فأنْتج حَيًّا وكَفَّنه بالثُّمَام فانحسر فطار اللُّوب هاربًا ودَلى مشواره في العَيْلم، فاشتار العَسَل فمضى به. فقال رَسولُ الله ﷺ: «مَلْعونٌ مَلْعُونٌ من سَرق شبرق قوم فأضَرَّ بهم، أفلا تَبعتُم أثره، وعَرفتم خبره». قال: قلت: يا رَسول الله إنّه دخل في قوم لهم مَنْعَة وهم جِيرتنا مِن هُذَيْل. فقال رَسولُ الله ﷺ: «صَبرك صبرك، ترد نهر الجنَّة وإنَّ سَعَته كما بين اللّقيقة والسُّجَيقة يتسبسب جَرْيًا بعَسَلٍ صافٍ مِن قذاه، ما تقيأه لوب ولا مَجّه ثوب».

وقال الدكتور موفق، محقق «المؤتلف والمختلف»: لم أقف على معظم ألفاظه الغريبة معنىً ولا لأسماء الأمكنة تعريف.

قال حافظ المغرب أبو عمر ابن عبد البرّ في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ١/ ٥٨٧ (بهامش الإصابة): حديثه غريب، فيه ألفاظ من الغريب كثيرة، وهو عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عنه، وهو حديث ضعيف الإسناد، ليس دون إبراهيم بن سعد من يُحتجُّ به فيه، وهو عندهم منكر.

كلمات اللغة العربية مهملها ومستعملها.

ولمَّا رأيتُ هذا الحديث قد فعل بـي ما لا يفعله الشراب القديم، من النشوة والطرب بالنديم، كتبتُ عليه هذه الرسالة متوسِّلاً بها إلى صاحب الوسيلة والرسالة، وسمَّيتها:

الفصيحة العجما

في الكلام على حديث «أحبب حبيبك هونًا ما»

والله المسؤول أن يمنَّ عليها بالقبول، فأقول:

اعلم أنَّني قد رأيتُ الشمس المَيداني ذكر هذا الحديث في أمثاله[1]. وقال الخطَّابـي: إنه مَثَل مِن أمثال العرب. ولا مناقضة؛ فقد ثبتَ أنه ﷺ تمثَّل كثيرًا بأمثال العرب، فمنها ما بقي على معناه كهذا الحديث، ومنها ما أخرجه عن معناه الذي وُضِـع له بإرادةِ معنًى آخر، كقوله: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[2]، وذلك لأنَّ الجاهلية كانت ترى نُصرة الأخ وإن كان ظالمًا، فاستعمله النبـي ﷺ في غير ما أرادت، وأراد بنصرة الأخ الظالم دلالته على الحق وإعلامه أنه ظالم. فإذا فعل الفاعل به ذلك فقد نصره على هوى نفسه وشيطانه وغضبه.

وقوله في الحديث: «أحبب»، أمر إرشاد لا أمر ندب؛ لأنَّ المقصود به نفع المخاطب في الدنيا. قال ابن أبي شريف في حاشيته على جمع الجوامع[3]:

---

(١) مجمع الأمثال ١/ ١٩١.

(٢) رواه البخاري ح ٢٤٤٤ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) هو كمال الدين محمد ابن الأمير ناصر الدين محمد المقدسي، المعروف بابن أبـي شريف، المتوفى سنة ٩٠٦هـ، أصولي من علماء الشافعية، واسم حاشيته: =

قال التاج السبكي: الفرق بين الندب والإرشاد، أنَّ الندب مطلوب لثواب الآخرة، والإرشاد لمنافع الدنيا ولا يتعلَّق به ثواب البتَّة؛ لأنه فعل متعلق بغرض الفاعل ومصلحته[1]. اهـ.

قلتُ: وهذا لا ينافي ترتُّب الثواب لأمر خارج، كالأكل والنوم بقصد التقوِّي على الطاعة وتحصيل النشاط لقيام الليل والتهجُّد فيه، وكالنكاح يريد به كفَّ نفسه وتحصيل ولد يُكثِّر به سواد الأمة.

قال التاج السبكي: والتحقيق أنَّ فاعل ما أُمِرَ به إرشادًا إنْ أتى به لمجرَّد غرضه فلا ثواب له، وإنْ أتى به لمجرد الامتثال غير ناظر إلى مصلحة ولا قاصد غير مجرَّد الانقياد لأمر ربه أُثِيبَ، وإن قصد الأمرين أُثيبَ على أحدهما دون الآخر، ولكن ثوابًا أنقص من ثواب من لم يقصد غير مجرَّد الامتثال. اهـ.

قلتُ: وهذه المسألة ـ وهي الجمع بين القصدين ـ تجري كثيرًا فيمن يقرأ نحو (الواقعة) لأجل حصول الغنى، و (يٰس) لغرضٍ من أغراضٍ، ويُدمن الاستغفار لتوسعة الرزق، ويصلِّي على النبي ﷺ لقضاء حاجته. فجزى الله الإمام السبكي خير جزاء حيث صرَّح بإثابة مَن ابتُلي بهذا الداء لأنه مما ابتُلي به الجمُّ الغفير والجمع الكثير، وهو مقام العامة.

وأما مقام الخاصة، فهو تنزيه العمل عن شرك الإشراك وإخلاصه لِمَلِكِ الأملاك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، فتراهم لا يطلبون في عبادتهم من غير الله مددًا، فلمَّا شغلتهم

= الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع، طبعت في فاس سنة ١٣١٢هـ في جزئين، ولم أعثر عليها في مكتبات المشرق.

(١) تنظر هذه المسألة في حاشية البناني على شرح جمع الجوامع ١/ ٣٧٢.

عبادته عمَّن سواه أعطى كلاًّ منهم ما تمنَّاه. كما قال تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ شغله ذكري عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين»(١).

ورحم الله من قال: [من مجزوء الرجز]

واعمــلْ لــوجــهِ واحــدٍ يكفيــكَ كُــلَّ الأوجــهِ

وفي الحديث القدسي أيضًا: «يا دنيا مَنْ خدمني فاخدميه، ومَنْ خَدَمَكِ فاستخدميه»(٢).

وقوله في الحديث: «**أحبب**» خطاب عام لكل مَن يصلح للمخاطبة، لكن قرينة كونه إرشاديًّا دلَّت على أنَّ المراد بالخطاب المؤمنُ فقط، لأنه لو كان الأمر فيه للندب لبقي على عمومه بناءً على أنَّ الكافر مُخاطب بالأحكام الشرعية، وأنه يعاقب على تركها زيادة على عقاب كفره.

وقوله: «**حبيبك**» من صيغ العموم؛ لأنه مفرد مضاف، لكنه هنا من العام الذي أريد به الخصوص، وذلك لأنه أُريد به كل من تستحيل محبته بغضًا بقرينة السياق، فيخرج بذلك محبَّة الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، وكذا محبَّة الحقِّ تعالى؛ لأنه لا يُخشى في تلك المحبة إذا جاوز الشخص فيها حدَّها ما ذُكِرَ من استحالتها بغضًا، بل الإفراط فيها مطلوب مشكور، وفاعله ولو تجاوز الحدَّ معذور، ففي الحديث: «اذكر الله حتى يقولوا مجنون»(٣).

---

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٠٥، ط. مؤسسة الرسالة ١٩٨٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/٦٨، ٧١، من حديث أبي سعيد الخدري، =

ورأيتُ الشيخ الأكبر قُدِّس سرّه ذَكَرَ: أنه رأى رجلاً من أهل المحبة في مجلس، فتكلم فيه رجل على المحبة، فأخذ ذلك المحبُّ يذوب جسمه حتى عاد نطفة، فقام بعض الحاضرين وأخذ تلك النطفة فوضعها في قطنة ووضع القطنة في شق الحائط[1]!!

قلتُ: ولم أرَ من تكلم في الحديث بما ذكرتُه.

واعلم أنَّهم فرَّقوا بين العام المخصوص والذي أُريد به الخصوص بفروق، منها: أنَّ العام المخصوص قرينته لفظية كالشرط والاستثناء وغيرهما، والعام الذي أريد به الخصوص قرينته عقلية. ومنها: أنَّ العام المخصوص مستعمل فيما وضع له فهو حقيقة، والذي أريد به الخصوص مستعمل في غير ما وضع له فهو مجاز، وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، لأنَّ المراد بالناس الأُولى رجل واحد وهو نُعَيْم بن مسعود الأشجعي[2]، وكقوله: ﴿أَمْ

= بلفظ: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون». ورواه أبو يعلى في مسنده ٢/ ٥٢١، ح ١٣٧٦، من حديث أبـي سعيد أيضًا بلفظ: «اذكروا الله ذكرًا كثيرًا حتى يقولوا مجنون».

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٧٥ ـ ٧٦، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه درَّاج وقد ضعفه جماعة، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات.

(١) هذا الكلام عجيب جدًّا، بل لا يعقل ولا يصح ولو رآه شيوخ الدنيا كلها، وليت المؤلف اكتفى بما تقدَّم من نُقول عن الإمام السبكي، ففيها شفاء واكتفاء، وعليها التعويل في فهم كلامه ﷺ.

(٢) هو قول مجاهد وعكرمة ومقاتل في آخرين، وللمفسرين في تأويل الآية أقوال أخرى. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٥٠٤.

ونعيم بن مسعود صحابـي أسلم زمن الخندق، وهو الذي خذَّل المشركين وبني =

﴿ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [النساء: ٥٤]، لأنه أراد بهم نبيّنا ﷺ كما ذكره المفسّرون(١).

وبما تقرَّر عُلِم أنَّ الحديث من الدِّين المفسر بالنصيحة لخاصة المؤمنين وعامَّتهم.

وقوله في الحديث: «هَونًا» بفتح أوله، أي: لينًا سهلاً رفيقًا بسكينة ووقار.

قلت: وذلك لأنَّ المؤمن هيِّن ليِّن، فناسب أن يكون حُبُّه وبغضه مثله في اللين والرقة والسهولة. تقول: هان الشيء يهون، كقال يقول؛ إذا سهل ولان. وأما الهُون بضم أوله فهو الذلُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ [النحل: ٥٩].

وقوله في الحديث: «ما» يصحُّ أن يراد هنا من معانيها العشرة ثلاثة معانٍ، كما استخرجتُ ذلك من كلام القاضي البيضاوي(٢) ومَنْ كَتَب على عبارته كشيخ الإسلام، والشهاب الخَفَاجي، وشَيْخِي زَادَه، وابن تَمجيد(٣)

= قُريظة يوم الخندق حتى صرفهم الله بعد أن أرسل عليهم ريحًا وجنودًا لم يُرو، مات في أول خلافة علي رضي الله عنهما.

(١) هو قول أغلب الصحابة والتابعين. زاد المسير ٢/ ١١٠.

(٢) أي في تفسيره المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل».

(٣) **شيخ الإسلام**: هو القاضي زكريا بن محمد الأنصاري (المتوفى ٩٢٦هـ)، واسم حاشيته: «فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل».

الشهاب الخَفَاجي: هو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (المتوفى ١٠٦٩هـ)، واسم حاشيته: «عناية القاضي وكفاية الراضي».

شيخي زاده: هو القاضي عبد الرحمن بن محمد المعروف بشيخي زاده (المتوفى =

وغيرهم، ومن شرح الميداني لأمثاله[1]، ومن إعراب القرآن المبين للسَّمِين[2]، ومن المُنَاوي والعَلْقَمي والعَزِيزي[3]:

المعنى الأول: أن تكون «ما» زائدة للتأكيد.

المعنى الثاني: أن تكون صفة للنكرة التي قبلها، ويكون المعنى: أيُّ هون. قال البيضاوي[4]: فـ«ما» إبهامية تزيد النكرة إبهامًا، أي: خفاءً. وشِياعًا، أي: عمومًا. قال ابن تمجيد: ويتفرع على الإبهام الحقارة، كقولك: أعطِ شيئًا ما، أي: شيئًا حقيرًا. أو الفخامة كقولهم:

= ١٠٧٨هـ)، له حاشية على تفسير البيضاوي.

ابن تمجيد: هو مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المعروف بابن التمجيد (المتوفى ٨٨٠هـ)، كان معلم السلطان محمد الفاتح، له حاشية على تفسير البيضاوي.

(١) مجمع الأمثال ص ١٩١.

(٢) **السمين**: هو شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي (المتوفى ٧٥٦هـ)، واسم كتابه: «الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون» طبع بتحقيق الدكتور أحمد محمد الخرَّاط.

(٣) **المناوي**: هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي (المتوفى ١٠٣١هـ)، وكلامه في شرحه على «الجامع الصغير» للسيوطي، وله عليه شرحان: كبير وهو «فيض القدير»، ومختصر وهو «التيسير بشرح الجامع الصغير».

العلقمي: هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي (المتوفى ٩٦٩هـ)، تلميذ الإمام السيوطي، واسم كتابه: «الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير».

العزيزي: هو علي بن أحمد العزيزي البولاقي (المتوفى ١٠٧٠هـ)، واسم كتابه: «السراج المنير بشرح الجامع الصغير».

(٤) أنوار التنزيل ص ١٧، ط مصطفى البابي الحلبي ـ ١٣٧٥هـ.

لأمر ما يسّود من يسوَّد. وقولهم: لأمر ما جَدَع قصيرٌ أنفه. اهـ.

قلت: لكن المراد في الحديث هنا التحقير؛ لأن المقصود حبًّا قليلاً.

المعنى الثالث: أن تكون «ما» نكرة، كما نقله قطب دائرة الولاية وكنز دُرِّ بحر الهداية والعناية، مَنْ تشرف به العالم المثالي والعالم الحسِّيّ[1]، سيِّدي العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي قُدِّس سرّه في كتابه «الحاوي على البيضاوي» عن الفرَّاء وثعلب والزجَّاج في تفسير قوله تعالى: ﴿سَلَمًا﴾ [هود: ٦٩]، وأنها إذا كانت نكرة كانت بدلاً مما قبلها. اهـ.

والتقدير: أحبب حبيبك حبًّا متوسطًا، لأنَّ المبدل منه في نية الطرح فيكون المقصود الأعظم هو التوسُّط في الحب الذي أفادته «ما».

قلت: وقد رأيت في «مجمع البحار» المؤلَّف في تفسير ألفاظ صحيح البخاري، تأليف العلاَّمة شمس الدين محمد طاهر الهندي الفَتَّني[2] ـ بفتح الفاء وتشديد المثناة من فوق وكسر النون وبياء النسبة ـ نسبة إلى بلدة فتَّن من بلاد گجرات من قطر الهند: أنَّ «ما» في الحديث للتقليل.

---

(١) لا يليق أن يوصف بهذا الوصف إلاَّ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فهم الكُمَّل الذين تشرَّفت بهم البقاع والأماكن، أما غيرهم فليس بمعصوم مهما بلغ من العلو في درجات الصلاح، والله أعلم بسريرة قلبه فنحسِّن الظن به ولا نجزم له بشيء لأنَّ في ذلك تَقوُّلاً على المولى الكريم. وربما يُعتذر للمؤلف بأنَّ هذه كانت لغة عصره، سامحه الله بعميم عفوه.

(٢) الملقب بملك المحدِّثين (المتوفى ٩٨٦هـ)، واسم كتابه: «مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار»، طبع في الهند قديمًا ١٢٨٤هـ.

قلت: وهو كالذي قدمناه عن ابن تمجيد أنه يتفرَّع من كونها للإبهام التحقير والتفخيم، ويصح في آية: ﴿مَثَلًا مَّا﴾ هذه الأوجه الثلاثة، ويزاد على ذلك وجهان في قراءة مَنْ رفع ﴿بَعُوضَةٌ﴾:

الأول: كونها موصولة حذف صدر صلتها والتقدير: مثلاً الذي بعوضة.

والثاني: أنها استفهام، هي المبتدأ وبعوضة خبرها ويكون الاستفهام في الآية لتقرير عدم الاستحياء.

قال شيخي زاده: ويكون المعنى: ما البعوضة فما فوقها حتى لا يَضرب الله بها المثل، بل له تعالى أن يُمثِّل بما هو أحقر من ذلك. اهـ.

قلت: وذلك لعدم تفاوت الخلق كما قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، أي: في إحكام الصنعة، لأنَّ البعوضة وإن كانت حقيرة لا تفاوت بينها وبين الفيل في إحكام صنعتها. أو المراد بعدم تفاوت الخلق من حيث دلالة كلٍّ من الكبير والصغير والعظيم والحقير على وجود اللطيف الخبير، وعلى انفراده بالألوهية وبالصفات الكمالية، كما قيل: [من المتقارب]

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحدُ

ورحم الله من قال: [من الكامل]

ورقُ الغصونُ إذا نظرتَ دفاتِرُ مشحونةٌ بأدلةِ التوحيدِ

وقوله في الحديث: «أحبب» بهمزة القطع في الرواية، فيكون مما ماضيه رباعي. وفي ماضيه أربع لغات ذكرها في المصباح[1]:

هذه أولها: وهي: أَحْبَبَ.

---

(١) المصباح المنير ص ١١٧.

ثانيها: ثلاثية، وهي: حَبَبْتُه أحِبُّه من باب ضَرَبَ، والقياس أَحُبُّه بالضم لكنه غير مستعمل. اهـ. قلت: وإنما كان القياس فيه الضم لأنه فعل مضاعف متعدٍّ، وكل ما كان كذلك كان مضارعه بالضم؛ لأنه يكون من باب قتل، وذلك كقولهم: ردّه يردُّه، وعدّه يعدُّه، وضرّه يضُرُّه، وَسَرَّه يَسُرُّه، وهكذا.. فجاء هذا مخالفًا للقياس.

اللغة الثالثة: حَبِبْتُه أَحَبُّه، من باب تَعِبَ.

رابعها: لغة هُذَلِيَّة، وهي: حَابَبْتُه حِبَابًا، من باب قَاتَل، فهو مَحبُوب وحَبيبٌ والأنثى حَبِيبةٌ، وجَمعُها حبائب، وجمع المذكر أَحِبَّاء. وكان القياس أن يجمع جمع شُرَفاء، لكنهم كرهوا اجتماع المثلين، وقد قال أعلام اللغة: كل ما كان على فعيل من الصفات، فإن كان غير مضاعف فبابه فُعَلاء كشَرِيف وشُرَفاء، وإن كان مضاعفًا فبابه أفعلاء مثل حَبيب وطَبيب وخَلِيل.

واختُلفَ في حدِّ الحبِّ واشتقاقه وسببه وفي كونه اختياريًّا أو اضطراريًّا.

أما الحدُّ فقال قوم: إنه لا يُحَدُّ، فقد حُكي أنه قيل لامرأة عُذْرية: ما الحب؟ فقالت: والله إنه أجلُّ من أن يُرى، وخفي عن أبصار الورى، فهو كامن كُمُون النار في الحجر؛ إن قدحته ورى وإن تركته توارى. وعلى هذا قول سلطان العشاق سيِّدي عمر بن الفارض في بكر من أبكار أفكاره[1]: [من الطويل]

هو الحُبُّ فاسلمْ بالحَشَا ما الهوى سَهلُ
فما اختارهُ مُضْنًى به وله عَقلُ

(١) شرح ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني ٢/ ٩٠، المطبعة الخيرية ١٣١٠هـ.

فانظر كيف أتى بهذا الضمير الجليل الذي لا يؤتى به إلاَّ في مقام التعظيم والتهويل كقول أبـي العلاء المعرِّي : [من الطويل]

هـو الهَجـرُ حتـى مـا يُلـمَّ خيـالُ وبعـض صـدودِ الـزائـريـنَ وِصَـالُ

والضمير في قوله: (هو الحب) عائد على حاضر في الذهن كأنَّ الذهن استحضره لعظمته وتصوَّره لرفعته وهو مبتدأ خبره الحب، والجملة بعده استئنافية والفاء في المصراع الأول واقعة في جواب شرط مقدَّر تقديره حيثما حكمتَ بأنَّ الحب في هذه المرتبة العالية العظيمة، فاسلم بنفسك قبل أن تنشب المنية فيك أظفارها وترسل عليك شِوَاظها وشَرارها.

وقال قوم: بل الحب يحدُّ، وأنه ميل القلب، وذلك الميل ناشىء إما عن رؤية المحبوب أو سماع أوصافه، ويقال للثاني حبٌّ موسوي كما قال بعضهم:

[من مجزوء الكامل]

فعلمـتُ أنـي مُـوسـوي م العِشـقِ إدراكـا

ويعني: أهوى بجارحة السماع ولا أرى عين المسمَّى.

وقال آخر[1]: [من البسيط]

. . . . والأذْنُ تَعشـقُ قَبـلَ العيـنِ أحيـانَـا

فإذا رأى الرائي صورة أو سمع بأوصافها صوَّرها في ذهنه فمال إليها قلبه متوهّمًا أنها اختصَّت بصفات كمالية لا توجد في غيرها. ولا تقع محبة بين شخصين إلاَّ بعد وجود مشاكلة ما بينهما، ولذا قال الشاعر: [من السريع]

وقَـائـلٍ كيـفَ تفـرقتُمـا فقلـتُ قـولاً فيـه إنصـافُ

---

(١) ديوان بشار بن بُرد ص ٢٢٣ جمع محمد بدر الدين العلوي ـ دار الثقافة بيروت.
وصدره: يا قومُ أذني لبعض الحيِّ عاشقةٌ.

لـــم يَــكُ مـــن شكلـــي ففـــارقتُـــهُ   والقـــــومُ أشكـــــالٌ وأوصـــــافُ

ومن اللطائف ما حكي أنَّ التِّيمور كان يحبّ السيد الجُرجُاني لفضله، وكان يبالغ في إكرامه حتى مال السيد إليه لما جُبِلتْ عليه القلوب من حُبِّ مَنْ أحسن إليها، فتذكر السيِّد يومًا في ميله إلى ذلك الرجل وصحبته له وتردُّده عليه فشرع يوبخ نفسه قائلاً: لولا مناسبة ومشاكلة فيكِ لهذا الرجل لما كان منكِ ميل إليه. ثم انقطع عن التردُّد إلى التيمور، فاستبطأه وأرسل يستحضره فلم يحضر، فذهب التيمور إليه مستخفيًا، فلما رآه قال له: سألتك بالله ما الذي قطعك عني؟ فأخبره السيِّد بواقعة الحال، فلما أتمَّ كلامه قال: سبحان الله كيف خفيت عليك المناسبة بيني وبينكَ إلى هذا الوقت، أتريد مناسبة أحسن من كوني وإيَّاكَ نحب أهل البيت، فعند ذلك انشرح صدر السيِّد لهذا المقال وكأنما نَشِط من عِقَال، وعاد إلى صحبته والتردُّد عليه[1].

وقال بعض الحكماء: الحب داء وسواسي لا يعرض إلاَّ للقلوب الفارغة. وقيل: الحبُّ عمى المحبّ عن إدراك عيوب المحبوب، أو عرض وسواسي يجلبه الإنسان إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور.

قلت: وعليه قول المجنون[2]:   [من الطويل]

أتاني هَواهَا قبلَ أنْ أعرفَ الهوى   فصـــادفَ قلبًـــا خـــاليًـــا فتمكَّنـــا

---

(١) المعروف عن تيمورلنك أنه كان من الظالمين الذين استباحوا دماء الناس، وأما محبته آل بيت النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله فلن تنفعه مع ما فعله من إراقة الدماء. كما لا يتصور أن يميل الإمام الجرجاني وهو من هو في علماء الإسلام إلى هذا الظالم ويحبه ويقدمه.

(٢) ديوان مجنون ليلى ص ٢٨٢.

قلت: وبما قدَّمتُه عُلِم سببه، والمعتمد أنه اختياريٌّ ابتداءً اضطراري انتهاءً، وذلك كاستعمال الأفيون.

وأما اشتقاقه، فقيل: من حبة القلب فمعنى أحببت زيدًا أصبت به حبَّة قلبي كما أن الشغف إصابة شغاف القلب، وهو غشاؤه الذي يحيط به، وقيل: هو من حباب الماء وحببه لصفائه ورقَّته. وقيل: من الحب بالضم وهو إناء كبير يوضع فيه الماء، وذلك لأنَّ الحب الذي هو ميل القلب يحتوي على الرقة واللطافة كما يحتوي حُب الماء على ذلك الجوهر اللطيف السيّال.

واعلم أنَّ الحب يزداد حتى يبلغ الشغف، وهو أن يصل إلى شغاف القلب كما قدمنا، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]، أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها، فإن زاد على ذلك وجاوز الحدَّ سُمِّي عشقًا مأخوذ من شجر تسمى العشقة تعود بعد نضرتها وخضرتها معفَّرة الأوراق ثم تذبل وتصير هشيمًا تذروه الرياح، شبهوا العاشق بها في ذلك.

فإن زاد العشق وأفرط كان هُيامًا وصاحبه هايم، وهو الذي لا يدري أين يتوجَّه، وحينئذ يختلّ نظامه ويقلُّ كلامه ويطير كَراه من وكر جفنه وينفد دهن مصباح عقله وذهنه. فإذا انقلب والحالة هذه حبيبه بغيضًا زادت البليَّة وعظمت الرزيَّة، فلذلك قال سيِّد المرشدين وإمام الهادين والمهتدين صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى مَن آلَ بالقرابة أو المحبة أو بهما إليه: «أحبب حبيبك هونًا ما»، أي: مقتصدًا في المحبة لا مائلاً إلى إفراط ولا تفريط، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يكن

حبُّكَ كَلَفًا ولا بغضك تلفًا[1].

قوله: كلفًا ــ بفتح الكاف واللام ــ هو العشق، وقد تقدَّم أنه مجاوزة حدِّ المحبَّة؛ وأما الكَلِف ــ بكسر اللام ــ فهو مَنْ قام به الكَلَف. وقوله: ولا بغضك تلفًا، أي: مفضيًا بكَ إلى تلف من أبغضته.

وقال الشاعر: [مجزوء الرجز]

حـــبُّ التنـــاهـــي غَلَـــطْ خَيـــرُ الأمـــورِ الـــوَسَـــطْ

لأنَّ ما يخرج عن الوسط خرج عن الاعتدال، ولذلك جعل الله هذه الأمة وسطًا عدولاً غير مائلة إلى طرف من الأطراف، كالأمم قبلها، فإنَّ منها من مال إلى طرف الإفراط، ومنها من مال إلى طرف التفريط.

قلت: **وقوله**: «**أحبب**» ليس المراد به حقيقة الأمر بالحب بل المراد به الأمر بمعاملة من يحبه معاملة من لا يُفرِط في محبته ولا يفرِّط، وذلك يفهم من قرينة عقلية وهي أن الحب اختياري ابتداءً اضطراري انتهاءً كما تقدَّم، وإذا كان كذلك وأحبَّ الشخص حبيبًا كيف يتأتى له أن يجعل حبه غير مفرط، وقد ثبت أنه غير داخل تحت اختياره فكيف يسوغ أمره بعدم جعله مُفْرِطًا، هذا وليس الأمر في الحديث للندب حتى نقول برأي مَنْ يرى التكليف بالمُحَال، فتعيَّن أن يكون قوله: «أحبب» من المجاز المرسل وعلاقته هنا السببية لأنَّ الحب سبب لمعاملة المحبوب، ويكون المعنى: عامل حبيبكَ معاملة مَنْ لا يخرج عن حدِّ المحبَّة ولا تعامله معاملة مَنْ يخرج عن حدّها بحيث تطلعه على عُجَرك وبُجَرك وسرائرك وضمائرك

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ح ١٣٢٢، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط. البشائر الإسلامية.

وذخائرك، فلربما استحالت صداقته عداوة ومرّ ما كنتَ تعهده فيه من الحلاوة، كما قال الشاعر: [من مجزوء الكامل]

احــــذر عـــــدوَّك مـــــرَّةً واحــذرْ صـديقـكَ ألـف مـرَّهْ
فلــــربمــــا انقلـــب الصــديـ ـــقُ فكــانَ أدرى بــالمضــرَّهْ

وقال آخر: [من الوافر]

سَلمـتُ مـن العـدوِّ فمـا دَهـانِـي سِـوى مَـن كـان معتمـدي عليـهِ

وقال آخر: [من المجتث]

لـو قيـل لـي سَـلْ أمـانًـا مــن حـادثـات الـزمـانِ
لمـا سـألـتُ أمـانًـا إلَّا مــن الإخـــوانِ

وقال آخر: [من المجتث]

أمَّـــا العـــدو فيُبــدي مــا عنــده ويكــاشــفْ
لكـــنْ تــوقَّ وحــاذرْ مـن الصـديـق المُـلاطـفْ

وقال ابن الوردي[1]: [من الرَّمَل]

لا يَغُـرنَّـكَ لِيـنٌ مـن فتـى إنَّ للحيَّـاتِ لِينًـا يُعتَـزل

وقلتُ في المعنى: [من الكامل]

لا تَطمئـــنَّ بلَيِّـــنٍ فلكـــم مِــنْ ليِّــنٍ قــد فتَّـتَ القـاسـي
وانظـر إذا استغـربـتَ قـولـيَ فـي فعـلِ الـرصَـاصِ بمعـدنِ المَـاسِ

وفي الحديث: «أخوكَ البِكْري ولا تأْمنه»[2]. قوله: «أخوك» هكذا

---

(١) لامية ابن الوردي المسماة: نصيحة الإخوان، ص ١٠٩ من فتح الرحيم الرحمن شرح نصيحة الإخوان ــ المطبعة العثمانية بالقاهرة ١٣٠٣هـ.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الحذر من الناس، ح ٤٨٦١، والإمام =

الرواية، وكان القياس: أخاك، لأنَّ المقام مقامُ التحذير.

قال العزيزي[1]: وهو مبتدأ. وقوله: «البكري» نعت له، والخبر محذوف تقديره يُخاف منه. وقال الخطابي: هذا مثل مشهور عند العرب، وفي هذا الحديث إثبات الحذر واستعمال سوء الظن إذا كان على وجه السلامة. اهـ.

قوله: (واستعمال سوء الظن)، اعلم أن سوء الظن بالأخ المسلم حرام؛ لقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، فما ورد من الأحاديث مما ظاهره يخالف ذلك كهذا الحديث، وحديث: «الحزم سوء الظن بالناس»[2] محمول على معاملة الأصدقاء معاملة من يُساء به الظن مع حسن الظن بهم، فإنْ تَرَكَ ذلك كان تاركًا

= أحمد في المسند ٥/ ٢٨٩، من حديث عمرو بن الفَغْوَاء الخُزاعي في قصة طويلة.
وقال المنذري: في إسناده محمد بن إسحاق بن يسار.
والنبي ﷺ استعمل هذا المثل تنبيهًا لعمرو بن الفغواء عندما أرسله بمال لأبي سفيان بمكة بعد الفتح، وذلك تحذيرًا من رفيقه الذي صاحبه في تلك الرحلة قائلاً له: «إذا هبطتَ بلاد قومه فاحذره، فإنه قد قال القائل: أخوك البكري ولا تأمنه».

(١) السراج المنير شرح الجامع الصغير ١/ ٧٤.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ح ٦٠٢، وتمَّام في فوائده (الروض البسام) ح ١١٦٧ من حديث أنس، بلفظ: «احترسوا من الناس بسوء الظن»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٨٩: رواه الطبراني في الأوسط وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.
وللحديث شواهد عند أحمد في الزهد والبيهقي في السنن والديلمي في مسند الفردوس، ذكرها السخاوي. ينظر: المقاصد الحسنة ص ٢٤.

للحزم فلربما ندم على تركه حيث لا ينفعه الندم. وعلى ما تقدَّم يُحمل، مثل قول الشاعر: [من الرمل]

لا يكُـــنْ ظَنُّـــكَ إلاَّ سيِّئًـــا   إنَّ سُـوء الظـنِّ مِـنْ أقـوى الفِطَـنْ
مـا رمـى الإنسـانَ فـي مَهلَكَـةٍ   غير حُسْنِ الظنِّ والفِعْلُ الحَسَنْ

وقوله في الحديث: «البِكري» ـ بكسر الباء ـ هو أول ولد الوالدين، فهذا لا تأمنه فضلاً عن الأجنبي.

وفي الحديث أيضًا: «أُخْبُرْ تَقْلُه»[1]، قوله: «أخْبُر» بإسكان الخاء المعجمة وضم الموحدة، وقوله «تُقْلُه» بتثليث اللام كما قاله العزيزي[2]، وهو من القلى وهو البغض. قلت: والأمر فيه بمعنى الخبر كما في قوله: «إذا لم تَسْتَحِ فاصنَع ما شِئتَ»[3]، أي: صنعتَ، وهنا معناه إذا اختبرت الناس قليتهم لما يظهر لك من سوء بواطنهم، وحُذف معمولُ الخبر لإرادة العموم، لأنَّ حذف المعمول يؤذن بالعموم، والتقدير أخبر من شئت أو أي صاحب. والهاء في قوله: «تقله» هاء السكت، ويصح أن تكون ضميرًا عائدًا على المعمول المقدَّر، أي: أخبر صاحبك تقله.

---

(١) رواه الطبراني من حديث أبـي الدرداء مرفوعًا وموقوفًا، قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٩٠: وفيه أبو بكر بن أبـي مريم وهو ضعيف.
وقد ذكر السخاوي هذا الحديث في المقاصد الحسنة ص ٢٥ وبيَّن طرقه وضعفها ثم قال: ومن شواهده ما اتفق عليه الشيخان عن ابن عمر مرفوعًا: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة».

(٢) السراج المنير ١/ ٦٩.

(٣) رواه البخاري ح ٣٤٨٣ من حديث أبـي مسعود البدري بلفظ: «إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحي...».

وفي المعنى قول الشاعر: [من البسيط]

جَرَّبتُ دهري وأهليه فما تَرَكَتْ لِيَ التجاربُ في ودِّ امرىءٍ غَرضَا

ويرحم الله أبا نُوَاس حيث يقول[1]: [من الطويل]

إذا اختبرَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

وقال آخر: [من الطويل]

وزهَّدني في الناسِ معرفتي بهم وطولُ اختباري صاحبًا بعد صاحبِ

فلم تُرني الأيامُ خِلاًّ تَسرُّني مباديه إلاَّ ساءني في العواقبِ

وقال آخر: [من الطويل]

وقد كان حُسْنُ الظنِّ بعضَ مذاهبي فأذهبه هذا الزمانُ وأهلهُ

وقال آخر: [من مجزوء الخفيف]

جَنِّب الناس جانبا وارْضَ بالله صَاحِبَا

قَلِّب الناسَ كيف شئـ ـتَ تجدهم عَقَارِبَا

وقال آخر: [من المجتث]

الناسُ بحرٌ عميقٌ والبُعْدُ عنهم سَفينهْ

وقد نصحتُكَ فانظرْ لنفسكَ المسكينهْ

وقال آخر: [من الكامل]

جرَّبتُهم فإذا المُعَاقرُ عَاقرٌ والآلُ آلٌ والحَميمُ حَميمُ

(١) ديوان أبي نواس ص ٢٦٤، جمع محمد كامل فريد ط ١٩٤٥م، ونصه: إذا امتحن الدنيا. . .

وقلت في المعنى: [من الوافر]

لقد جرَّبتُ أصحابي فكانوا ... على التجريب من شَوكِ القَتَادِ
قليتُهمُ فباتوا يسلُقوني ... إذا غابوا بِأَلسِنَةٍ حِدَادِ

وقلتُ أيضًا: [من الوافر]

إلى ذي العدلِ أشكو من أُنَاسٍ ... إذا قابلتُهم كانوا مَرآئي
وإن غابوا عن العينين عادوا ... مَقاريضًا لعِرْضي في الخَلاءِ

وقوله في الحديث: «عسى أن يكون بغيضك» عسى هذه من أفعال المقاربة، وهي فعلٌ ماضٍ جامد، وفيه ترجٍّ وطمع، وعمله عمل كان، كما قال في الخلاصة[1]: [من الرجز]

ككانَ كادَ وعسى لكنْ نَدَرْ ... غَيرُ مضارعٍ لهذَيْنِ خَبَرْ

وتكون مثل كان ناقصةً وتامة، فالناقصة مثل قولك: عسى زيد أن يقوم، والتامة مثل: عسى أن يقوم زيد، فجملة أن يقوم فاعل، والتقدير: قارب قيام زيد. فإن قيل: أين يكون الفاعل جملة في اللفظ؟ فقل: مثل أن المصدرية توصَل بالفعل، وكما تكون عسى للترجِّي والطمع كذلك تكون بمعنى اليقين، كما في المصباح[2].

وقال بعضهم: إنَّ كاد تختصُّ عن أخواتها بكون إثباتها يكون نفيًا ونفيها إثباتًا، وعلى ذلك قول أبي العلاء المعرِّي: [من الطويل]

أنحْويَّ هذا العصرِ ما هي لَفظةٌ ... جَرَتْ في لسانَيْ جُرهُمٍ وثمودِ؟

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/ ٣٢٢، ط محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٦٤.

(٢) المصباح ص ٤١٠، بتصرف.

إذا استُعملتْ في حالة الجَحْد أثْبتَتْ وإن أُثبِتَـتْ قـامـتْ مقـام جُحـودِ

ومما يؤيد ما ذكره ما حُكي أن ذا الرُّمة(١) ــ وهو غيلان صاحب ميَّة ــ لما أنشد قوله(٢): [من الطويل]

إذا غيَّر الهَجْرُ المحبينَ لـم يكـد رسيسُ الهوى من حُبِّ مَيَّةَ يَبرحُ

اعترضه السامعون بأن كاد إثباتها نفي ونفيها إثبات، وأنَّ الواقع في بيته منفي فيكون مثبَتًا، ويصير المعنى: أنَّ رسيس الهوى قد زال من حب ميّة، مع أنَّ مراده دعوى عدم ذهابه. وأنَّ ذا الرُّمَّة لما سمع اعتراضهم سَلَّم فغيَّر قوله: لم يكد بلم تجد.

وقال المحققون: إن كاد كغيرها من الأفعال نفيًا وإثباتًا وأنَّ المعترض مخطىء وأنَّ تسليم ذي الرمة له خطأ والصواب بقاء البيت على ما هو عليه. ويكون معناه: لم يقرب رسيس الهوى من الزوال إذا زال حب المحبِّين من البعاد بل قوله أبلغ من قولكم: لم يبرح رسيس الهوى، وذلك لأن مقاربة الزوال إذا انتفت، فالزوال من باب أولى. ومثله قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ [النور: ٤٠]، وهو في الآية أبلغ من لم يرها لما عرفتَ، ولأن من لم يرَ قد يقاربُ الرؤية.

وقالوا: إن عسى لا تكون من الله تعالى إلاَّ واجبة، ومثلها لعلَّ

---

(١) هو غيلان بن عقبة العدوي، من مُضَر، معروف بذي الرُّمَّة، شاعر من فحول الطبقة الثانية، عشق ميَّة المنقرية واشتهر بها، توفي بأصبهان ١١٧هـ. الأعلام ٥/ ١٢٤.

(٢) ديوان شعر ذي الرُّمة ص ٧٨، وفيه: إذا غير النأي، بدل: الهجر. ومعنى رسيس الهوى: مسُّه وأوَّله.

لاستحالة التوقُّعُ والطمع عليه تعالى، والتحقيق: أنَّ عسى ولعلَّ إذا وقعتا في كلامه تعالى كانتا على معناهما الأصلي وهو التوقُّعُ والطمع ويكون ذلك بالنسبة إلى المخاطَبين لا بالنسبة للمتكلِّم، كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، والمعنى أنَّ كُلًّا من تَذَكُّرِه وخشيته متوقَّعٌ ومظنون لكما، والذي في علمي القديم أنه لا يتذكَّر ولا يخشى، ولكن أرسلتكما إليه لئلا يكون للناس على الله حجَّة بعد الرسل.

وقوله في الحديث: «**وأبغض بغيضكَ**» بهمزة القطع لأنه رباعي، يُقال: أَبغضَ زيدٌ عمرًا، قال في المصباح[1]: قالوا: ولا يقال: بَغَضْتُه بغير ألف. اهـ.

قلت: وتعبيره بصيغة التبرِّي تشير إلى أنَّ بَغَضَه لغةٌ. أقول: ويشهد له ما في الحديث وهو قوله: «بغيضك» لأنَّ صفة فعيل لا تصاغ إلاَّ من ثلاثي، لكن الأنسب في الحديث أن يكون رباعيًّا، وتكون همزته همزة قطع ليشاكل قوله فيها قوله: «أحبب». ولا يخفى أنَّ المشاكلة من أنواع البديع.

وفي الحديث أيضًا من أنواع البديع الطباق بين قوله: «حبيبك» و «بغيضك» و «أحبب» و «أبغض»، وفيه الاشتقاق بين «أحبب» و «حبيبك» و «أبغض» و «بغيضك»، وفيه الفرائد: وهو الإتيان بلفظة لا يقوم غيرُها مقامها، وهي في الحديث لفظ: «ما»، وفيه الانسجام والإيجاز، وفيه الموازنة بين قوله: «أحبب حبيبك» و «أبغض بغيضك»،

(١) المصباح المنير ص ٥٦.

وفيه المجاز كما عرفتَهُ مما تقدَّم. فهذه ثمانية أنواع من البديع، وفيه غيرها.

وأما رتبة هذا الحديث فالحُسْنُ[1]، كما ذكره العزيزي[2] عن شيخه[3]. واعلم أنَّ الحديث الحَسَن قسمان: حَسَن لغيره: وهو ما في رجاله مستور لم تحقق أهليته وليس بمغفَّل ولا متَّهم وعُرِفَ متنه بأن يُروى من وجه آخر، والثاني: حَسَنٌ لذاته: وهو ما كان راويه مشهورًا بالصدق لكنه مقصر عن رجال الصحيح في الحفظ وهو مرتفع عن حال من يُعَدُّ تفرُّده منكرًا.

واللّـٰـهَ أسـألُ أنْ يَمُـنَّ علينـا بحبِّه وحـبِّ مَـنْ مَـنَّ عليـه بحبِّه، وأن يحفظنا مما يوجب بغضه من الآثام، وأن يتفضَّل علينا وعلى أحبابنا بحُسْن الختام. وقد قيَّدتُ هذه الشوارد بالكتابة خوفًا من شرودها من الأفكار التي تبلبلت، والأهوال التي تسلسلت، وكفى بعصرنا هذا عذرًا لكل معتذر، وعظة لكلِّ مدَّكر، نسأل الله فيه المعافاة الدائمة، وحفظ الدِّين وحُسْنَ الخاتمة بوسيلة من كان للأنبياء خير ختام، عليه من الله تعالى أفضل الصلاة والسلام[4].

---

(١) تقدم الكلام على تخريج الحديث ونقد العلماء لرواياته في المقدمة ص ٧.
(٢) السراج المنير ١/ ٥٧.
(٣) شيخ العزيزي هو الشيخ محمد بن محمد الأكراوي القلقشندي المتوفى سنة ١٠٣٥هـ المعروف بمحمد حجازي، وهكذا سماه العزيزي في مقدمته ١/ ٢، من كتبه «فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير» اثنا عشر مجلدًا. الأعلام ٧/ ٦٢.
(٤) تمت المقابلة الأولى لهذه الرسالة بين صلاتي العصر والمغرب من يوم ٢٢ =

. . . .

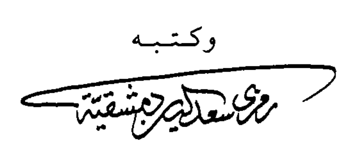
❊ ❊ ❊

= رمضان البركات عام ١٤٢٠هـ محاذاة الركن اليماني الآخر تجاه الكعبة المعظمة في صحن المسجد الحرام بقراءتي عن النسخة المنضدة ومتابعة الأخ العزيز لؤلؤة البحرين الشيخ نظام محمد صالح يعقوبي على الأصل المخطوط، والأخ الكبير أبي سالم مساعد العبد القادر على المنسوخ، ومن الله التيسير وعليه التكلان في الإعانة لإنهاء خدمة هذه الرسالة.

❑ وتمت المقابلة الثانية لهذه الرسالة ظهر يوم الثلاثاء ٢١ صفر الخير عام ١٤٢١هـ، في منزلنا الصيفي من بلدة بحمدون من جبال لبنان بقراءتي ومتابعة الأخ الشيخ المحقق محمد بن ناصر العجمي على المخطوط.

❑ وتم ضبط الأبيات الشعرية ووزنها على الأخ الصديق الصدوق الدكتور محمد حسان الطيّان جزاه الله خيرًا بمتابعة وحضور من الأخوين العزيزين الأستاذ إبراهيم الزيبق والشيخ بسام الجابي وذلك عصر يوم الخميس ٥ جمادى الآخرة عام ١٤٢١هـ ببلدة عين الفيجة من ريف دمشق الشام كلأها الله بعينه التي لا تنام، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه



فهرس الموضوعات

● ● ●

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١١)

تحذيرُ الجُمهورِ
مِنْ
مَفاسِدِ شَهادَةِ الزُّورِ

تأليفُ
أحمد بن عمر المحمصانيّ البيروتيّ الأزهريّ
(المتوفى ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م)

اعتنى به
رمزي سعد الدين دمشقية

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

تحذير الجمهور

من

مفاسد شهادة الزور

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣..
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb



مقـــدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله ذي الإفضـال، والصـلاة والسـلام علـى رسـولـه صـاحـب الخِصَال، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الزمان وطال.

أما بعد، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات هذه الأمة، وصفوا بها في محكم التنزيل بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وحضَّ عليها الصادق المصدوق ﷺ بقوله: «والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف ولتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعُونَهُ فلا يُستجابُ لكم»[١].

وهذه المهمة الشريفة هي مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قام بها رسولنا العظيم ثم مِنْ بعده صحابته الكرام، ثم مَنْ بعدهم من علماء هذه الأمة الذين هم ورثة الأنبياء.

ومن هذه البابة تأتي الرسالة التي بين أيدينا لعالم بيروتي أزهري

---

(١) رواه الترمذي ح ٢١٦٩، من حديث حذيفة بن اليمان، وقال: هذا حديث حسن.

جليل، هو الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني رحمه الله، والذي أراد بها النصح لأهل عصره في مسألة يتكرر وقوعها في كل العصور، وهي شهادة الزور مع تبيان مفاسدها وخطرها على المجتمع والأمة، كما نبَّه رحمه الله إلى معنًى من معاني شهادة الزور يتمثل بمن يكتب شهادة خطية لمن أراد تقلّد منصب خاص أو عام يشهد له فيها بما ليس فيه، وهذا مما عمَّت به البلوى في هذا الزمن، نسأل المولى السلامة.

وقد قمت بالعناية بهذه الرسالة عن الطبعة الأولى المطبوعة في حياة المؤلف بالمطبعة العثمانية ببيروت سنة ١٣٢٧هـ، وذلك بتخريج أحاديثها والتعليق على مواطن منها، مميزًا لتعليقات المؤلف بحرف [م] آخرها. ولم تخلُ هذه النسخة من أخطاء طباعية قليلة قمت بتصحيحها ولا سيما في الأحاديث ضبطًا من مصادرها دون الإشارة إلى ذلك.

وختامًا من المولى الكريم نرجو القبول وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

وكتبه

رمزي سعد الدين دمشقية

بيروت ٧ جمادى الأولى ١٤٢١هـ

الموافق ٧ آب ٢٠٠٠م

ترجمة المؤلف

هو العلاَّمة الشيخ أحمد بن عمر بن محمد بن غنيم المحمصاني البيروتي الأزهري، والده السيد عمر صاحب «المكتبة الحميدية» المشهورة في بيروت التي كانت ملتقى الأدباء والعلماء في بيروت.

وفي هذه الروضة العلمية ــ مكتبة والده ــ نشأ الشيخ أحمد محبًا للعلم وأهله، مواظبًا على حضور مجالس العلم وخاصة مجالس الشيخ محمد عبده خلال مدة إبعاده التي قضاها في بيروت.

دخل الجامع الأزهر الشريف طالبًا للعلم سنة ١٣١٥هـ، ولازم مجالس الإمام الأكبر الشيخ محمد عبده، وكان من تلاميذه المحببين إليه النُجباء الذين نثروا تعاليمه في التجدُّد والتطوُّر، فاستقبلته بيروت حين عاد استقبالاً طيبًا، وأنزلته الأسر البيروتية إثر غيابه الطويل على الرحب والسعة، فكان له طلبة من رجال ونساء يذكرونه بالإجلال والاحترام.

تولى أثناء إقامته في الأزهر أمانة مكتبته الشهيرة فأفاد من عمله هذا فائدة جُلَّى، ثم أصبح مدرِّسًا في الأزهر.

أخذ عن الشيخ محمد محمود الشنقيطي المتوفى ١٣٢٢هـ علوم اللغة، واشترك معه في تحقيق عدة كتب، منها كتاب «الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف» لابن السيد البطليوسي الأندلسي،

ومنها كتاب «الفصيح» للإمام ثعلب، وله فيهما تعليقات وتفاسير تشهد برسوخ قدمه وفضله.

كما أخذ الإجازة من السيد محمد بن جعفر الكَتَّاني، والشيخ السيد عبد الحي الكتاني، وقد اجتمع به في مصر[1].

بعد عودته إلى بيروت عُين مدرسًا في مكتب الحقوق العثماني، حيث تولّى شرح «مجلة الأحكام الشرعية» وإلقاء المحاضرات في علم أصول الفقه، وذلك سنة ١٣٣٢هـ ــ ١٩١٣م. وانتخب عضوًا في المجمع العلمي اللبناني سنة ١٩٢٨م، وأسندت إليه رئاسة لجنة المخطوطات فيه.

كان عضوًا عاملاً لعشرات السنين في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، ثم رئيسًا للجنة المدارس فيها. يشجع طلبتها بالجوائز التي كان يغدقها على تلامذته المجلين.

كان خطيبًا ومدرِّسًا في الجامع العمري الكبير، وجامع الأمير عساف لعدة سنوات، وكان البيروتيون يتهافتون على سماع خطبه ويفيدون منها ويرجعون إليه في كثير من المشاكل التي كانت تواجههم في أمور دينهم ودنياهم.

درَّس القرآن الكريم واللغة العربية لرئيس الجامعة الأمريكية الدكتور بيار ضودج، فتوثَّقت بينهما صداقة العلم والمعرفة.

من مؤلفاته:

ــ كتاب خلاصة النحو.

ــ رسالة تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور.

---

(١) إتحاف ذوي العناية للشيخ محمد العربي العزوزي، ص ٧٣.

ـ شرح أحكام المجلة الشرعية.

ـ تفسير الفاتحة.

ـ مختصر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله، طبع بمصر سنة ١٣٢٠هـ[١].

كما اعتنى بتصحيح وضبط الكلمات اللغوية للكتب التالية:

ـ المعلقات السبع، طبع في مصر سنة ١٣١٩هـ.

ـ الإنصاف، طبع في مصر سنة ١٣١٩هـ.

ـ اللؤلؤ النظيم في روم التعليم والتعلم، طبع في مصر سنة ١٣١٩هـ.

ـ حجج القرآن، طبع في مصر سنة ١٣٢٠هـ.

ـ فصيح ثعلب.

وله عدة قصائد شعرية ومحاضرات ألقيت في مناسبات عديدة لم تطبع.

توفي سنة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م، يوم ٣٠ تموز وقد نيَّف على الثمانين، وكان آخر تلاميذ الشيخ محمد عبده[٢]. وكان يضيف إلى اسمه نسبة «الأزهري» كلما وقع[٣].

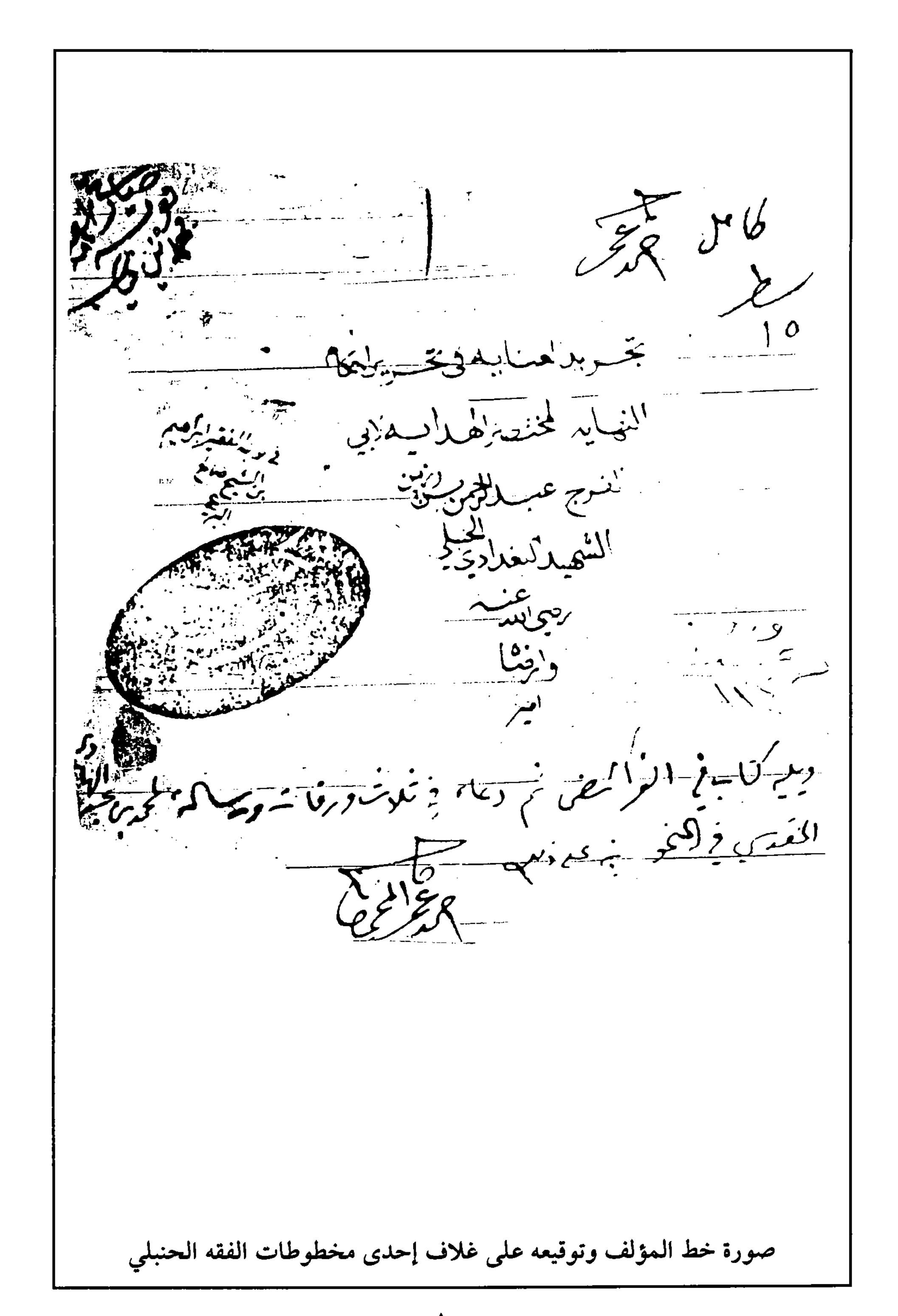
* * *

---

(١) معجم المطبوعات ١٧٠٢، ومعجم المؤلفين ٢/ ٣٥.

(٢) علماؤنا للمحامي كامل الداعوق، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

(٣) مجلة الفكر الإسلامي ـ العدد ٨/٨ سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص ٣١.



تجريد العناية في تحرير ...

النهاية لمختصر الهداية لأبي

تخريج عبد الرحمن بن رزين

الشهيد البغدادي الحنبلي

رضي الله عنه

وأرضاه

آمين

صورة خط المؤلف وتوقيعه على غلاف إحدى مخطوطات الفقه الحنبلي

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١١)

تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور

تأليف
أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي الأزهري
(المتوفى ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م)

اعتنى به
رمزي سعد الدين دمشقية



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافىء مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر النبيين، وآل كلٍّ وجميع الصالحين.

أمَّا بعد، فقد طلب مني بعض ذَوِي الحميَّة الدينيَّة في مدينة بيروت أنْ أكتُبَ رسالةً في بيان مفاسد شهادة الزور وما يترتب عليها من المضارِّ، وأن أذكُرَ ما ورد من الآيات والأحاديث في هذا الشأن. فأجبتُه لذلك عملاً بواجب النصيحة الدينية، ولما رواه الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه[1] عن سيدنا أبي رُقَيَّة تميمِ بن أوسٍ الداريِّ رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «الدِّينُ النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

فالرجاء فيمن يطَّلع عليها أنْ يتقبَّلها قَبولاً حسنًا، ويتَّخذها وسيلة لتنبيه العامَّة إلى اجتناب تلك البليَّة الطَّامَّة، ويذكِّر بها مَنْ له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقد سمَّيتُ هذه الرسالة «**تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور**»،

(١) صحيح مسلم ١/ ٧٤، ح ٥٥.

ورتبتُها على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. وأسأله تعالى أنْ يجعلها خالصة لوجهه، وأن ينفع بها ويوفِّقنا لما فيه خير الأمة، والعمل لإحياء السُّنَّة، اماتة البدعة، إنَّه سميع مجيب، وما توفيقي واعتصامي إلَّا بالله عليه توكَّلْتُ وإليه أُنيب.

* * *

مقـــدّمة

اعلم يا أخي هداني الله وإيَّاك إلى طريق الخير والرشاد أنَّ شهادة الـزور جريمـة عظيمـةُ الشـرِّ جسيمـة الضرر، فكـم ضاع بها مِنْ حقٍّ كان ثابتًا، ونشأت عنها مُعضلات ومشكلات تفاقم خَطْبُها واشتدَّ كَربُها، وكم هدرت بسببها دماء وغَلَت من أجلها مَرَاجِلَ الشَّحناء والبغضاء، وكثيرًا ما أيقظتْ الفتنة وأعظمت المحنة وفصمتْ عُرىٰ الوحدة، وربما أدَّت إلى تقاطـع ذوي الأرحـام وتهديـد السـلام بين الأفـراد والأقوام، بـل وبدَّلت الأمـن خـوفًا والوفـاق خُلـفًا، فكـان مـن وراء ذلـك كله شر عظيم وخطر جسيم.

عرف هذا الأمم السابقة فشدَّدوا في عقوبة مرتكبها وبالغوا في التنكيل به، وحكموا بأنَّه عدو للأمة بتمامها. وقضى عليه بعض الأمم كالرومانيين بالإعدام، وغَلَوا في شأن التزوير حتى عَدُّوا من المزورين من أخفى وصيَّة المتوفَّى أو أضاعها، بل كل امرىء فعل شيئًا يدلُّ على غِشٍّ أو خراب ذمة. وكانت عقوبتهم للأحرار بالنفي إلى مكان حصين مع مصادرتهم في أموالهم كلها، وعقوبة الرقيق هي الإعدام[1]. ثم ترقَّت

---

(١) هذه الجملة مأخوذة بمعناها عن رسالة «التزوير في الأوراق» لأحمد فتحي باشا زغلول المصري. [م].

مدارك الأمم بعد ذلك فتعدَّلت العقوبات بحسب آثار الجريمة وعظيم خطرها.

جاء الإسلام ــ وهو الكافل للسعادة الدنيوية والأخروية والشفاءُ لأمراض الإنسانية ــ فعدَّ شهادة الزور من أعظم الكبائر وأشدِّها ضررًا، وحذَّر من مرتكبيها وجعلهم من أكبر المجرمين وأجرأ المفسدين، وعَرَّفهم سُوء منقلبهم وعاقبة بغيهم بما فيه عبرة لكل معتبر كما سيُتلى عليك.

* * *

الفصل الأول
فيما جاء من الآيات والأحاديث
المتعلقة بشهادة الزور

من المناسب أن نبين معنى الزور في اللغة حتى يكون المطَّلع على بصيرة فيما ينظر فيه، وحتى يُعلمَ أن أصحاب المعجمات اللغوية لم يهملوا تفظيع حال شهادة الزور حتى في كلامهم على المعنى اللغوي.

جاء في «لسان العرب» للإمام محمد ابن منظور الإفريقي ما نصُّه[١]: والزُّور: الكذب والباطل، وقيل: شهادة الباطل وقول الكذب. إلى أن قال: وفي الحديث: «المتشبِّع[٢] بما لم يُعْطَ كلابِسِ ثَوْبَـيْ زور»[٣].

---

(١) لسان العرب ٤/ ٣٣٦ ــ ٣٣٧.

(٢) هو الذي يدَّعي بما ليس فيه ويُحبُّ أنْ يُحمدَ بما لم يفعل، وهذا الدَّاء قد فشا بين كثير ممن زين لهم الشيطان أعمالهم، وغرَّتهم الأماني الباطلة، وقد أخبر الله عزَّ وجلّ عن هؤلاء بقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨]. ودواء هؤلاء هو الرجوع إلى الله ومحاسبة النفس، وطرح الغرور والأخذ بالعلم على وجهه الصحيح والتمسك بالعمل الصالح، والنصح والإخلاص والتقوى في جميع ذلك كله، والله وليُّ المؤمنين. [م].

(٣) رواه البخاري ح ٥٢١٩، ومسلم ٣/ ١٦٨١ ح ٢١٣٠، من حديث أسماء بنت =

الـزُّور: الكـذب والبـاطـل والتُّهمـة، وقـد تكـرر ذكـر شهـادة الـزور فـي الحديث، وهي من الكبائر، فمنها قوله ﷺ: «عَدَلَتْ شهادةُ الزور الشركَ بالله وإنَّما عادلته لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾، ثم

= أبـي بكر رضي الله عنهما، وعند مسلم ح ٢١٢٩ من رواية عائشة رضي الله عنها.

وقصة الحديث: أن امرأةً قالت: يا رسول الله إنَّ لي ضَرَّة فهل عليَّ جُناح إن تشبَّعتُ من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبَـيْ زور».

وقد نقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٩/٣١٨ أقوال العلماء في تفسير هذا الحديث، فمما نقله:

قال الزمخشري في «الفائق»: المتشبع أي المتشبه بالشبعان وليس به، واستُعيرَ للتحلي بفضيلة لم يرزقها، وشُبِّه بلابس ثوبـي زور أي ذي زور، وهو الذي يتزيا بزي أهل الصلاح رياءً، وأضاف الثوبين إليه لأنهما كالملبوسين، وأراد بالتثنية أن المتحلي بما ليس فيه كمن لبس ثوبـي الزور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر، كما قيل: إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا.

فالإشارة بالإزار والرداء إلى أنه متصف بالزور من رأسه إلى قدمه.

وقال الخطابـي: الثوب مَثَلٌ، ومعناه أنه صاحب زور وكذب، كما يقال لمن وصف بالبراءة من الأدناس طاهر الثوب والمراد به نفس الرجل.

ونقل الخطابـي عن نعيم بن حمَّاد قوله: كان يكون في الحي الرجل له هيئة وشارة، فإذا احتيج إلى شهادة زور لبس ثوبيه وأقبل فشهد فقُبل لنُبل هيئته وحُسن ثوبيه، فيقال: أمضاها بثوبيه يعني الشهادة، فأضيف الزور إليهما، فقيل: كلابس ثوبـي زور. وأما حكم التثنية في قوله: «ثوبـي زور» فللإشارة إلى أن كذب المتحلي مثنى، لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ وعلى غيره بما لم يُعط، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه ويظلم المشهود عليه. اهـ.

قال بعدها: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٧٢] »[١].

وقد جاء لفظ الزُّور في القرآن الكريم في أربعة مواضع، منها موضعان يتعلقان بشهادة الزور:

فالأول: قوله تعالى في سورة الحج: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١].

وللمفسِّرين في قول الزور في هذه الآية وجوه، منها: أنَّه قولهم هذا حلال وهذا حرام، ومنها: أنَّه شهادة الزور، رفعوا هذا التفسير إلى النبي ﷺ، ومنها: أنَّه الكذب والبهتان.

والثاني: قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: لا يشهدون شهادة الزور، وقال آخرون: لا يشهدون الشرك، وقال آخرون: هو قول الكذب، وقال بعضهم: هو الغناء.

وقال ابن جرير الطبري[٢]: إنَّ أولىٰ الأقوال بالصواب أنْ يُقال: والذين لا يشهدون شيئًا من الباطل لا شركًا ولا غناءً ولا كذبًا ولا غيره وكلّ ما لزمه اسم الزّور، لأنَّ الله عمَّ في وصفه إيَّاهم أنهم لا يشهدون

---

(١) رواه الترمذي ح ٢٢٩٩، والإمام أحمد ٤/١٧٨ من حديث أيمن بن خُريم.
ورواه الترمذي أيضًا ح ٢٣٠٠، وأبو داود ح ٣٥٩٩، وابن ماجه ح ٢٣٧٢، وأحمد ٤/٣٢١ من حديث خُريم بن فاتك الأسدي، بألفاظ متقاربة.

(٢) جامع البيان ١٩/ ٤٩.

الزور، فلا ينبغي أن يُخصّ من ذلك شيء إلاَّ بحجَّة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

وأما الأحاديث:

فقد روى البخاري ومسلم والإمام أحمد[1] عن سيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر أو سُئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين»، وقال: «ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر: قول الزور»، أو قال: «شهادة الزور».

وعن أبـي بَكْرَة نُفَيْع بن الحارث[2]، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله؟ وعقوق الوالدين»، وكان متكئًا فجلس[3] وقال: «ألاَ وقول الزور وشهادة الزور»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليتهُ سَكَتَ[4].

---

(١) البخاري ح ٢٦٥٣، ومسلم ١/ ٩٢، ومسند أحمد ٣/ ١٣١.

(٢) رواه البخاري ح ٢٦٥٤، ومسلم ١/ ٩١ ح ٨٧، ومسند أحمد ٥/ ٣٦.

(٣) هذا يُشْعِر باهتمامه ﷺ بذلك حتى جلس بعد أنْ كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظيم قُبحه. وسبب الاهتمام بشهادة الزور كونها أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإنَّ الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يَصرِف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما، فاحتيج إلى الاهتمام به. وليس ذلك لِعِظَمه بالنسبة إلى ما ذُكر معه من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدته إلى الغير، بخلاف الإشراك فإنَّ مفسدته مقصورة عليه غالبًا. اهـ. من نيل الأوطار للإمام الشوكاني. [م].

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥/ ٢٦٣ في تعليقه على هذه الكلمة: أي شفقة عليه وكراهية لما يزعجه، وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه. اهـ.

وروى الإمام ابن ماجه[1] عن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَن تَزُولَ قَدَما شاهدِ الزور حتى يُوجب الله له النار». وفي هذا الحديث وعيدٌ شديدٌ لشاهدِ الزور حيث أوجب الله له النار قبل أن ينتقل من مكانه، ولعل ذلك مع عدم التوبة، أما لو تاب وأكذب نفسه قبل العمل بشهادته فالله يقبل التوبة عن عباده.

وروى الحاكم والديلمي[2] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا من زيَّن نفسه للقُضاة بشهادة الزور زيَّنه الله تعالى يوم القيامة بسِرْبال[3] من قَطِرَان وأَلْجمه بلجام من نار».

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن أبي الدنيا[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شهدَ على مسلم شهادةً ليس لها بأهل فليتبوَّأ مقعده من النار».

وروى أبو سعيد النقَّاش في «كتاب القضاة»[5] عن عبد الله بن جَرَاد: عن النبي ﷺ: «مَنْ شهدَ شهادة زور فعليه لعنةُ الله، ومَنْ حَكَمَ بين اثنين فلم يَعدِل بينهما فعليه لعنةُ الله».

---

(١) ح ٢٣٧٣، وفي الزوائد: في إسناده محمد بن الفرات متفق على ضعفه، وكذبه الإمام أحمد.

(٢) لم أجده عند الحاكم في المستدرك ولا في مسند الفردوس للديلمي، وعزاه في كنز العمال للحافظ ابن عساكر في التاريخ عن إبراهيم بن هدبة عن أنس، ح ١٧٧٦٠.

(٣) السربال: القميص.

(٤) المسند ٢/٥٠٩، وقال الهيثمي في المجمع ٤/٢٠٠: تابعيّه لم يسم وبقية رجاله ثقات، وابن أبي الدنيا في كتاب الغيبة والنميمة ح ١٢٢.

(٥) هكذا أورده المتقي الهندي في كنز العمال ح ١٧٧٦٢، وعزاه للنقاش.

وروى البخاري ومسلم[1] عن أبـي هريرة، عنه ﷺ : «مَنْ مشى مع قوم يرى أنه شاهد وليس بشاهد فهو شاهد زور، ومَنْ أعانَ على خصومة بغير علـم كـان فـي سَخَـط الله حتـى ينْـزِع، وقتـال المـؤمن كفـر وسبابه فسوق».

وعن ابن عمر قال: لعن رسول الله ﷺ شاهد الزور وهو يعلم[2].

* * *

(١) الحديث ليس في البخاري ومسلم، بل أخرجه البيهقي في السنن ٦/ ٨٢، وسبب هذا الخطأ نقل المؤلف الحديث عن كنز العمال ح ١٧٧٦٣ حيث وقع فيه رمز (ق) أي الصحيحين وهو تصحيف عن (هق) أي البيهقي في السنن.

(٢) كنز العمال ح ١٧٨٠٢، وعزاه لأبـي سعيد النقاش.

الفصل الثاني
في ذكـر بعض مـا جـاء
عن أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين
وما ذكره بعض الفقهاء في كتبهم في حكم شاهد الزور

عن مكحول والوليد بن أبـي مالك قالا: كتب عمر إلى عُمَّاله في الشاهد الزور أنْ يُضربَ أربعينَ سَوطًا، وأن يُسخَّم وجهه[1]، ويُحلق رأسه، ويُطاف به، ويُطال حبسه[2].

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أُتِـيَ عمر بشاهد زور فوقفه للناس يومًا إلى الليل يقول: هذا فلان يشهد زورًا فاعرِفوه، فجلده ثم حبسه[3].

وعن علي بن الحسين قال: كان عليٌّ إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى

---

(١) وفي رواية يسحَّم وجهه «بالحاء» ومعناهما: أن يسوَّد، مأخوذ من السخام وهو سواد القِدر، وقيل: المراد بالتسحيم: التخجيل والتفضيح. [م].

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف ح ١٥٣٩٢، وفيه: مكحول عن الوليد بن أبـي مالك، والبيهقي في السنن ١٠/ ١٤٢.

(٣) رواه البيهقي في السنن ١٠/ ١٤١.

عشيرته، فقال: إنَّ هذا شاهد زور فاعرفوه وعرِّفوه، ثم خَلَّى سبيله[1].

وقال العلاَّمة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني في كتابه «رحمة الأمة في اختلاف الأئمة» ما نصُّه[2]:

(فصل) واختلفوا في عقوبة شاهد الزور، فقال أبو حنيفة: لا تعزير عليه بل يُوقف في قومه ويقال لهم: إنه شاهد زور، وقال مالك والشافعي وأحمد: يُعزَّر ويُوقف في قومه ويُعرَّفون أنَّه شاهد زور، وزاد مالك فقال: ويُشهَّر[3] في الجوامع والأسواق والمجامع، اهـ.

وقال العلاَّمة الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر» ما نصُّه[4]: (الكبيرة السابعة والثامنة والثلاثون بعد الأربعمائة شهادة الزُّور وقَبولها).

أخرج الشيخان عن أبـي بَكْرة واسمه نُفَيع بن الحارث رضي الله عنه قال: كنا جُلوسًا عند رسول الله ﷺ فقال: «أَلاَ أُنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثًا «الإِشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وكان متكئًا فجلس فقال: «أَلاَ وقول

(١) رواه البيهقي في السنن ١٠/ ١٤٢، وقال عَقِبَه: وهذا منقطع.
(٢) رحمة الأمة ١/ ٢١٣، من الطبعة التي بهامش كتاب الميزان للشعراني.
(٣) التشهير بشاهد الزور وتعريف الناس بحاله من العقوبات التي تَفعل في النفوس ما لا يفعله كثير من الجزاءات الأخرى، وحسبُكَ أنَّ شاهد الزور في هذه الحالة يجتنبه الناس ويمقتونه فيكون بينهم كالجمل الأجرب ينفر منه كل من يراه ولا يطمئن إليه أحد، ومتى ارتفعت ثقة الناس منه خسر خسرانًا مبينًا، ونعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. [م].
(٤) الزواجر ٢/ ١٩٣.

الزور وشهادة الزور»، فما زال يكرِّرها حتى قلنا: ليتهُ سَكَتَ[١].

وروى البخاري: «الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»[٢].

والشيخان: ذَكر رسول الله ﷺ الكبائر فقال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس»، فقال: «أَلَا أُنبئكم بأكبر الكبائر: قول الزور» أو قال: «شهادة الزور»[٣].

وأبو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه[٤]: صلَّى رسول الله ﷺ صلاة الصبح فلما انصرف قام قائمًا فقال: «عَدَلَتْ شهادة الزور الإشراك بالله» ثلاث مرات ثم قرأ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]. ورواه الطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسند حسن[٥].

وأحمد بسند رُواته ثِقَات: «مَنْ شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار»[٦].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٠.

(٢) البخاري ح ٦٦٧٥ من حديث عبد الله بن عمرو، ومناسبة الحديث قوله ﷺ: «اليمين الغموس»، أي الكاذبة التي تغمس صاحبها في النار والتي هي مفتاح شهادة الزور.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٠.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٩.

(٥) مجمع الزوائد ٤/ ٢٠٠.

(٦) تقدم تخريجه ص ٢١.

وابن ماجه والحاكم وصحَّحه: «لن تَزولَ قَدَما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار»[1].

والطبراني: «إن الطير لتضرب بمناقيرها على الأرض وتحرك أذنابها من هول يوم القيامة وما يتكلم به شاهد الزور، ولا يفارق قدماه على الأرض حتى يُقذف به في النار»[2].

والطبراني بسند فيه منكر: «ألَا أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وكان ﷺ محتبيًا فحلَّ حبوته فأخذ النبي ﷺ بطرف لسانه فقال: «ألَا وقول الزور»[3].

والطبراني بسند رجاله ثقات: «ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله» ثم قرأ: « ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء: ٤٨]، وعقوق الوالدين» ثم قرأ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان: ١٤]، وكان متكئًا فقعد فقال: «ألا وقول الزور»[4].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢١.

(٢) مجمع الزوائد ٤/ ٢٠٠ من حديث ابن عمر، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لا أعرفه.

(٣) مجمع الزوائد ٤/ ٢٠٠ من حديث أبي الدرداء، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عمر بن المساور وهو منكر الحديث.
ومعنى «كان محتبيًا فحل حبوته»: الاحتباء أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره أو يكون باليدين عوض الثوب. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٣٥.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ١٤٠ من حديث عمران بن الحصين. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٠٣: رجاله ثقات إلَّا أن الحسن مدلِّس وعنعنه.

تنبيه: عَدُّ هذين ـ يعني شهادة الزور وقبولها ـ هو ما صرحوا به في الأولى وقياسها في الثانية. وشهادة الزور هي أن يشهد بما لا يتحققه.

قال العز ابن عبد السلام: وَعدُّها كبيرة ظاهر إنْ وقع في مال خطير، فإنْ وقع في مال قليل كزبيبة أو تمرة فمشكل، فيجوز أنْ تُجعل من الكبائر فطمًا عن هذه المفاسد كما جُعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر وإنْ لم تتحقق المفسدة، ويجوز أنْ يُضبط ذلك المال بنصاب السرقة. قال: وكذلك القول في أكل مال اليتيم.

وقد مرّ عن ابن عبد السلام أنه حكى الإجماع على أنَّ غَصْبَ الحبَّة وسرقتها كبيرة وهذا مؤيِّد للأول، أعني أنَّه لا فرق في كون شهادة الزور كبيرة بين قليل المال وكثيره فطمًا عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جدًّا، ومِن ثَمَّ جُعلت عدلاً للشرك، ووقع له ﷺ عند ذِكرها من الغضب والتكرير ما لم يقع له عند ذكر ما هو أكبر منها كالقتل والزنا، فدلَّ ذلك على عِظَم أمرها، ومن ثَم جُعلت في بعض الأحاديث السابقة أكبر الكبائر، انتهى باختصار قليل.

وذكر الكمال ابن الهُمام في كتابه «فتح القدير على الهداية»[١]: أنَّ شُريحًا القاضي كان يبعث بشاهد الزور إلى سوقه إن كان سوقيًا وإلى قومه إن كان غير سوقي بعد العصر أجمع ما يكونون ويقول: إن شُريحًا يُقرئكم السلام، ويقول: إنَّا وجدنا هذا شاهد زور فاحذروه وحَذِّروا الناس منه. اهـ.

---

(١) ٧/ ٤٧٧، طبعة مصطفى البابي الحلبي.

وشريح كان قاضيًا زمن سيدنا عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وزاحم الصحابة في الفتوى وإن كان من كبار التابعين، وهو شريح بن الحارث الكِندي أقام في الكوفة قاضيًا خمسًا وسبعين سنة وتوفي سنة سبع وثمانين من الهجرة[1]، كما ذكر ابن خَلِّكَان في تاريخه وأطال في ترجمته[2].

وقال العلاَّمة شمس الدين محمد ابن قيِّم الجوزية في كتابه «إعلام الموقعين» ما نصُّه[3]: لا خلاف بين المسلمين أنَّ شهادة الزور من الكبائر. . . ، ثم ذَكَر أحاديث تقدَّمت إلى أن قال: وفي المسند من حديث عبد الله بن مسعود[4] عن النبي ﷺ قال: «بين يدي الساعة تسليم الخاصَّة، وفشوَّ التجارة حتى تُعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق».

وقال الحسن بن زياد اللؤلؤي: حدثنا أبو حنيفة قال: كُنَّا عند مُحارب بن دثار فتقدم إليه رجلان فادَّعىٰ أحدهما على الآخر مالاً فجحده المدَّعىٰ عليه، فسأله البيِّنة فجاء رجل فشهد عليه، فقال المشهود عليه: لا والله الذي لا إلـٰه إلاَّ هو ما شهد عليَّ بحقٍ، وما علمته إلاَّ رجلاً صالحًا غير هذه الزَّلَّة، فإنَّه فعل هذا لِحقد كان في قلبه عليَّ.

وكان محارب متكئًا فاستوى جالسًا ثم قال: يا ذا الرجل سمعتُ ابن

---

(١) وهو ابن مائة وعشرين سنة، رحمه الله تعالى.

(٢) وفَيَات الأعيان ٢/ ٤٦٠ ــ ٤٦٣.

(٣) ١/ ١٢٤، طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت.

(٤) المسند ١/ ٤٠٧، وزاد في آخره: «وظهور القلم».

عمر يقول سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليأتينَ على الناس يوم تشيب فيه الوِلْدان وتضع الحوامل ما في بطونها وتضرب الطير بأذنابها وتضع ما في بطونها من شدة ذلك اليوم ولا ذنب عليها، وإنَّ شاهد الزور لا تقارُّ قدماه على الأرض حتى يُقذف به في النار»[1]، فإنْ كنتَ شَهدتَ بحق فاتَّقِ وأقم على شهادتك، وإنْ كنتَ شهدتَ بباطل فاتقِ الله وغطِّ رأسكَ واخرج من هذا الباب.

وفي رواية: أنَّ الرجل قال له: كنتُ أُشهدتُ على شهادة وقد نسيتها أرجعُ فأتذكرها، فانصرف ولم يشهد عليه بشيء. اهـ، بتصرف.

* * *

(١) جامع مسانيد الإمام أبـي حنيفة ٢/ ٢٧٩، طبعة حيدرأباد ـ سنة ١٣٣٢هـ.

الفصل الثالث
في بيان أضرار شهادة الزور
في الشاهد نفسه وفي الهيئة الاجتماعية

قد عرفنا مما تقدم ما لشاهد الزور من الوعيد الشديد والعقاب الأكيد في هذه الدنيا وفي الآخرة ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى.

ونحن الآن نبيِّن في هذا الفصل ما لشهادة الزور من الأضرار في نفس شاهدها وفي الهيئة الاجتماعية التي يعيش ويرتع فيها. وهذه الأضرار أمور معقولة يُدركها كلُّ مَنْ تأمَّلها وأمعَن في حال من يقترف تلك الجريمة الفظيعة.

فأولها: أنَّه يتَّصف بالكذب ويوسم بميسم الافتراء، وكفى بهما خزيًا ونكالاً. فإنَّ الإنسان مفطور على الخير والصدق، فإذا مال إلى عكسهما فلا تسأل عما يعتَوِرُه من الآلام النفسيَّة والمؤذيات، لا سيما إذا حَاق به سُوء عمله فهنالك الخُسران المبين.

وثانيها: أنَّه يجد من ضميره موبِّخًا له على فساد عمله، ومؤنِّبًا شديدًا يقرِّعه على ما أجرم واقترف، وربما اعترف بما ارتكبه وقاد نفسه

إلى تحمُّل العقوبة حتى يخلص من تقريع ضميره وإلى هذا يشير (كاد المريب أن يقول خذوني).

ومن الأسرار العجيبة التي أودعها الله في كل إنسان أنه يجد هذا الوازع في نفسه كلَّما أقدم على أمر فاسد، ينبِّهه إلى خطأه ويعرِّفه سُوء منقلبه. فمن صادفته العناية وكان قلبه أمْيل إلى الصفاء والخير ارتدع عن غَيِّه ورجع إلى رشده وأقلع عن قصده، وإلى هذا الوازع النفسيّ الموجود في كل إنسان قد أشار الشاعر الحكيم:

لا ترجع الأنفس عن غَيِّها ... ما لم يكن منها لها زاجرُ

ومن الناس من يصغي إلى نداء ضميره فيعدل عن قصد الفساد والإضرار بالناس بعد أن يهمَّ بذلك، وكثيرًا ما يظهر هذا في شاهدي الزور إذا كانوا ممن لم تسبق لهم جراءة على ذلك، فإنَّ الوازع النفسي ربما يردُّهم إلى الرشد لا سيما إذا غمرت قلوبهم خشية الله سبحانه وتعالى، وتذكَّر الشخص منهم أنَّه يُفتَضَح بين الناس وتَحِلُّ به العقوبة، فتراه يتزلزل ويضطرب فيعدل عما صمم عليه من الشهادة الباطلة، ويرجع عما قصد إليه[1]. وأما من طغى وبغى ورَانَ على قلبه الشر وفسد مزاجه فيضْعُفُ فيه

(١) قرأت في جريدة من جرائد مصر نقلاً عن جريدة «لسان الحال» التي تصدر ببيروت: أنَّ بعض المتهمين بجريمة القتل في لبنان ادعى أنَّ لديه شاهدًا يُبرِّئه مما اتُّهم به، وكان قد اشترى ذمة ذلك الشاهد كما يقال، فلما حضر الشاهد وطُلب منه اليمين فتقدَّم ليضع يده على القرآن الكريم وما كاد يرفعها حتى خرَّ مغشيًا عليه ولم يفق من إغمائه إلاَّ بعد ساعة، ولما أراد أن ينطق بالشهادة عُقِل لسانه، فدهش رجال المحكمة لهذا الحادث.

ثم أورد «اللسان» حادثة رواها لمحرره بعضهم قال: إنه حضر شاهدان في أثناء =

هذا الوازع، وربما انطفأت شُعلته من نفسه، فإذا لم تتداركه العناية الإلـٰهية كان من الخاسرين والعياذ بالله تعالى.

وثالثها: أنَّ شاهد الزور يُحسّ بخذلانه بين قومه وذويه ويفقد الثقة منهم، وكفى بذلك خُسرانًا مبينًا. فإنَّ الثقة بين الناس عليها مدار حياتهم، وتبادل المنفعة فيما بينهم، وطالما رأينا أُناسًا لا مال عندهم ولا رياش[1] ولكن ما للناس فيهم من الثقة أغناهم عن الغنى وبسط لهم يد الميسرة والنفوذ، فهم أغنياء أعزَّاء وإنْ كانوا في هيئة الفقراء والبؤساء.

ورابعها: أنَّه يكون في نفسه مَهينًا محتقرًا وفي أعينُ الناس أشدُّ إهانة واحتقارًا وهذا أمر محسوس ومعروف حتى أن أشد الناس احتقارًا لشاهد الزور من شهد لأجله. وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الحكيم أبو محمد علي ابن حزم الأندلسي في كتابه «الأخلاق والسِّيَر» بقوله[2]: (أول من يزهد في الغادر من غَدر له الغادر، وأول من يمقت شاهد الزور من شَهد له به).

وخامسها: أنَّ شاهد الزور يكون جُرثومة من جراثيم الفساد في

= إحدى المحاكمات في عكا ولما طُلب إليهما حَلِف اليمين على الكتاب الكريم ــ وكانا شاهديْ زور قَبَضا مالاً على ذلك ــ تقدم أحدهما وكان مُسنًا فلم يكد يرفع يده حتى ارتعش جسمه وتلجلج لسانه وقال: (أقسم بأني تناولت من فلان ٣٠ ريالاً أجرة شهادة زور طلب إليَّ تأديتها وهذه هي الحقيقة)، فدُهشتْ هيأة المحكمة لذلك ثم أخرجته وطلبت رفيقه وكان شابًا فأراد أن يؤدي الشهادة زورًا كما تلقنها فسقط مغشيًا عليه ثم نطق بالحقيقة، اهـ. [م].

(١) الرياش: الحسن الفاخر من الأثاث والملبس.

(٢) ص ٩٨، طبعة دار ابن حزم ــ بيروت.

جسم الأمَّة ينخُر عظمها ويمتصُّ دمها، فيضعُفُ شأنُها بوجود أمثاله المحاربين لفطرتهم والدَّاعينَ إلى الشرِّ والفتنة، فتتزعزع أركانها ويتهدَّم بنيانها، ويكون عليه وِزرُ عمله ووزر من عمل مثل عمله، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام ابن ماجه[1] عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّة حَسَنةً فعُمِل بها كان له أجرُها ومثلُ أجر من عمل بها لا يَنقُصُ من أجورهم شيئًا، ومَنْ سَنَّ سُنَّة سيئة فعُمل بها كان عليه وِزرُها ووزر من عمل بها من بعده لا يَنقُصُ من أوزارهم شيئًا».

وسادسها: إذا فَشَت شهادة الزور بين الناس تسبب عنها ضعف ثقتهم ببعضهم بعضًا، وذهبت عاطفة الاطمئنان من نفوسهم، فتفتر عزائمهم عن الأعمال الخيرية والمشروعات المفيدة للنوع الإنساني، ويستولي عليهم اليأس والقنوط فلا يلوي أحد على أحد، ولا يتألم لما يصيبه ولا يمدُّ يده لمساعدته، وهنالك البلاءُ العظيم والخطب الجسيم. وإذا فَشَا الكذب والافتراء في أمَّة تفككتْ منها عُرى الوحدة وتقطعت روابط الاتحاد وهيهات أن يُرجى لها نجاح أبدًا.

ذيــــل
[في كتمان شهادة الصدق]

اتضح لك مما تقدم هول المفاسد التي تترتب على شهادة الزور في نفس شاهدها وفي مجموع الأمة الذي هو أحد أعضائها، ولمَّا كانت هذه

---

(١) ح ٢٠٣، والحديث رواه بنحوه مسلم ح ١٠١٧، والنسائي ح ٢٥٥٤، من حديث جرير بن عبد الله أيضًا في حديث طويل.

الخُلَّة الشنعاء أحد طرفي رذيلة الكذب كان طرفها الآخر هو كتمان شهادة الصدق، لأنَّه إنْ كانت شهادة الزور ترمي إلى إحياء الباطل فكتمان شهادة الصدق يؤدي إلى إماتة الحق، وأنت ترى أنَّ كليهما في المضرة والإفساد سواء.

من أجل ذلك لم تكن عناية الشريعة المطهَّرة بالتحذير من هذه أقلَّ منها بالتنفير من تلك، وقد ورد النهي عنها في مُحكم التنزيل في مواضع متعددة لمناسبات مختلفة كقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]... وغير ذلك.

وقد جاء في تفسير ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾: أنها نَدْبٌ من الله تعالى للإنسان إلى السعي في إحياء الحق الذي يُراد جحده والشهادة به لصاحبه، ونَهْيٌ عن كتمان الشهادة سواء عَرَفها صاحب الحق أو لم يعْرِفها، وشدَّد في ذلك بأنْ جعل كاتمها آثمَ القلب. وقد رُوي عن النبي ﷺ خبر يدل على صحة هذا التأويل وهو قوله: «خير الشهود مَنْ شَهَد قبل أن يُستشهد»(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه بنحوه ح ٢٣٦٤، من حديث زيد بن خالد الجهني.

تــذنيب

من هو شاهد الزور؟

قد يخيَّل للإنسان أنَّ شاهد الزور إنما هو الذي يقف أمام المحكمة، ويقول في قضية ما غير الحق سلبًا أو إيجابًا.

تُرى هل انحصرت هذه الرذيلة في مثل ذلك الإنسان المسلوب الوجدان؟ اللّٰهم لا، وإذًا لانحصر ضررها ولم يتطاير شررها، ولكن الخطب أعمُّ والمصيبة أجَلُّ لسريان هذه العلة القتَّالة إلى مجموع الأمة من مصدر أخلاقي قلَّ أن يخلو عنه إنسانُ يعد في الناس.

لا جَرَم أنَّه يمازجه أحيانًا شيء من إرادة الخير أو تخفيف الشر وهو القليل النادر، وأنتَ ترى أنَّ تلك العاطفة لا تصح هدرًا عن هاتيك المخالفة. أما الغالب الشائع أنْ يتجرَّد عن مثل هذه الإرادة، فما هو إلاَّ تنافس في باطل أو عناد لمناظر أو جَرٌّ لمغنم أو دفعٌ لمغرم أو غيرها من دنيء الأغراض، يدوسُ مبتغيها الحقَّ والصدق ليدركها، وما أدراكَ ما أدرك! ثم ما أدراكَ ما أدرك! حِطَّة في نفسه وخذلانًا في أُمته وذلك هو الخسران المبين.

لعلَّك تبيَّنت من الوصف المتقدَّم أنَّه ينضوي تحت هذا النوع من شهداء الزور أهل الدواوين والوجهاء، بل وذوو الحيثية من السوقة الذين يؤدون الشهادات الخطية بالمعاريض الخاصة أو العامة في حق خَادم غير أمين من خدام الأمة أو عامل غير صالح من عمال الحكومة أو بالعكس. وناهيكَ بالأضرار الجسيمة والمفاسد العميمة التي تترتب على ذلك بحيث يتضاءل في جنبها كل ما يترتب على شهادة الزور في الدعاوى الخاصة من الضرر الخاص مهما كان عظيمًا.

ألا وإنّ ضعف الإدارة الذي كان يُهوِّن الأمر على صاحبه بما يقيم له من الأعذار الواهية، كمقتضيات المركز وضرورات الأحوال وعدم حصول نتيجة للمخالفة أو تأكد حصول مقصود الطالب شهد له أم لم يشهد وأشباهها، مما يُصمُّ النفس عن سماع صوت الضمير ويميل بالقلب عما يميل إليه من الحقِّ، لم يبقَ له محل الآن وقد أباحتْ الحرية لكل فرد الجهر برأيه في العموميات فضلاً عن الخصوصيات، وله من حراسة الدستور العدل ما يدرأ عنه عدوان الظالمين وظلم المستبدين والله من ورائهم محيط.



الفصل الرابع

في التنفير من الكذب والاعتصام بالصدق وذكر بعض الآيات والأحاديث في ذلك

لمَّا كانت شهادة الزور من أنواع الكذب ناسب أنْ نُورد بعض الآيات والأحاديث الواردة في التنفير منه والبعد عنه، وما أوعد الله به الكاذبين، ونُتْبع ذلك بلمعة في فضيلة الصدق وما أعدَّه الله للصادقين.

قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٩، ٥٠].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

وروى الخطيب البغدادي في المتفق عن عبد الله بن جَرَاد قال: قال

أبو الدرداء: يا رسول الله هل يكذب المؤمن؟ قال: «لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر مَنْ إذا حَدَّث كذب»[1].

وفي رواية أنَّ أبا الدرداء سأل النبـي ﷺ: هل يكذب المؤمن؟ قال: «لا» ثم أَتْبعها نبـي الله ﷺ حيث قال هذه الكلمة: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] [النحل: ١٠٥].

وروى ابن ماجه والنسائي عن أوسط بن إسماعيل: قال سمعت أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال: «إيَّاكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار»[3].

وقال ابن مسعود: قال النبـي ﷺ: «لا يزال العبدُ يكذبُ ويتحرَّى الكذب حتى يُكتبَ عند الله كَذَّابًا»[4].

وعن قيس بن أبـي حازم قال: سمعت أبا بكر رضي الله عنه يقول: إيَّاكم والكذب فإنَّ الكذب مجانبٌ للإيمان[5].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦/ ٢٧٢، وفيه يعلى بن الأشدق ليس بشيء، انظر: الميزان للذهبـي ٤/ ٤٥٧. ولم أقف عليه في المتفق والمفترق المطبوع بدار القادري دمشق سنة ١٩٩٧م.

(٢) أخرجه الخرائطي في مساوىء الأخلاق ومذمومها ح ١٣١، وفيه نفس العلة السابقة: يعلى بن الأشدق.

(٣) رواه ابن ماجه ح ٣٨٤٩، والإمام أحمد ١/ ٣، والحديث ليس في سنن النسائي الصغرى.

(٤) مسند أحمد ١/ ٣٩٣، وأصل الحديث في البخاري ح ٦٠٩٤، ومسلم ٤/ ٢٠١٣، ح ٢٦٠٧ وما بعده.

(٥) مسند أحمد ١/ ٥.

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إياكم والكذب فإنَّ الكذب يَهدي إلى النار.

وقال بعض الحكماء: الكذاب لِصّ، لأن اللصّ يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك.

وقال الإمام أبو محمد علي ابن حزم الأندلسي في كتاب «الأخلاق والسِّير» ما نصه[1]: (لا شيء أقبح من الكذب، وما ظَنُّكَ بعيب يكون الكفر نوعًا من أنواعه، فكل كُفر كذب، فالكذب جنس والكفر نوع تحته. والكذب متولد من الجَوْر والجُبْن والجهل، لأن الجبن يولِّد مهانة النفس والكذاب مَهِين النفس بعيد عن عزتها المحمودة).

الاعتصام بالصدق

قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

وقال عزَّ وجلّ في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

وقال ﷺ: «عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البِرّ»[2].

وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح له قُفل قلبه وجعل فيه اليقين

(١) ص ١٤٦، طبعة دار ابن حزم.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠١٣.

والصدق، وجعل قلبه واعيًا لما سَلَك فيه وجعل قلبه سليمًا ولسانه صادقًا وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه سميعة وعينه بصيرة»[1].

وقال ﷺ: «تحرَّوا الصدق وإنْ رأيتم أنَّ فيه الهَلَكَة فإنَّ فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإنْ رأيتم فيه النجاة فإنَّ فيه الهَلَكَة»[2].

وروي عن النبـي ﷺ أنَّه قال للحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبك، فإنَّ الصدق طمأنينة، وإنَّ الكذب رِيبة»[3].

وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحق ولا عون كالصدق، ولذلك قيل: مَنْ قلَّ صدقه قلَّ صديقه.

وقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

ويَجْمُل بنا أن نذكر نبذة في الصدق أوردها الإمام شمس الدين

---

(١) أورده في كنز العمال ح ٣٠٧٦٨، وقال: رواه أبو الشيخ من حديث أبـي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه هناد بن السري في الزهد ح ١٣٧٦ عن مجمع بن يحيـى مرسلاً.

(٣) رواه الترمذي ح ٢٥١٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي ح ٥٧١١، وأحمد ١/ ٢٠٠.

محمد ابن قَيِّم الجوزية في كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ»[1]، وهي:

إنَّ الله عظَّم مقدار الصدق وعلَّق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرّهما به، فما أنجىٰ الله مَنْ أنجاه إلاَّ بالصدق، ولا أهلكَ من أهلكَه إلاَّ بالكذب. وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

وقد قسَّم سبحانه الخلق إلى قسمين: سعداء وأشقياء، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب، وهو تقسيم حاصر مطَّرد منعكس، فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق، والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب.

وأخبر سبحانه وتعالى أنَّه لا ينفعُ العبادَ يوم القيامة إلاَّ صدقهم، وجعل عَلَم المنافقين الذي تميزوا به هو الكذبَ في أقوالهم وأفعالهم. فجميع ما نَعَاه عليهم أصلُه الكذب في القول والفعل، فالصدق بريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه، (بل هو لُبُّه وروحه. والكذب بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه)[2] ولُبُّه. فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلاَّ ويطرد أحدهما صاحبه ويستقرُّ موضعه. والله سبحانه أنجى الثلاثة بصدقهم[3] وأهلك غيرهم من المتخلِّفين بكذبهم،

---

(١) ٣/ ٥٩٠.

(٢) ما بين الهلالين سقط من الأصل، وأثبتُّه من «زاد المعاد» ليتم المعنى.

(٣) وهو المذكورون في الآية الكريمة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ =

فما أنعم الله على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضلَ من الصدق الذي هو غذاء الإسلام وحياته، ولا ابتلاه ببليّة أعظمَ من الكذب الذي هو مرض الإسلام وفساده. انتهى ببعض تصرف.

* * *

= وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ . . . ﴾ الآية [التوبة: ١١٧، ١١٨]. [م].

خاتمة

ينبغي للمسلم أن يكون هَمُّه وقصده دائمًا في جميع شؤونه إطاعته لله ورضوانه، والبعد عما يدنِّسه من المعاصي والمُوبقات، وأن يعمل لاتِّباع ما جاء به الرسول ﷺ ويجتنب الابتداع؛ فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع. وليلزم التقوى فإنَّها العماد والسبب الأقوى، وهي وصية الله إلينا وإلى الأُمم من قبلنا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

واعلم يا أخي أنَّ جُمَاع الخير كله في تقوى الله عزَّ وجلّ واعتزال شرور الناس، ومن حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. وقد قيل إنَّ العاقل لا ينبغي أن يُرى إلاَّ ساعيًا في تحصيل حسنة لمعاده أو دِرهم لمعاشه، فكيف به مع ذلك إذا كان مؤمنًا عالمًا بما أعدَّ الله له من ثواب وعقاب على الطاعة والمعصية.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أنْ يكون أعزَّ الناس فليتقِّ الله، ومن سَرَّه أنْ يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثقَ منه بما في يده، ومَنْ سَرَّه أنْ يكون أقوى الناس فليتوكَّل على الله»[1].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٧٠، وأبو نُعيم في الحلية =

وقال سيِّدنا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه: مَنْ سَرَّه الغِنى بلا مال والعزّ بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذُلِّ معصية الله إلى عِزِّ طاعته فإنه واجدٌ ذلك كله.

وقال رسول الله ﷺ: «أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضاء، والقصد في الفقر والغنى، وأنْ أعفو عمن ظلمني، وأصل مَن قطعني، وأعطيَ مَنْ حرمني، وأن يكون نُطقي ذِكْرًا وصمتي فكرًا، ونظري عِبرة»[1].

ومن كلام إمامنا الشافعي رضي الله عنه: مَنْ لم تعزَّه التقوى فلا عزّ له.

ورحم الله القائل:

لكل شيء إذا ضيَّعتَه عِوضُ ... وليس لله إنْ ضَيَّعتَ مِن عوضِ

والقائل:

إذا أبقتِ الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليسَ بضائر

ولا خير في حياة لا تُصرف في طاعة الله والعمل لما يرضيه.

وواجب على أهل العلم أن يصدعوا بالحق، ويقودوا الناس إلى طريق الرشاد، ويقفوا في سبيل المنكرات والمفسدات، ويُحذِّروا الناس

= ٣/٢١٨ ــ ٢١٩، من حديث ابن عباس، وفي إسناده هشام بن زياد، قال الحافظ في تلخيص المستدرك: هشام متروك.

والحديث ضعفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ٢٤٤.

(١) لم أقف عليه.

مما يضرهم ويهلكهم. ومن شِيَم العالِم أنْ يكون عارفًا بزمانه، مُقبلاً على شأنه وكلُّ من لا يشعر من نفسه في أي عمل كان أنَّه مرتبطٌ بأمةٍ يسعَدُ بسعادتها ويشقى بشقائها فهو إما مُفرِّط أو غَاشٌّ أو مقصر.

وقد قال سيدنا عليّ كرَّم الله وجهه ورضي عنه: مَنْ قَصَّر في العمل ابتُلي بالهم (أي: الحسرة على فوات الثمرة)، ولا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب.

وقال رضي الله عنه: قيمة كل امرىء ما يُحسنه.

وفقنا الله جميعًا لما فيه خير الأمة والعمل لما يصلحها ويرقيها، آمين، اللّٰهم آمين.

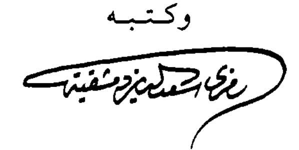
ووافق الفراغ من هذه الرسالة ضحى يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة عام ألف وثلاثمائة وسبعة وعشرين من الهجرة النبوية، والحمد لله بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا(١).

* * *

(١) تمت المقابلة على الأصل المطبوع في حياة المؤلف بقراءتي ومتابعة الأخ الشيخ أبي سالم مساعد العبد القادر، وذلك في الصحن المبارك تجاه الكعبة المشرفة بين صلاتي العصر والمغرب في يوم ٢١ من شهر المغفرة رمضان لسنة ١٤٢٠هـ.

❑ وتمت المقابلة مرة ثانية بقراءة زوجتي أم محمد في منزلنا الصيفي ضحى يوم الاثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه





المحتوى

• • •

٥٠

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٢-١٣)

جزء فيه
ذكر حال عكرمة
مولى عبد الله بن عباس وما قيل فيه

تخريج
الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

ويليه

عقد الجمان
في بيان شعب الإيمان

للعلامة محمد مرتضى الزبيدي

اعتنى بهما
نظام محمد صالح يعقوبي

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٢)

جُزْءٌ فِيْهِ



مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَمَا قِيلَ فِيْهِ

تخريج

الإِمَامِ الحَافِظِ عَبْدِ العَظِيمِ بْنِ عَبْدِ القَوِيِّ المُنْذِرِيِّ
(٥٨١ - ٦٥٦هـ)

رواية

أبي القاسم عُبيد الله بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان بن علي بن سليمان
الزرزاري عنه

اعتنى به

نظام محمد صالح يعقوبي

دار البشائر الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا جُزءٌ نفيس دبَّجَته يَراعةُ الإمام الحافظ المُنذري رحمه الله، كان مدفونًا مخزونًا في خزانةٍ خاصَّةٍ؛ فلم يذكرها أحدٌ ممن ترجم له أو اعتنى بمصنفاته؛ فوفقني الله تعالى ــ بمنِّه وفضله ــ لإخراجه والعناية به وخدمته. أسأل الله تعالىٰ أن يجعل عملي فيه ــ وفي غيره ــ خالصًا لوجهه الكريم، وينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتىٰ الله بقلب سليم.

وصلَّى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

موضوع الجزء:

● هذا جزءٌ أفرده الحافظ المنذري رحمه الله تعالى في ترجمة عكرمة مولىٰ حَبْر الأُمَّةِ سيدنا عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما وأرضاهما.

ويبدو أن حال عكرمة وما قيل فيه جَرْحًا وتعديلاً قد شغل الحفاظ والمحدِّثين؛ ولذا فقد صنَّفَ في الذبِّ عنه جماعة، منهم:

١ ــ إمام المفسرين مجتهد عصره أبو جعفر محمد بن جرير الطبريُّ.

٢ ــ والإمام محمد بن نصر المروزيُّ.

٣ ــ وأبو عبد الله بن مَنْدَه.

٤ ــ وأبو حاتم بن حِبَّان.

٥ ــ وأبو عمر بن عبد البَرِّ الأندلسي.. وغيرهم[١].

وهذا الجزء تتمة لجهود هؤلاء الجهابذة، وفيه نُقول ونصوص نادرة من هذه المؤلفات النفيسة المفقودة ــ فيما أعلم ــ حيث لم يصل إلينا شيء منها.

فالحمد لله علىٰ سلامة هذا الجزء من الضياع ووصوله إلينا!

● وقد ذبَّ الحافظ ابنُ حجر العسقلانيُّ رحمه الله تعالىٰ عن عكرمة ذبًّا حسنًا وقال:

«عكرمة أبو عبد الله مولىٰ ابن عباس، احتج به البخاريُّ وأصحابُ السنن، وتركه مسلمٌ فلم يخرج له، سوى حديث واحد في الحج مقرونًا بسعيد بن جبير، وإنما تركه مسلم لكلام مالك فيه، وقد تعقَّب جماعة من الأئمة ذلك وصنَّفوا في الذبِّ عن عكرمة...»، وذكر الحفاظ الذين ذكرناهم آنفًا.

ثم قال: «فأما أقوال من وهّاه فمدارها على ثلاثة أشياء: على رميه

---

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في «مقدمة فتح الباري» (١٩٢)، ط. إبراهيم عطوة عوض.

بالكذب، وعلى الطعن فيه بأنه كان يرى رأي الخوارج، وعلى القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأُمراءِ. فهذه الأوجه الثلاثة يدور عليها جميع ما طعن به فيه.

فأما البدعة فإن ثبتت عليه فلا تَضُرُّ حديثه لأنه لم يكن داعيةً، مع أنها لم تثبت عليه.

وأما قبول الجوائز فلا يقدح أيضًا إلاَّ عند أهل التشديد، وجمهور أهل العلم على الجواز كما صنَّفَ في ذلك ابنُ عبد البَرِّ.

وأما التكذيب فسَنُبيِّنُ وجوهَ رَدِّه بعد حكاية أقوالهم وأنه لا يلزمُ من شيءٍ منه قَدْحٌ في روايته»[1]. اهـ.

ترجمة الإمام المنذري صاحب الجزء:

اسمه ونسبه:

هو زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد المنذريُّ، الشامي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة.

ولادته ووفاته:

ولد بفسطاط مصر في غرة شعبان سنة ٥٨١هـ، وتوفي في أول الساعة العاشرة من يوم السبت ٤ ذي القَعْدة سنة ٦٥٦هـ، وصُلِّي عليه يوم الأحد بعد الظهر في موضع تدريسه بدار الحديث الكاملية، وصُلِّي عليه

(١) «مقدمة فتح الباري» (١٩٢)، وراجع تمام دفاعه عنه لزامًا.

قلت: ودافع عنه أيضًا الإمام أبو الفتح ابن سيد الناس في «أجوبته»، انظر: «أبو الفتح اليعمري حياته وآثاره وتحقيق أجوبته»، لمحمد الراوندي ٢/ ١١٦ ـ ١٢٦، ط. المغرب.

مرة أخرى تحت القلعة، ودُفن بسفح المُقَطَّم بمقبرتهم الخاصة بهم.

شيوخه:

سمع من جمع غفير وأجاز له خلق لا يُحصون؛ فممّن سمع منهم: أبـي عبد الله الأَرْتاحي، وعمر بن طبرزد، وعلي بن المُفضَّل الحافظ، وأبـي اليُمن الكندي، والإمام موفق الدين بن قُدامة وغيرهم كثير.

منزلته ومكانته:

كان من أعلم عصره بالحديث، عالمًا بصحيحه وسقيمه، ومعلوله وطرقه، متبحرًا في معرفة أحكامه ومعانيه ومُشكله، قيّمًا بمعرفة غريبة وإعرابه واختلاف ألفاظه، إمامًا حُجَّةً.

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ عز الدين الحسيني:

«كان عديمَ النظير في علم الحديث على اختلاف فنونه، ثبتًا حُجةً ورعًا مُتحريًا، قرأتُ عليه قطعةً حسنةً من حديثه، وانتفعتُ به كثيرًا».

وقال فيه الذهبـي في «سير النبلاء»:

«الإمام العلامة الحافظ المحقق شيخ الإسلام...».

ويكفيه ذلك فخرًا وشرفًا رحمه الله تعالىٰ.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة، عمّ نفعها وذاع صيتها منها:

أولاً ـ الحديث:

١ ـ أربعون حديثًا في الأحكام، وتسمى: «الأربعون الأحكامية» (مطبوع).

٢ ــ أربعون حديثًا في اصطناع المعروف بين المسلمين وقضاء حوائجهم (مطبوع).

٣ ــ أربعون حديثًا في فضل العلم والقرآن والذكر والكلام والسلام والمصافحة.

٤ ــ أربعون حديثًا في هداية الإنسان لفضل طاعة الإمام والعدل والإحسان.

٥ ــ الترغيب والترهيب، وهو أشهر مؤلفاته وبه يعرف فيقال: صاحب الترغيب والترهيب (طبع مرارًا).

٦ ــ جزء المنذري (فيمن غفر الله له ما تقدَّم وما تأخَّر).

٧ ــ جزء فيه حديث «الطهور شطر الإيمان».

٨ ــ الجمع بين الصحيحين.

٩ ــ زوال الظَّمَا في ذكر من استغاث برسول الله من الشِّدَّةِ والعَما.

١٠ــ عمل اليوم والليلة.

١١ــ مختصر سنن أبي داود (وهو المطبوع مع شرح ابن قيم الجوزية).

١٢ــ مختصر صحيح مسلم (طبعه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله).

١٣ــ الموافقات (ذكره الذهبي في السير وقال: إنه في مجلدة).

ثانيًا ــ الفقه:

١٤ ــ الخلافيات ومذاهب السلف.

١٥ــ شرح التنبيه (لأبي إسحاق الشيرازي)، وهو في ١١ مجلدًا (لم أقف على شيء من نُسخه).

ثالثًا ـ التاريخ:

١٦ـ الإعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام.

١٧ـ تاريخ من دخل مصر.

١٨ـ ترجمة أبي بكر الطرطوشي.

١٩ـ التكملة لوفيات النقلة (مطبوع بتحقيق د. بشار عواد معروف).

٢٠ـ المعجم المترجم.

راجع في تفصيل ذلك كله في:

١ ـ المنذريُّ وكتابه التكملة لوفيات النقلة، للدكتور بشار عواد معروف، مطبعة الآداب بالنجف، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٢ ـ مقدمة المحقق بشار عواد معروف لكتاب التكملة لوفيات النقلة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ١/١ ـ ٤٧.

٣ ـ سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، ٣١٩/٢٣ ـ ٣٢٤ (ترجمة ٢٢٢).

ومنها[1] لخصنا هذه الترجمة بتصرف واختصار.

وصف النسخة وعملي فيها:

● اعتمدت في إخراج هذا الجزء على نسخة مصورة عن أصل مخطوط في مكتبة خاصَّة. وهذا الجزء ضمن مجموع نفيس كله بخط أحد العلماء والنساخ المشهورين من القرن العاشر الهجري. ولم يأذن صاحب الأصل بذكر تفاصيلها أكثر من هذا الذي ذكرت فالتزمتُ بما وعدتُ.

---

(١) أي من هذه الكتب الثلاثة.

● وقد قسمت الجزء إلى فقرات مرقَّمة ليسهل العزو إلى الفقرة ووضعت عناوين بين معقوفتين زيادةً في الإيضاح، وعزوت معظم الأقوال إلى المصادر المتوفرة، ولم أتكلف لتيسر ذلك لمن أراد المراجعة والمقابلة، وأذكر هنا أهم هذه المصادر:

١ ــ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، ٥/ ١٩٠٥ ــ ١٩١٠، ط. دار الفكر.

٢ ــ الضعفاء، لأبي جعفر العُقيلي، ٣/ ٣٧٣ ــ ٣٧٦، (ط. د. عبد المعطي قلعجي).

٣ ــ تهذيب الكمال، للحافظ جمال الدين المِزّي، ٢٠/ ٢٦٤ ــ ٢٩٢، رقم (٤٠٠٩)، (ط. مؤسسة الرسالة الأولىٰ).

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قاله وكتبه

خادم العلم بالبحرين

نظام محمد صالح يعقوبي



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٢)

جزء فيه ذكر حال عكرمة

مولى عبد الله بن عباس وما قيل فيه

تخريج

الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
(٥٨١ - ٦٥٦هـ)

رواية

أبي القاسم عبيد الله بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان بن علي بن سليمان الزرزاري عنه

اعتنى به

نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

صلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم

أخبرنا الشيخ الإمام أبو القاسم عُبيد الله بن الشيخ أبـي عبد الله محمد بن الإمام أبـي محمد عثمان بن علي بن سليمان الزرزاري بقراءتي عليه، قال: أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذريُّ بقراءة والدي عليه، قال:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على سيِّد المرسلين، محمد وأهله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبـعـد: فقد جمعتُ في هذا الجُزء ما تَيَسَّر لي جَمْعُهُ من **حَال أبـي عبد الله عكرمة مولىٰ عبد الله بن عباس رضي الله عنهم**، وأقوال المتقدِّمين والمتأخِّرين فيه، مستعيذًا بالله من الخطأ والزلل، ومستعينًا به إنه ما شاء فعل!

[اسمه ونسبه ونشأته]:

هو أبو عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس، القُرشي، القاسمي، مولاهم، المدنيُّ.

أَصْلُهُ بَرْبَرِيٌّ من أهل المغرب، كان لحصين بن أبـي الحر العنبري؛ فوهَبَهُ لابن عباس حين وَلِيَ البصرةَ لعليّ بن أبـي طالبٍ رضي الله عنه.

واجتهد ابنُ عباس في تعليمه القرآن والسنن، وسَمَّاه بأسماءِ العرب؛ وهكذا كان يفعلُ في تسمية مواليه. والعكرمة: الأُنثى من الحَمام.

[روايته عن الصحابة، وهل هي مرسلة أو متصلة؟]:

حَدَّث عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عُمر، وعبد الله بن عَمرُو بن العاص، وأبـي هُريرة، وأبـي سعيد الخُدْري، والحسن بن عليّ، وعائشة.

وروى عن غير واحدٍ من الصحابة مرسلاً.

١ ــ قال أبو زرعة الرازيُّ: عكرمة عن أبـي بكر الصدِّيق، مرسل.

وقال أيضًا: عكرمة عن علي، مرسل[١].

٢ ــ وقال أبو حاتم الرازيُّ: عكرمة لم يسمع من سعد بن أبـي وقّاص.

وقال أيضًا: عكرمة لم يسمع من عائشة. هكذا حكىٰ عبد الرحمن بن أبـي حاتم، عن أبيه في كتاب «المراسيل» أن عكرمة لم يسمع من عائشة[٢].

---

(١) «المراسيل» ١٥٨.

(٢) «المراسيل» ١٥٨.

وقال في كتاب «الجرح والتعديل»[1]: قيل لأبي: سمع من عائشة؟ فقال: نعم.

٣ ــ وقيل ليحيىٰ بن معين: عكرمة عن عائشة، سمع منها؟ قال: لا أدري.

٤ ــ وذكر البخاريُّ وأبو داود السجستاني وغيرهما، أنَّ عكرمة سمع من عائشة.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عكرمة عن عائشة ثلاثة أحاديث.

وأخرج حديثه عن عائشة أيضًا أبو داود السجستاني، وأبو عيسى الترمذيُّ، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، في كتبهم. ويشبه أن يكون أبو حاتم الرازي تحقَّق سماعَه من عائشة فأثبته بعد أن كان نفاه.

٥ ــ وروى عن عكرمة من التابعين: محمد بن مسلم الزهريُّ، ويحيى بن سعيد الأنصاريُّ، وعَمرو بن دينار، وعامر بن شراحيل الشَّعْبيُّ، وأبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي، وسليمان بن أبي سليمان الشيباني، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وإسماعيل بن/ [٦٢ب] أبي خالد، وعاصم بن سليمان، وأبو الزبير محمد بن مسلم المكي، وقتادة بن دعامة، وحميد بن أبي حميد الطويل، ويحيىٰ بن أبي كثير، وسليمان بن مهران الأعمش، ويزيد بن أبي حبيب، وجماعة كثيرة من

(١) «الجرح والتعديل» ٧/ الترجمة ٣٢.

التابعين وغيرهم من أهل الأمصار[1].

[احتجاج العلماء بحديثه]:

٦ ــ واحتج البخاريُّ بحديثه في صحيحه، وأخرجَ حديثه أيضًا أبو داود السجستاني، وأبو عيسى الترمذيُّ، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو[2] عبد الله بن ماجه القزويني، في كتبهم. وصحَّح الترمذي حديثه.

٧ ــ وأمَّا مسلم بن الحجَّاج فلم يحتجَّ بحديثه، وأخرج له مقرونًا بسعيد بن جُبير، وطاوس بن كيسان.

٨ ــ وقال البخاريُّ: ليس أحد من أصحابنا إلَّا احتجَّ بعكرمة. وحكى البخاريُّ عن عمرو ــ وهو ابن دينار ــ قال: أعطاني جابر بن زيد صحيفةً فيها مسائلُ، قال: سَلْ عكرمة! فَجَعَلْتُ كأني أتباطأ[3]؛ فانتزعها من يدي، وقال: هذا عكرمة مولىٰ ابن عباس، هذا أعلم الناس!

٩ ــ وقال أبو عبد الرحمن النسائيُّ في كتاب «التمييز»: عكرمة مولى ابن عباس، ثقةٌ. وقال عثمان بن سعيد الدارميُّ[4]: سألتُ يحيى بن معين، قلتُ: عكرمةُ أَحَبُّ إليكَ عن ابن عباس أو عُبيد الله بن عبد الله؟ فقال: كلاهما؛ ولم يختر[5]. قلتُ: فعكرمةُ

(١) راجع تفصيل الرواة عنه في «تهذيب الكمال» للحافظ المزي رحمه الله، ٢٠/ ٢٦٥ ــ ٢٦٩، من الطبعة الأولىٰ.

(٢) الأصل: أبـي.

(٣) الأصل: أتباطىء.

(٤) تاريخه، الترجمة ٣٥٧. نقلاً عن هامش «تهذيب الكمال»، ٢٠/ ٢٨٨.

(٥) في «تهذيب الكمال»: يُخيِّر.

أو سعيد بن جُبير؟ فقال: ثقةٌ وثقةٌ؛ ولم يختر[1].

١٠ ــ وقال يحيى بن معين: حدّثني من سمع حمَّاد بن زيد يقول: سَمِعْتُ أَيُّوب ــ وسُئِلَ عن عكرمة كيف هو؟ ــ قال: لو لم يكن عندي ثقةً لم أكْتُبْ عنه.

١١ ــ وقال عبد الرحمن بن [أبي] حاتم: سألت أبي عن عكرمة مولىٰ ابن عباس؟ فقال: هو ثقة. قلت: يُحْتَجُّ بحديثه؟ قال: نعم إذا روىٰ عن الثقات؛ والذي أنكر عليه يحيى بن سعيد ومالك فلسبب رأيه. قلت لأبي: فموالي ابن عباس؟ فقال: كُريبٌ، وسُمَيعٌ، وشعبة، وعكرمة؛ وعكرمةُ أعلاهم.

١٢ ــ وذكر المروذي قال: قلتُ لأحمد بن حنبل: يُحْتجُّ بحديث عكرمة؟ قال: نعم يُحْتَجُّ به. وقال أحمد بن زهير: عكرمةُ أثبتُ الناس فيما يروي، ولم يحدِّث عَمَّن دونه أو مثلَه، حديثُه أكثرُه عن الصحابة.

١٣ ــ وقال ابن أبي ذئب: كان عكرمة مولىٰ ابن عباس ثقةً. وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبريُّ: وكان عكرمة لا يدفعه أحد نعلمه عن التقدُّم في العلم بالفقه والقرآن وتأويله وكثرة الروايات[2] للآثار.

١٤ ــ وقال الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عديّ الجرجانيُّ: وعكرمة مولىٰ ابن عباس لم أُخرِّج هاهنا من حديثه شيئًا؛ لأنَّ الثقات إذا رَوَوْا عنه فهو مستقيم الحديث، إلاَّ أن يروي عنه ضعيف فيكون قد أُتي من

(١) في «تهذيب الكمال»: يُخيِّر.

(٢) في «مقدمة الفتح»: الرواية (١٩٦).

قِبل الضعيف، لا مِن قِبَلِه. ولم يمتنع الأئمة من الرواية [عنه][(١)].
وأصحاب الصِّحاح أدخلوا حديثه ــ إذا روىٰ عنه ثقةٌ ــ في صحاحهم،
وهو أشهرُ من أن أحتاجَ إلى [أن][(٢)] أُخرج شيئًا من حديثه، وهو لا بأس
به[(٣)].

١٥ ــ وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني:
وأما حال عكرمة مولىٰ ابن عباس ــ رحمه الله ــ في نَفْسِهِ، فَقَدْ عَدَّلَهُ أئمةٌ
من نُبلاء التابعين ومَنْ بَعْدَهم، وحَدَّثوا عنه، واحتجّوا بمفاريده في
الصفات والسنن والأحكام.

[٦٣أ] روى عنه زُهاء ستمائة رجل من أئمة البلدان/ فيهم زيادة على
سبعين رجلاً من خيار التابعين ورفعائهم، وهذه منزلةٌ لا تكاد توجد[(٤)]
لكبير أحد من التابعين إلاّ لعكرمة مولىٰ ابن عباس رحمة الله عليه.

على أَنَّ من جَرَحَهُ من الأئمة لم يمسكوا[(٥)] عن الرواية عنه ولم
يستغنوا عن حديثه؛ مثل: يحيـى بن سعيد الأنصاريُّ، ومالك بن أنس
وأمثالهما رحمهم الله.

وكُلٌّ يتلقَّى حديثه بالقَبول ويحتج به، قرنًا بعد قرن، وإمامًا بعد إمام
إلى وقت الأئمة الأربعة الذين أخرجوا الصحيح وميَّزوا ثابت الحديث من

---

(١) زيادة يقتضيها السياق، وهي ثابتة في «الكامل».
(٢) زيادة يقتضيها السياق، وهي ثابتة في «الكامل».
(٣) «الكامل» لابن عدي، ٥/ ١٩١٠، ط. دار الفكر.
(٤) الأصل: تجد، وما أثبته موافق لما في «مقدمة الفتح»، (١٩٦).
(٥) الأصل: يمكسوا!

سقيمه، وخَطَئِهِ من صوابه، وخَرَّجوا رواتَهُ: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريُّ، وأبو الحسين مسلم بن الحجَّاج النيسابوري، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، وأبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، رحمة الله عليهم أجمعين؛ فأجمعوا على إخراج حديثه واحتجوا به. على أن مسلم بن الحجَّاج كان أسْوَأهم رأْيًا فيه؛ فَأَخْرَج عنه ما يقرنه في كتابه الصحيح وعَدَّله بعدما جَرَحَهُ[1].

١٦ ــ وقال رجل لِأَيُّوبَ: أكان عكرمةُ يُتَّهمُ؟ فسكت هُنَيْهَةً فقال: أَمَّا أنا فلا أَتَّهِمُهُ. وقال أحمد بن عبد الله بن صالح: عكرمة مولى ابن عباس ثقة.

وقال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزيُّ: قد أَجْمَعَ عامَّةُ أهل العلم على الاحتجاج بحديث عكرمة، واتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا، منهم: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، ويحيى بن معين؛ ولقد سألتُ إسحاق بن راهويه عن الاحتجاج بحديثه؟ فقال لي: عكرمةُ عندنا إمام الدنيا، وتَعَجَّبَ من سؤالي إيَّاه. قال: وحدَّثنا غير واحد: أنهم شهدوا يحيى بن معين ــ وسأَلَهُ بعض التابعين[2] عن الاحتجاج بحديث عكرمة ــ فَأَظْهَرَ التعجب[3]!

[الرواة عنه]:

١٧ ــ وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: روى

---

(١) نقل العبارة بالمعنى عنه الحافظ ابن حجر في «مقدمة الفتح» (١٩٦ ــ ١٩٧).

(٢) في «مقدمة الفتح»: الناس.

(٣) «مقدمة الفتح»، (١٩٦).

عن عكرمة مائةٌ وثلاثون ــ أو قال: قريبٌ من مائة وثلاثين رَجُلاً ــ من وجُوه البلدان، من مكيٍّ، ومدنيٍّ، وكوفيٍّ، وبصريٍّ ومن سائر البلدان، كلهم روىٰ عنه ــ رضي الله عنه ــ ورَضي به.

١٨ ــ وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري في «تاريخ نيسابور»: وقد حَدَّث عكرمة بالحرَمين، ومصر، واليمن، والشام، والعراق، وخراسان، فأمَّا أهل الحرمين من التابعين وغيرهم فقد أكثروا الرواية عنه، وعدَّد جماعة.

[الموازنة بينه وبين تلاميذ ابن عباس الآخرين]:

١٩ ــ وسُئل أبو حاتم الرازي عن عكرمة وسعيد بن جُبير، أيُّهما أعلمُ بالتفسير؟ فقال: أصحاب ابن عباس عيالٌ على عكرمة. وقال الشَّعْبيُّ: ما بَقيَ أحدٌ أعلم بكتاب الله من عكرمة.

[توثيقه وسعة علمه]:

٢٠ ــ وقال حبيب بن الشهيد: كنت [عند][١] عمرو بن دينار، فقال: واللّٰهِ ما رَأيْتُ مِثْلَ عكرمة قطُّ! فقال لي أَيُّوبُ ــ وهو إلى جنبي وأَسَرَّ إليَّ فقال ــ: واللّٰهِ لو رأى محمدًا ــ يعني ابن سيرين[٢] ــ ما حَلَفَ على هذا!

٢١ ــ وقال يحيى بن أيوبَ: قال لي ابنُ جُرَيْجٍ: قدمَ عليكم مصر ــ يعني عكرمة ــ؟ قال، قلتُ: نعم! قال: / فكتبتم عنه؟ قال، قلتُ: [٦٣ب] لا! قال: ذهبَ عنكم ثُلُثَا العلم.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) استدركها الناسخ بهامش الأصل.

٢٢ ـ وقال عليّ بن المديني: كان عكرمة من أهل العلمِ. وقال أيوب: كُنتُ أريد أن أَرْحلَ إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق؛ فإني لفي سوقِ البصرةِ، إذا رَجُلٌ على حمار له؛ فقيل لي: عكرمة! واجتمع الناس عليه. قال: فقمتُ إليه فما قَدَرْتُ على شيءٍ أسأل عنه، ذهبت المسائل مني! فَقُمْتُ إلى جنب حماره؛ فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ.

٢٣ ـ وقال عبد الصمد [بن][1] معقل: قدم عكرمةُ الجَنَدَ فأهدى إليه طاوس نجيبًا بستين دينارًا! فقيل لطاوس: ما يصنع هذا بنجيب بستين دينارًا؟ فقال: أترون لا أشتري علمَ ابن عباسٍ لعبد الله بن طاوس بستين دينارًا[2]؟!

٢٤ ـ وقال عثمان بن حكيم: جاء عكرمة إلى أمامة بن سَهْل بن حنيف وأنا جالس عنده؛ فقال: يا أبا أمامة! أسمعت ابن عباس يقول: ما حدَّثكم عكرمة عني من شيء فَصَدِّقُوهُ فإنَّه لا يكذبُ عليَّ؟ قال: نعم[3].

٢٥ ـ وقال قتادةُ: أعلمُ الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلم الناس بالمناسك عطاء، وأعلمُ الناس بالتفسير عكرمةُ[4].

وقال قتادة أيضًا: كانَ أعلمَ التابعين أربعةٌ: كان عطاء بن أبي رباح أَعْلَمَهُم بالمناسك، وكان عكرمة مولى ابن عباس أعلمَهم بسيرة

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) «الضُّعفاء» للعقيلي، ٣/ ٣٧٦.

(٣) «تهذيب الكمال»، ٢٠/ ٢٧١، وعزاه محققه بشار عواد إلى «تاريخ الدوري» ٢/ ٤١٣.

(٤) «تهذيب الكمال»، ٢٠/ ٢٧٢، وعزاه محققه إلى «المعرفة والتاريخ» ١/ ٧٠١ ـ ٧٠٢.

النبـي ﷺ، وكان سعيد بن جُبير أعلمَهم بتفسير القرآن، وكان الحسن بن أبـي الحسن أعلمَهم بالحلال والحرام[١].

وقال قتادة أيضًا: لا تسألوا هذا العبد إلاَّ عن القرآن.

٢٦ ــ وقال أبو الشعثاء ــ وهو جابر بن زيد ــ: هذا مولى ابن عباس، هذا أعلمُ الناس. قال سفيان ــ وهو ابن عُيينةَ ــ: يعني لعكرمة. قال سفيان: الوجه الذي غلبه فيه عكرمة المغازي، وكان إذا تكلَّم فَسَمِعَهُ إنسانٌ قال: كأنه يشرف عليهم فيراهم[٢].

وقال عمرو بن دينار: لو رأيت عكرمة يحدِّث عن القوم قلت: يُشرفُ عليهم وهم يَقْتَتِلُونَ!

٢٧ ــ وقال أيوب: لو قُلتُ لكَ إنَّ الحسن ترك كثيرًا من التفسير حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها لَصَدَقْتُ!

وقال سفيان بن عُيَيْنَةَ: لما قَدِمَ عكرمةُ البصرةَ أمسكَ الحسنُ عن التفسير.

وقال سلام بن مسكين: كان عكرمةُ من أعلم الناس بالتفسير.

٢٨ ــ وقال حبيبٌ ــ وهو ابنُ ثابت ــ: مَرَّ عكرمةُ، وعطاءٌ،

---

(١) «تهذيب الكمال»، ٢٠/ ٢٧٢، وعزاه محققه إلى «المعرفة والتاريخ» ٢/ ١٦.

(٢) بهامش الأصل: وقال عمرو بن دينار: دَفَعَ إِلَيَّ جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة، فجعل جابر يقول: هذا أعلمهم، هذا مولى ابن عباس هذا البحر فَسَلُوه. قاله ابن عبد البر في تمهيده. اهـ.

قلت: وهو في «طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٨٥، ٥/ ٢٨٨، ونقلها عنه المزي في «تهذيب الكمال»، ٢٠/ ٢٧١، وانظر: «الضعفاء» للعقيلي ٣/ ٣٧٤.

وسعيد، قال: فَحَدَّثَهم، فلما قامَ قُلْتُ لهم: تُنكران مما حَدَّث شيئًا؟ قالا: لا.

وقال أيوب: قَدِمَ علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى أُصعد فوق [ظهر] بيت(١).

وقال أيوب: حدَّثني صاحب لنا قال: كنت جالسًا إلى سعيد وعكرمة وطاوس ــ وأظنه قال: وعطاء ــ في نَفَرٍ، قال: فكان عكرمةُ صاحبَ الحديث يومئذٍ، قال: وكأَنَّ على رؤوسهم الطيرُ، فإذا فرغ، فمن قائل بيده هكذا ــ وعقد المئين ــ ومن قائل برأسه هكذا ــ يميل رأسه ــ قال: فما خالَفَهَ أحدٌ منهم في شيء؛ إلاَّ أنه ذكر الحُوتَ، فقال: كان يسايرهما في ضحضاحٍ من الماء؛ فقال سعيد بن جبير: أشهد على ابن عباس وسمعته يقول: كانا يحملانه في مِكْتَل(٢). قال أيوب: أُراه كان يقول القولين جميعًا(٣).

٢٩ ــ وقال سفيان الثوري: خذوا تفسير القرآن عن عكرمة، وعن سعيد بن/ جُبير، ومجاهد، والضحاك. فبدأ بعكرمة. [٦٤أ]

٣٠ ــ وروي عن ابن هبيرة قال: قدم علينا عكرمةُ مصرَ، فجعل(٤) يحدثنا بالحديث عن الرجل من أصحاب النبـي ﷺ ثم يحدثنا به عن غيره. قال: فأتينا إسماعيل بن عُبيد الأنصاري، وقد كان سمع من ابن عباس، فذكرنا ذلك له؛ فقال لنا: أَخْبُرُهُ. قال: فأتاه فسأله عن أشياء ــ مسائل ــ

(١) «تهذيب الكمال» ٢٠/ ٢٧٤، وما بين المعقوفتين زيادة منه.

(٢) المكتل: الزنبيل، وهو القفة: وعاء من الجلد أو غيره لنقل الحبوب وغيرها.

(٣) «المعرفة والتاريخ» ٢/ ٧؛ و «تهذيب الكمال» ٢٠/ ٣٧٢ ــ ٣٧٣، بلفظ مغاير.

(٤) غير واضحة، ويمكن أن تكون: فكان، والله أعلم.

عن ابن عباس؛ فأخبره بها على مثل ما سمع. قال: ثم أتيناه فسألناه، فقال: الرجل صدوق، ولكنه سمع من العلم فأكثر، فكلَّما سَنَح منه طريق سَلَكَهُ.

[ذكر من تكلَّم فيه]:

٣١ ــ وقال وهيب ــ وهو ابن خالد ــ: شهدت يحيىٰ بن سعيد الأنصاري وأيوب، فذكرا عكرمة؛ فقال يحيى بن سعيد: كان كذابًا، وقال أيوب: لم يكن بكذاب!

٣٢ ــ وقال عبد الله بن الحارث: دخلتُ [علىٰ][(١)] علي [بن][(٢)] عبد الله بن عباس؛ فإذا عكرمة في وثاق عند باب الحش؛ فَقُلْتُ له: ألا تتقي الله! فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبـي.

وروي هذا أيضًا عن يزيد بن أبـي زياد.

وقال عثمان ــ أبو مرة ــ قلتُ للقاسم وهو ابن محمد بن أبـي بكر الصدِّيق: إن عكرمة مولىٰ ابن عباس حدَّثنا وذكر حديثًا؛ قال: يا ابن أخي! إن عكرمة كذابٌ يحدِّث غدوة حديثًا يخالفه عشيةً!!

٣٣ ــ وقال إسحاق بن عيسى: سألتُ مالك بن أنس، قلتُ: أَبَلَغَكَ أن ابنَ عمر قال لنافعٍ: لا تكذب عليَّ كما كَذَب عكرمة على ابن عباس؟ قال: لا! ولكن بلغني أن سعيد بن المسيِّب قال ذلك لِبُرْدٍ مولاه[(٣)]!

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) «تهذيب الكمال» ٢٠/ ٢٨٠؛ و «مقدمة الفتح» (١٩٢).

٣٤ ــ وقال إبراهيم بن سعد عن أبيه: كان سعيد بن المسيِّب يقول لبُرْد مولاه: يا بُرد! لا تكذب عليَّ كما كَذَبَ عكرمةُ على ابن عباس[١].

٣٥ ــ وقال فطر بن خليفة: قلت لعطاء: إن عكرمة يقول: قال ابن عباس: سَبَقَ الكتاب الخُفَّيْن. فقال: كذب عكرمةُ! سمعتُ ابنَ عباس يقول: لا بأس بمسح الخُفَّين وإن دَخَلْتَ الغائط.

٣٦ ــ وقال معن، ومطرف، ومحمد بن الضحَّاك: كان مالك لا يرى عكرمة ثقةً، ويأمر أن لا يُؤْخَذَ عنه.

٣٧ ــ وقال الربيعُ: قال الشافعيُّ: وهو ــ يعني: مالكَ بن أنس ــ سيِّـىءُ الرأي في عكرمة؛ قال: لا أرىٰ لأحدٍ أن يقبل حديثه[٢]. وقال الشافعي في بعض كتبه: نحن نتقي حديث عكرمة. وقال ابن أبـي ذئب: أدركتُ عكرمة وكان غير ثقةٍ.

٣٨ ــ وقال إبراهيم بن المنذر: قال لي عبد الله بن عُبيد الله بن عباس: كان ابنُ عباس لا يستحل أن يُعتق عكرمة، وإنما أعتقه علي بن عبد الله بن عباس.

٣٩ ــ وقال ابن علية: ذكر أيوب عكرمة فقال: كان قليل العقل! أتيناه يومًا فقال: واللّـهِ لا أُحَدِّثُكم! فمكثنا ساعةً، فجعل يحدِّثنا؛ ثم قال: أيُحسن حَسَنُـكم مثل هذا؟! قال: وبينا أنا يومًا عنده وهو يحدِّثنا، إذ رأى أعرابيًا فقال: هاه! ألم أَرَكَ بأرضِ الجزيرة أو غيرها؟ فأقبل عليه وتَرَكَنا!

---

(١) «تهذيب الكمال» ٢٠/ ٢٨٠؛ و «مقدمة الفتح» (١٩٢).

(٢) «تهذيب الكمال» ٢٠/ ٢٨٣.

٤٠ ــ وقال أيوب: كُنا نأتي عكرمة فيحلف بالله لا يحدِّثنا، فما نكون قطُّ بأطمع منه في الحديث عند ذلك. قال له رجل: ألم تحلف بالله؟ قال: ما يدريكم؟ كفارة يميني أن أُحَدِّثَكُم!

٤١ ــ وقال يزيد بن هارون: قدم عكرمة البصرة؛ فأتاه أيوب وسليمان التيمي ويونس بن عُبيد؛ فبينما هو يحدِّثهم إذ سمعوا صَوْتَ غناء؛ فقال عكرمة: اسكتوا! فَتَسَمَّعَ ثُمَّ قال: قاتَلَهُ الله لقد أجاد! أو قال: ما أجودَ ما غنَّى! قال: فأمَّا سليمان ويونس فلم يعودا إليه، وعاد إليه أيوب. قال يزيد: وقد أَحْسَنَ أَيُّوبُ!

٤٢ ــ وقال ابن عون: ما تركوا أيوب حتى استخرجوا منه ما لم يكن يريد ــ يعني الحديث عن عكرمة ــ .

٤٣ ــ وقيل لداود بن أبي هند: تروي عن عكرمة؟ [قال: لو][1] اتقى الله وكفَّ من حديثه لَشُدَّتْ إليه المطايا! وقال أيضًا: المسكين لو اقتصر على ما سمع! كان قد سمِعَ علمًا.

وقال سعيد بن جبير: لو كف عنهم عكرمة من حديثه لشُدَّتْ إليه المطايا.

٤٤ ــ وسُئل محمد بن سيرين عن عكرمة فقال: ما يسوؤني أن يكون من أهل الجنة، ولكنه كذاب.

وقال خالد الحذاء: كل ما قال محمد بن سيرين: نُبِّئْتُ عن ابن عباسٍ، فإنما رواهُ عن عكرمة. قلت: لم يكن يسمِّي عكرمة؟ قال: لا!

(١) زيادة يقتضيها السياق.

محمد ومالك لا يسمُّونه في الحديث؛ إلاَّ أنَّ مالكًا قد سمَّاه في حديث واحد. قلت: ما كان شأنه؟ قال: كان من أعلم الناس، ولكنه كان يرى رأي الخوارج ــ رأي الصُّفْريَّة ــ ولم يدع موضعًا إلاَّ خرج إليه: خراسان، والشام، واليمن، ومصر، وإفريقية. ويُقال: إنما أَخَذَ أهل إفريقية رأي الصفرية من عكرمة لمَّا قدم عليهم، وكان يأتي الأمراء يطلب جوائزهم[1].

٤٥ ــ وقال عبد العزيز بن أبـي روّاد: رأيتُ عكرمة بنيسابور؛ فقلتُ له: تركت الحرمين وجئت[2] إلى خراسان؟ فقال: جئتُ أسعى على عيالي.

٤٦ ــ وقال عليُّ بن المديني، عن يحيـى بن سعيد: حدَّثوني ــ واللّـهِ ــ عن أيوب؛ فذُكِر له عكرمةُ وأنه لا يُحسن الصلاة!؛ فقال أيوب: وكان يُصلي؟!

٤٧ ــ وقال أحمد بن حنبل: ميمون بن مهران أوثقُ من عكرمة، ميمون ثقةٌ، وذكَرَه بخير. وقال أيضًا: عكرمة مضطرب الحديث مُخْتَلَفٌ فيه، وما أدري؟

٤٨ ــ وقال إبراهيم بن يعقوب: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: أكان عكرمةُ أتى البربر؟ قال: نعم! وأتى خُراسان. كان يطوفُ على الأُمراءِ يأخذُ منهم. مات هو وكُثَيِّرُ عَزَّة في يوم واحد ولم يشهد جنازةَ عكرمةَ كثيرُ أحدٍ!

٤٩ ــ وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في «تاريخ

---

(١) «تهذيب الكمال» ٢٠/٢٨٨.

(٢) الأصل: وحيث. تحريف.

الغُرباء»: وبالمغرب إلى وقتنا هذا قومٌ على مذهب الإباضية يُعرَفون بالصُّفْريّة يزعمون أنهم أخذوا مذهبهم عن عكرمة مولىٰ ابن عباس(١).

٥٠ ــ وقال أبو نُعيم الأصبهاني في «تاريخ أصبهان»: عكرمة مولى عبد الله بن عباس، كان كثير الجوَلان والتطواف في البلدان، قدم على الوالي بأصبهان فأجازه بثلاثة آلاف درهم.

وذكر عن يزيد النحوي أنه قال: خرجت حاجًّا فلقيتُ عكرمة في مفازة يزْد، فدنوتُ منه فَسَلَّمْتُ عليه، ثم قُلْتُ: كيف أنت يا [أبا](٢) عبد الله؟ فقال: بخير ما لم أَرَكَ وأصحابكَ! فَقُمْتُ عنه.

[٦٥أ] وذكر الحافظ أبو عبد الله النيسابوري/ في «تاريخ نيسابور» عن يزيد النحوي قال: كُنتُ قاعدًا عند عكرمة بمرو؛ فأقبل مقاتل وأخوه ــ ابنا حيَّان ــ فوقفا عليه؛ فقال مقاتل: يا أبا عبد الله! ما تقول في نبيذ الجرِّ؟ فقال عكرمةُ: هو حرامٌ؛ مثل الميتة والدم ولحم الخنزير. قال: فما تقول فيمن يشربه؟ قال: أقول أن كل شربة منه كفرة!

قال يزيد: فقلتُ: واللّـٰهِ لا أدعُ شُرْبَ نبيذِ الجرِّ أبدًا حتى ألقى اللّـٰهَ عزَّ وجلّ! فوثَبَ عكرمة وقام مغضبًا منتفخًا، وقال لي: أبعدك الله!

قال يزيد: فانطلقتُ حاجًّا، فلقيته في مفازة يَزْد؛ فدنوت منه فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قُلْتُ له: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير ما لم أَرَكَ وأصحابَكَ! فَقُمْتُ عنه.

---

(١) «مقدمة فتح الباري» (١٩٣)، ط. إبراهيم عطوة عوض.

(٢) سقط من الأصل.

٥١ ـ وقال محمد بن سعد: أخبرنا مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري، قال: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، وطَلَبَهُ بعضُ وُلاةِ المدينة فَتَغَيَّب عند داود بن الحصين حتى ماتَ عِنْدَهُ.

قالوا: وكان عكرمةُ كثير الحديث والعلم، بحرًا من البحور وليس يُحْتَجُّ بحديثه، ويتكلم الناس فيه. وفي رواية غير مصعبٍ قال: وادَّعى على ابن عبَّاسٍ أنه كان يرى[1] رأي الخوارج.

٥٢ ـ وقال الحافظ أبو أحمد ابن محمد النيسابوري[2]: أبو عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي، أصلُه بَرْبَرِيٌّ من أهل المغرب؛ ثم قال: احتج بحديثه عامَّةُ الأئمة القدماء، لكن بعض المتأخرين أخرج حديثه من حيز الصِّحاح بما نذكره؛ وذلك قصة نافع مع ابن عمر.

وروى أيوب عن عكرمة قال: أرأيتَ هؤلاء الذين يُكَذِّبوني من خلفي، ألا يكذِّبوني في وجهي؟ فإذا كذبوني في وجهي فقد كذبوني.

قال سليمان بن حرب: وجه هذا: يقول: إذا قرَّروه بالكذب ولم يجدوا له حجة.

٥٣ ـ وقال ابن بُكير: قدم عكرمة مصرَ وهو [من][3] بربر

---

(١) الأصل: يراى. تحريف.

(٢) هو الإمام الحافظ الحاكم الكبير، صاحب كتاب «الكنى».

(٣) زيادة يقتضيها السياق، والكلمة التي بعدها غير واضحة في الأصل، والله أعلم.

المغرب، ونزل هذه الدار، وأومأ إلى دارٍ إلى جانب دار ابن بكير، وخرج إلى المغرب؛ فالخوارج الذين هم بالمغرب، عنه أخذوا.

٥٤ ــ وقال علي بن المديني: كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري. وقال الدراوردي: توفي عكرمةُ وكُثَيِّر عَزَّة الشاعر بالمدينة في يوم واحد؛ فما حمل جنازتهم إلاَّ الزنج، وعجب[1] ــ وفي رواية: وعجب الناس ــ لاجتماعهما في الموت واختلاف رأيهما: عكرمة يظنّ به أنه يرى رأي الخوارج يُكَفِّرُ بالنظرة! وكُثَيِّر شيعيٌّ مؤمنٌ بالرجعة!

٥٥ ــ وقال يعقوبُ بن سفيان: ثنا ابن أبي أويس، عن مالك، عن أبيه، قال: أُتي بجنازة عكرمة مولى ابن عباس وكُثَيِّرُ عَزَّة بعد العصر؛ فما علمتُ أن أحدًا من أهل المسجد حَلَّ حَبْوَتَهُ إليهما. وفي رواية: فما شهدها إلاَّ سودان المدينة؛ وفي رواية: شهد الناس جنازة كُثَيِّر وتركوا جنازة عكرمة!

٥٦ ــ وقال علي بن المديني: مات عكرمةُ بالمدينة سنة أربع ومائة. قال: فما حَمَلَهُ أحدٌ، اكتَروا [له][2] أربعة!

وقال المفضل بن فضالة: مات عكرمة وكُثَيِّرُ عَزَّة في يوم واحد، فأخرجتْ جنازتهما، فما علمتُ تخلَّفَ رجل ولا امرأة بالمدينة عن جنازتهما. قال: وقيل: مات اليوم أعلمُ الناس وأَشْعَرُ الناس. قال:

(١) بعدها كلمة غير مقروءة، أكلها التجليد.

(٢) سقطت من الأصل، والتصحيح من «تهذيب الكمال». واكتروا: أي استأجروا.

وغلب النساء على جنازة كُثَيِّر يبكينه ويذكرن عزَّة في ندبهن إيَّاه.

[الرد على من تكلَّم فيه وإثبات توثيقه]:

٥٧ ــ وقال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: / عكرمة قد [٦٥ب] ثبتت عدالته بصحبة ابن عباس وملازمته إياه، وبأن غير واحد من أهل العلم روَوا عنه وعدّلوه، وما زال العُلماء بعدهم يَرْوُون عنه.

قال: وممن روى عنه من جِلَّة التابعين: محمد بن سيرين، وجابر بن زيد، وطاوس، والزُّهري، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهم.

قال أبو عبد الله المروزي: وكل رجل ثبتت عدالته برواية أهل العلم عنه وحَمْلهم حديثَه فلم يقبل فيه تجريح أحد جرَّحه حتى يثبت عليه أمر لا يُجهل أن يكون جَرْحةً، وأما قوله: فلان كذاب فليس مما يُثْبِتُ جَرْحَةً حتى يُبيِّنَ ما قاله.

٥٨ ــ قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: جماعةُ الفقهاء وأئمة الحديث؛ الذين لهم بَصَرٌ بالفقه والفُتيا[1] هذا قولهم؛ فإنَّه لا يُقبل من ابن معين ولا من غيره فيمن اشتهر بالعلم وعُرف به وصَحَّت عدالته وفهمه إلَّا أن يبين الوجه الذي يجرحه به على حسب ما يجوز من تجريح العدل المبرز العدالة في الشهادات. وهذا الذي لا يصح أن يُعتقد غيره، ولا يحل أن يلتفت إلى ما خالفه، وبالله التوفيق.

٥٩ ــ وقال أبو عمر: عكرمة مولى ابن عباس، مِن جِلَّة العُلماء،

---

(١) غير واضحة في الأصل، والمثبت هو الأظهر ويناسب السياق.

لا يقدح فيه كلام من تكلَّمَ فيه لأنَّه لا حُجَّةَ مع أحدٍ تَكَلَّم فيه. وقد يحتمل أن يكون مالك جَبُنَ عن الرواية عنه لأنَّه بَلَغَهُ أن سعيد بن المسيِّب كان يرميه بالكذب؛ ويحتمل أن يكون لما نُسب إلى رأي الخوارج، وكُلُّ ذلك باطل عليه إن شاء الله.

٦٠ ــ وقال أيضًا: وأما قول سعيد بن المسيب فيه؛ فقد ذكر العلَّة الموجبة للعداوة بينهما أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي في كتاب «الانتفاع بجلود الميتة»، وقد ذكرت هذا وأسبابه في كتاب «جامع بيان أخذ العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»[(١)]، في باب: «قول العلماء بعضهم في بعض».

وقد تكلَّم فيه ابن سيرين، ولا خلاف أعلم بين ثقات أهل العلم أنه أعلم بكتاب الله من ابن سيرين. وقد يَظُنُّ الإنسان ظنًّا يغضب له ولا يملك نَفْسَه.

وقال أبو عمر أيضًا: وزعموا أن مالكًا أسقط ذكر عكرمة منه ــ يعني حديث ابن عباس في الهلال ــ لأنه كره أن يكون بكتابه، لكلام سعيد بن المسيِّب وغيرِه فيه، ولا أدري صحَّةَ هذا، لأن مالكًا ذكره في كتاب الحج وصَرَّح باسمه ومال إلى روايته عن ابن عباس، وتَرَكَ رواية عطاء في تلك المسألة، وعطاء أَجَلُّ التابعين في علم المناسك والثقة والأمانة.

٦١ ــ وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبريُّ: والصوابُ من القول عندنا ــ في عكرمة وفي غيره ممن شُهِرَ في المسلمين بالصلاح والستر ــ أنه جائز الشهادة، مستحق الوصف بالعدالة من أهل الإسلام،

---

(١) وهو كتابه المشهور المطبوع مرارًا.

ولا يدفع ذو علم بعكرمة ومعرفة بمولاه عبد الله بن عباس أن عكرمة كان ــ وهو رجل مجتمع ــ لابن عباس مملوكًا، بل كان من خواص مماليكه وأنه لم يَزَلْ في ملكه حتى مضى لسبيله رحمه الله تعالى، مع علمه به وبموضعه من العلم بالقرآن وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه، وأنه لم يُحْدِث له إخراجًا عن مِلكهِ ببيعٍ ولا هِبةٍ؛ بل ذُكر عنه أنه ربما اسْتَثْبَتَه في الشيء ثم يَسْتَصْوِبُ فيه قوله.

ولو كان ابن عباس اطَّلع منه على أمرٍ ــ في طول مكثه في مِلكه ــ مذمومٍ، أو مذهبٍ في الدين مكروهٍ، لكان حريًّا أن يكون قد أخرجه عن ملكه أو عاقَبَهُ بما يكون له من مذهبه أو فعله[١] / ، أو يتقدم إلى أصحابه [٦٦أ] بالحذر منه ومن روايته، وأعلمهم من حاله التي اطلع منه عليها ما يوجب لهم الحذر منه والأخذ عنه.

وفي تقريظ جِلَّةِ أصحاب مولى عكرمة إياه ووصفهم له بالتقدم في العلوم وأمرهم الناس بالأخذ عنه: كجابر بن زيد أبي الشعثاء ومنزلتُه من الإسلام منزلتُه، وموضعُه من الحلال والحرام موضعُه، وتقدمه في الفضل؛ الذي يقول ــ وقد سُئِلَ عنه ــ : هو البحر فَسَلُوه.

وكسعيد بن جبير، ومكانه من العلم بالحلال والحرام، ومعرفته بالشرائع وتأويل القرآن ومحله من الإسلام، يقول ــ وقد سُئِلَ: هل بقي أحد أعلمُ منك؟ ــ فيقول: نعم! عكرمة.

---

(١) كذا بالأصل، وكأن في العبارة سقطًا، ولعل الصواب: بما يكون له رادعًا. . .

وكطاوس بن كيسان في فضله وورعه وزهده وعبادته وعلمه وقِدَمِ صُحْبَتِهِ عبدَ الله بن عباس رحمةُ الله عليهما؛ يرى استعطافه بالهدية إليه ليُفيدَ ابنه من علمه وليمكِّنه من الاقتباس منه.

وكان أيوب بن أبـي تميمة السختياني في فضله وورعه وأمانته على الدين وأهله يشهد له بالثقة على ما رَوَى وحَدَّث، وينكر تهمة من يتَّهمه على ما[1] يتهمه.

وكشهر بن حوشب وأَمْرِهِ من سَأَلَهُ عنه بالأخذِ عنه؛ في غيرهم ممن يُتعب إحصاؤهم من أهل الفضل، ممّن يقرظه ويمدحه في دينه وعلمه بالشهادة[2] بعضهم تثبت للإنسان العدالة ويستحق من المسلمين جواز الشهادة؛ ومن ثبتت له منهم العدالة وجازت له منهم الشهادة لم تُجرح شهادته، ولم تسقط عدالته بالظِنَّةِ والتهمة، وبأن فلان[3] قال لمولاه: [لا] تكذب عليَّ كما كذب فلان على فلان، وما أشبه ذلك من القول الذي له وجوه وتصاريف ومعانٍ غير الذي يوجهه[4] إليه أهل الغباوة ومن لا علم له بتصاريف كلام العرب!

وأتعجَّب كلَّ العجب مِمَّن عَلِمَ حال عكرمة ومكانه من عبد الله بن عباس وطول مكثه معه وبين ظهرانَيْ أصحاب رسول الله ﷺ؛ ثمَّ مَنْ بَعْدَ ذلك من خيار التابعين والخالفين وهم له مقرِّظون، وعليه مُثْنون، وله في

---

(١) الأصل: من؛ ولكن أصلحها الناسخ فيما يظهر.

(٢) كذا بالأصل. وفي «مقدمة الفتح»: ما بشهادة بعضهم. وهو الأقرب.

(٣) كذا بالأصل، والوجه: فلانًا.

(٤) الأصل: توجهه؛ وفي «مقدمة الفتح»: وجهه.

العلم والدِّين مقدِّمون، وله بالصدق شاهدون؛ ثم يجيء بَعْدَ مُضِيِّه لسبيله بدهرٍ وزمان نوابغُ يجادلون فيه من يَشْهَدُ له بما شهد له به مَنْ ذكرنا من خيار السلف وأئمة الخلف: من مُضيِّه على ستره وصلاحه وحاله من العدالة وجواز الشهادة في المسلمين؛ فإن كل ما[1] ذكرنا من حاله عمن ذكرنا عنه لا حقيقة له، ولا صحة خبر أُوْرِدَ عنهم: لا صحة له عن ابن عمر أنه قال لمملوكه: يا نافع لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس.

وقد بيَّنا من احتمال هذا القول من ابن عمر من الوجوه ما قد مضى ذكرنا بعضها، وهم مع ذلك من استشهادهم على دفع عدالة عكرمة وجرحهم شهادته وتوهينهم روايته بما ذكرنا من الرواية الواجبة عن ابن عمر، عندهم نافع مولى ابن عمر في نقل ما نقل وروى من خبر في الدين حُجَّة، وفيما شهد به عدل ثقة، مع صِحَّةِ الخبر عن ابن مولاه سالم أنَّه قال ــ إذ أُخبر عنه أنه يروي عن أبيه عبد الله بن عمر من استجازته إتيان النساء في / أدبارهن ــ : كَذَب العبدُ! وذلك صريح في التكذيب منه لنافع. فلم [٦٦ب] يَرَوا ذلك من قول سالم لنافعٍ جرحًا، ولا عليه في روايته طعنًا، ورأوا أنَّ قولَ ابن عمر لنافع: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباسٍ له جَرْحٌ، وفي روايته طعن، تسقطُ بها شهادتُه!!

وقال أبو جعفر: ولم نعارض[2] قائلي ما ذكرنا في عكرمة بما قيل في نافع طعنًا منَّا على نافع، بل أمرُهما عندنا في أنَّ ما نقلا في الدين من

(١) في الأصل: «من».

(٢) في الأصل: يعارض، والصواب ما أثبتُّ.

خبرٍ حجةٌ لازمٌ العملُ به مَنْ كان بخبر الواحد العدل دائنًا، ولكن أردنا أن نريهم تناقض قولهم.

وقال أيضًا: وغير بعيد أن يكون الذي يُحكىٰ عنهم عن ابن عمر في عكرمة نظير الذي حكي عن سعيد فيه.

وقال أيضًا: وأمَّا ما نُسِبَ إليه عكرمة من مذهب الصُّفْريَّة، فإنَّه لو كان كلُّ من ادُّعي عليه مذهبٌ من المذاهب الرديئة ونحلةٌ ثبت[1] عليه ما ادُّعي عليه من ذلك ونُحِلَهُ ـ يجب علينا إسقاط عدالته وإبطال شهادته وترك الاحتجاج بروايته ـ لزمنا ترك الاحتجاج برواية كل من نُقل عنه أَثَرٌ من مُحَدِّثي الأمصار كُلِّها؛ لأنه لا أحد منهم إلاَّ وقد نسبه ناسبون إلى ما يَرغب به[2] عنه قوم ويرتضيه له آخرون.

٦٢ ـ وقال محمد بن راشد: مات ابنُ عبَّاسٍ وعكرمة عبدُه، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار؛ فبلغَ ذلك عكرمة فأتىٰ عليًّا فقال: تبيعني بأربعة آلاف دينار؟ قال: نعم! قال: أما إنَّه ما خِيرَ لك! بِعْتَ علم أبيك بأربعةِ آلاف دينار! فراح عليٌّ إلى خالد فاستقالَهُ فأَقاله فأَعْتَقَهُ.

[وفاته رحمه الله]:

توفي عكرمة رضي الله عنه سنة أربع ومائة؛ وقيل: سنة خمس؛ وقيل: سنة سِتٍّ؛ وقيل: سنة سبع؛ وقيل: سنة خمس عشرة ومائة، وهو ابنُ أربع وثمانين سنة؛ وقيل: وهو ابن ثمانين سنة، وكانت وفاتُه بالمدينة

---

(١) في الأصل: «لم تثبت»، والتصحيح من «مقدمة الفتح».

(٢) الأصل له، والتصحيح من «مقدمة فتح الباري» (١٩٥).

شرَّفها الله تعالىٰ. ومن الناس من يقول: إنه مات بالقيروان. والصحيح أنه مات بالمدينة.

آخره ولله الحمد. فُرِغ[1] منه في جُمادى الأولى سنة عشرين وتسعمائة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، وحسبنا الله ونعم الوكيل[2].

* * *

---

(١) هذا قول ناسخ الأصل القسطلاني رحمه الله.

(٢) * فرغتُ من نَسخه ضُحى يوم الاثنين التاسعَ عشرَ من رمضان المبارك من سنة ١٤٢٠هـ بمنزلي في أم الحصم من المنامة عاصمة دولة البحرين قُبيل سفري إلى مكَّة المكرَّمة لعمرة العشر الأواخر من رمضان. والحمد لله وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه الفقير إلى رحمة ربه: نظام بن محمد صالح بن عبد الرحمن يعقوبي، العباسي نسباً، البحريني مولداً ومنشأً، ختم الله له بخير آمين.

* وفرغت من مقابلة منسوختي بالأصل المخطوط في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة في مجلسين آخرهما بين العشاءين ليلة الجمعة ٢٣ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ بقراءتي على أخي وحبيبي وقرَّة عيني الشيخ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله تعالى، وعلى سعادة الأخ الكريم الدكتور عبد الله بن الشيخ حمد المحارب ــ من أفاضل علماء الكويت، وخاصة تلاميذ الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله تعالىٰ ــ مع التصحيح والضبط.

والحمد لله وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

* وفرغتُ من مقابلة وتصحيح الأصل المصفوف في فندق شيراتون الكويت بقراءة الشيخ محمد بن ناصر العجمي أيضًا حفظه الله وبارك فيه وذلك قبيل صلاة الجمعة ٦ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ والحمد لله رب العالمين. =

. . . .

= * وفرغت من مقابلته وتصحيحه أيضًا في طائرة الخطوط الجوية البريطانية المتجهة من لندن إلى البحرين بقراءتي على شيخنا العلامة الجليل الدكتور عبد الستار أبو غدة حفظه الله تعالى ومتع به مع تصحيحه وضبطه لمواضع منه، جزاه الله خيرًا، وذلك يوم الاثنين ٦ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ، الموافق ٤ سبتمبر ٢٠٠٠م.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

كتبه

الفقير إلى الله تعالى

نظام محمد صالح يعقوبي

صح وثبت، وجزى الله أخانا وحبيبنا الشيخ نظام وأدام النفع به في الشرق والغرب، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

الدكتور عبد الستار أبو غدة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٣)



تأليف

العلامة محمد مرتضى الزبيدي
(١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)

اعتنى به

نظام محمد صالح يعقوبي

دار البشائر الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّه الذي جعلَ الإيمان شُعبًا، والصلاةُ والسَّلام على سيِّدنا محمد الذي بمبعثه حُرِسَت السَّماء ورُجمت الشياطين شُهبًا، وآله وصحبه الحائزينَ الشرف والفضل النُّجَبا، والتَّابعين لهم بإحسان ومَنْ إليهم انتسبا.

وبعد: فهذا جزء لطيف للإمام الحافظ ــ بل خاتمة الحفَّاظ ــ محمد مرتضىٰ الزَّبيدي في تقسيم شُعَبِ الإيمان، وبيانِ الأُصول التي ترجع هذه الشعب ــ كُلُّها ــ إليها، وينتظم عقدها لديها.

أسأل الله تعالى أن تكون نافعة وللخير جامعة.

وصف المخطوطة:

اعتمدتُ في إخراجها على نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ــ حرسها الله ــ ضمن مجموع (تحت رقم ٢٠١٨ تاريخ عمومي ٤١٢٣٤)، وناسخها هو محمد أبو النصر هاشم الجعفري النابلسي. وقد نسخها بتاريخ ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢١هـ، وذلك

بطلب من الشيخ العلاَّمة اللغوي الشهير الأستاذ محمد محمود التُّركُزي، المشهور بابن التلاميد ـ بالدال المهملة ـ الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٢٢هـ، رحمه الله تعالى.

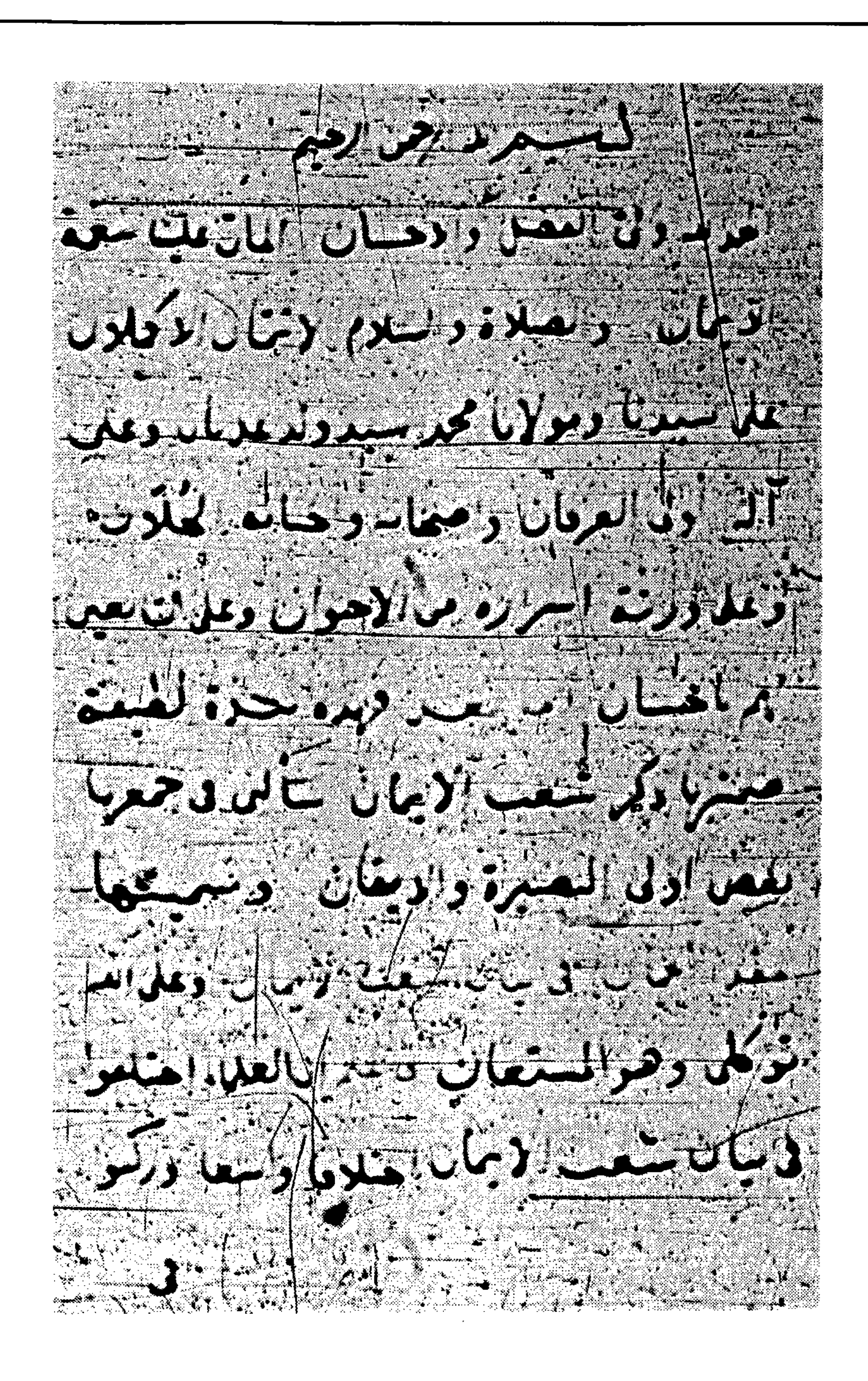
كتبه

الفقير إلى الله

نظام محمد صالح يعقوبي

٢١ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ

بالمسجد الحرام تُجاه الكعبة المشرَّفة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الفضل والإحسان المانّ علينا بنعمة

الإيمان والصلاة والسلام الأتمان الأكملان

على سيدنا ومولانا محمد سيد ولد عدنان وعلى

آله أولي العرفان وصحبه [illegible]

وعلى ذريته [illegible] من الإخوان وعلى تابعيهم

بإحسان [illegible] وبعد فهذه جزء لطيفة

[illegible] ذكر شعب الإيمان [illegible] وجمعها

بعض أولي البصيرة والإيقان ونبيّنها

[illegible] شعب الإيمان وعلى الله

توكلي وهو المستعان [illegible] العلماء اختلفوا

في بيان شعب الإيمان [illegible]

في

صورة أول المخطوط

بالنصارى الذين يعرفون بالقصيري في ابيه

موسوسين بشعث الايمان فمن اراد

تفصيل ما اودعناه في هذه النبذة فليطالع

الكتابين المذكورين ليطلع على السر ويعتني

بسالف المعاني وفيه الاسعاد وهو حسبه

لا اله غيره ولا خير الا خيره وصلى الله على

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم فرغ من تسويدها

الفقير [illegible] الله تعالى السيد محمد بن محمد بن محمد بن محمد

الشهير بالمرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي

[illegible] سادس محرم سنة ١١٦٩ بالداودية من مصر

حامدا لله ومصليا ومسلما ومستغفرا

قد تم نسخ هذه النسخة على يد الفقير محمد ابن [illegible] هاشم

الجعفري النابلسي ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢١

برسم شيخنا واستاذنا العلامة محمد

محمد محمود بن التركزي الشنقيطي

حفظه

صورة آخر المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ولي الفضل والإحسان، المانّ علينا بنعمةِ الإيمان. والصلاة والسَّلامُ الأَتمَّانِ الأَكْملانِ علىٰ سَيِّدِنا ومَوْلَانا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنان، وعلىٰ آلِه أُولي العِرفان، وأَصْحابِهِ وأَحِبَّائِه الخلَّان، وعلى وَرَثَةِ أَسْرَارِهِ مِنَ الإخوان، وعلى التَّابعين لَهُم بإِحْسان.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهذِهِ نُبْذَةٌ لَطِيفَةٌ ضَمَّنْتُها ذِكْرَ شُعَبِ الإيمانِ، سَأَلَني في جَمْعِها بَعضُ أُولي البَصيرَةِ والإِيقَانِ، وسَمَّيْتُها:

«عِقْد الجُمان في بَيَانِ شُعَبِ الإيمان»

وعلى الله تَوَكُّلي وَهُوَ المُسْتَعانُ.

فاعْلَمْ أَنَّ العُلَماءَ اخْتَلَفُوا في بَيانِ شُعَبِ الإيمانِ اختلافًا واسِعًا، ورَكِبُوا / في تَفْصيلِها مَهْيَعًا. [٢٣]

ومُجْمَلُ القولِ فيهِ مَا أَذْكُرُهُ في هَذِهِ النُّبْذَةِ، ومَا عَداهُ عائِدٌ إِلَيْهِ. وهُوَ أَنَّ تِلْكَ الشُّعَبِ ــ عَلىٰ كَثْرَتِها ــ تَرْجِعُ إِلى أُصُولٍ ثَلاَثَةٍ:

إِيْمانٍ باللَّـهِ، وإِيْمانٍ بالمَعَاشِ، وإِيْمانٍ بالمعَادِ.

فالأَوَّلُ على قِسْمَيْن:

١ ـ **إيمانٍ بما يَتَعَلَّقُ بذاتِ اللّـٰهِ تَعَالَى وصِفَاتِهِ:** فكالإيمان بوجودِ الصَّانِعِ جَلَّ جَلاَلُهُ، وبتَوْحِيدِهِ، وبالحياةِ، وَبِالْعِلْمِ، والإِرَادةِ، والقُدْرَةِ، والسَّمْعِ، والبَصَرِ، والكَلاَمِ[1].

٢ ـ **وإيمانٍ بمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ اللّـٰهِ تعالى وحُكْمِهِ:** فكالإيمانِ بملائِكَتِهِ، ورُسلِهِ، وكُتُبِهِ، وبِحُدُوثِ العَالَمِ، والقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ.

وأما الثاني ـ وَهُوَ الإِيْمانُ بالمَعَاش ـ فَعَلَى قِسْمَيْنِ أَيْضًا:

١ ـ **ما يَتَعَلَّقُ بالنَّفْسِ، وتُسمَّى نَفْسَانِيَّة.** وهي:

إِمَّا باطِنِيَّةٌ أَوْ ظَاهِرِيَّةٌ.

والبَاطِنِيَّةُ: إِمَّا تَحْلِيَةٌ أَوْ تَخْلِيَةٌ.

فالتَّحْلِيَةُ:

[٢٤] كالتَّوْبةِ، والخَوْفِ، والرَّجاءِ، والحَياءِ، والشُّكْرِ، / والوَفاءِ، والصَّبْرِ، والإخلاصِ، والمَحَبَّة، والتَّوَكُّلِ، والرِّضا بالقَضَاءِ.

والتَّخْلِيَةُ:

فَكَحُبِّ المَالِ، والجاهِ، والدُّنيا، والحِقْدِ، والحَسَدِ، والرِّياءِ، والنِّفاقِ، والعُجْبِ.

وأَمَّا الظَّاهِرِيَّةُ، فَعَلى قِسْمَيْنِ: قَوْلِيَّةٍ وفِعْلِيَّةٍ.

---

(١) **أقول:** ويجب الإيمان بكل ما أثبته الله لنفسه وأثبته له نبيّه ﷺ من الصفات؛ فالصفات ليست محصورة في هذه السبع التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى.

فالقَوْليَّةُ:

كالتَّلَفُّظِ بالشَّهادَتَيْنِ، وصِدْقِ اللَّهجَةِ، وتِلاوَة القُرآنِ، وتَعَلُّمِ الشَّرائعِ وتَعْليمِها.

والفِعْليَّةُ:

كالطَّهارَةِ، وسترِ العَوْرَةِ، وإقَامَةِ الصَّلاَةِ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ، والقِيام بأَمْرِ الجَنَائِزِ، والصِّيَامِ، والحَجِّ، والوَفَاءِ بالنَّذْرِ، وتَعليم الإيمانِ، وَأَداءِ الكَفَاراتِ.

٢ ــ وأَمَّا ما يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ النَّفْسِ، فعلىٰ قِسْمَيْنِ: مَنزليةٍ وَمَدَنِيَّةٍ.

فالمَنْزِليَّةُ:

التَّعَفُّفُ عَنِ السَّفَاحِ، وعَقْدُ النِّكَاحِ، والقيامِ بِحقُوقِهِ، وبِرُّ الوالِدَيْنِ، وتَرْبِيَةُ الأَوْلادِ، وصِلَةُ الرَّحِمِ، وطاعَةُ السَّاداتِ، والإحْسانُ إلى المماليكِ.

والمدنيةُ:

فالقيامُ بالإمارةِ/ واتِّباع الجَماعةِ، ومُطاوَعَةُ أُولي الأَمْرِ، والمُعَاوَنَةُ [٢٥] على البِرِّ والتَّقْوىٰ، وإحْياءُ مَعَالِمِ الدِّين، والأَمْرُ بالمَعْرُوف، والنَّهْيُ عَنِ المُنكَرِ، وحِفْظُ الدِّين بالقَتْلِ والقِتَال؛ وحِفْظُ النَّفْسِ بالكَفِّ عَنِ الجِناياتِ، وإقامة حُدود الجراح؛ وحِفْظُ العَقْلِ بالمنْعِ عن المُسْكرات والمخبثات، وحِفْظُ المالِ بِطَلَبِ الحُقوقِ وأَدائِها، وحِفْظُ الأَعْراضِ بإقامَةِ حُدُودِ الزِّنا والقَذْفِ والتَّعْزيرِ، ورَفْعُ الضَّرَرِ عن المُسْلمين.

وأَمَّا الإِيمانُ بالمَعَادِ وَهُوَ القِسْمُ الثَّالِثُ:

فكَالإيمانِ بالبَعْثِ والوقوف بينَ يدي الله تعالى، والحسابِ،

والميزانِ، والصراط، والشفاعةِ، والجَنَّةِ وما يَتعلَّقُ بها، والنَّارِ ومَا يَتَعَلَّقُ بِها.

فهذا الذي ذَكَرْتُهُ هو خُلاصةُ ما ذَكَرَهُ الإمامُ أَبو بكرٍ أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ البَيْهَقِيُّ، والإمامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عبد الجليل بن موسىٰ بنِ عبد الجليل / الأنصاريُّ الأَوْسِيُّ معروفٌ بالقصري، في كتابيهما [٢٦] المَوْسُومَيْنِ بـ «**شُعَبِ الإيمانِ**»، فَمَنْ أَرَادَ تَفْصِيلَ ما أَوْدَعناهُ في هذه النُّبْذَةِ فليطالع الكتابَيْنِ المَذْكورَيْنِ يَظْفَرُ بالمُرَادِ ويعتلي سالف المعالي وقُبَّة الإسعاد.

وهو الله لا إلـٰه غيره، ولا خيرَ إلاَّ خيرُه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلَّم.

فرغ منها مؤلفها الفقيرُ إلى اللّـٰه تعالى السيد محمد بن محمد بن محمد بن محمد الشهير بالمرتضى الحُسَينيّ، الواسطيّ، الزَّبيديّ، الحنفيّ، سادس محرم سنة ١١٧٩هـ بالداوودية من مصر، حامِدًا الله، ومُصَلِّيًا، ومُسَلِّمًا، ومُسْتَغْفِرًا.

* * *

قد تمَّ نسخ هذه النبذة[1] بقلم الفقير محمد أبي النصر هاشم الجعفري النابلسي في ١٦ جمادىٰ الثانية سنة ١٣٢١هـ، برسم شيخنا وأُستاذنا العلَّامة الحجَّة محمَّد محمود التُّركُزي الشنقيطي حفظه الله.

* * *

(١) أقول: وأتممت نسخها من نسخة مصورة عنها بعد العِشاءِ من ليلة الثلاثاءِ ١٤ من ذي القعدة الحرام سنة ١٤١١هـ، والحمد لله على توفيقه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هُداه إلى يوم الدين.

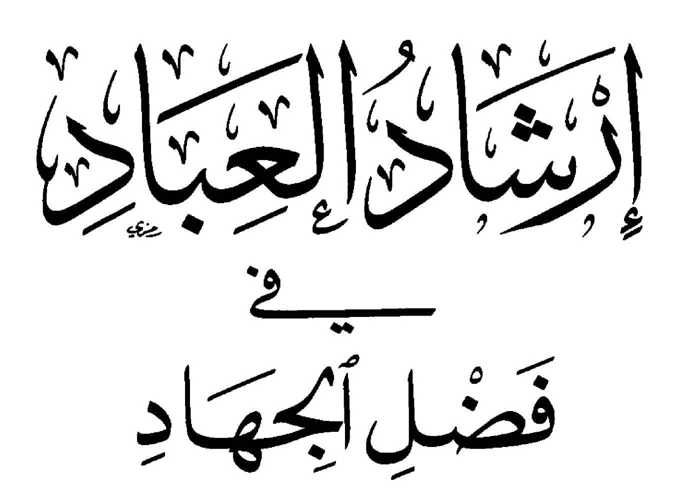
كتبه الفقير إلى عفو ربه نظام بن محمد صالح يعقوبي ـ بالمنامة / دولة البحرين.

• وفرغتُ من مقابلة تجارب الطبع بالمسجد الحرام تُجاه الكعبة المشرَّفة يوم الأربعاء ٢١ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ بقراءة ولدي أحمد ـ وهو في العاشرة من عمره ـ حفظه الله تعالى وبارك فيه ونفع به وسائر إخوانه. وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٤)



إرشاد العباد في فضل الجهاد

تأليف
العلامة الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي
(١٢٠٦هـ - ١٢٧٢هـ)

تحقيق وتعليق
محمد بن ناصر العجمي

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/ ٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان ص.ب: ٥٩٥٥/١٤
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه خالق العباد، وأشهد أن لا إله إلَّا الله ذو الفضل والإسعاد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى أركان الإسلام، والمُشيد لفريضة الجهاد، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي الجدِّ والاجتهاد، صلاة دائمة إلى يوم التناد.

أمَّا بعد:

فهذه رسالة لطيفة، ونبذة شريفة، دَبجَتْها يراعةُ العلاَّمة المُسْنِد الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار، في فضل الجهاد والحثّ عليه، إذْ هو عز الأُمة وعنوان فلاحها ورفعتها بين الأُمم، وبه ترفع الدَّرجات، وتُمحى السيئات، وتُكفَّر الخطيئات، وتُفتح أبواب الجنات، إلى غير ذلك من الفضائل التي لا تُضاهى، والخيرات التي لا تتناهى.

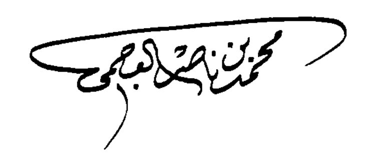
ولما كان العلاَّمة البيطار ـ وهو جدُّ الأُسرة العالمية المشهورة بدمشق الشَّام ـ لم يخرج له شيء من المصنفات، أحببت إحياء هذه الرسالة وإخراجها في ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، سائلاً المولى جلَّت قدرته أن يُعيد لهذه الأمة مجدها التليد وعزها الغابر المجيد، المُنعقد على عَقْدِ رايات الجهاد، والعمل بأركان الإسلام وسائر تعاليمه، إنه ولي ذلك، القادر عليه.

وصف النسخة المعتمدة في إخراج هذه الرسالة:

اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة على نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق المحمية تحت رقم (٧١٦٦)[١]، وتقع في **١٦** ورقة، وعدد الأسطر فيها (١٥) سطرًا، وهي فيما يبدو بخط المُصنِّف، وقد وقع فيها بعض الأخطاء اليسيرة نبهت على بعضها.

وقمت بالتعليق عليها وتخريج ما فيها من الأحاديث وعزوها إلى مصادرها، وهذ الرسالة كما يتضح من سياقها خطبة في الحث على الجهاد والتنبيه على فضله.

أسأل الله التوفيق لما يُحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد ولد آدم وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) ناولني صورة من هذه النسخة الشيخ الصديق رمزي بن سعد الدِّين دمشقية جزاه الله خيرًا وأحسن إليه.

ترجمة المؤلف[1]

خير من يترجم للعالم ابنه خصوصًا إذا كان عالمًا مؤرخًا، وصاحبنا الشيخ حسن البيطار ترجم له ابنه العلاَّمة عبد الرزاق البيطار فهو يقول:

الشيخ حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن
ابن إبراهيم بن عبد الله الشهير بالبيطار

الشافعي الدِّمشقي ولادة وقراءة، الميداني إقامة ومدفنًا، الوالد الأعظم، والسيد الأفخم والأكرم، والعالم النحرير، والمدقق الخبير، شافعي زمانه، وألمعي أوانه، الجامع بين العلوم العقلية والنقلية، والمقتدي بالكتاب العزيز والسُّنَّة المُحمديَّة، بحر العلوم والمعارف، الشَّارب من أطيب مناهل العرفان واللطائف، الآخذ بعزائم العبادة، والجاعل التقوى إلى الآخرة زاده، النقي الصَّالح، والزَّاهد التَّقي العابد الناجح، من أطبق النَّاس على فضله، واقتدى العموم بصدق قوله وفعله،

(١) من مصادر ترجمته: «حلية البشر» لعبد الرزاق البيطار (١/ ٤٦٣)؛ و «تعطير المشام» للشيخ جمال الدِّين القاسمي (١/ ٥٦)؛ و «أعيان دمشق» للشطي (ص ٧٩ ـ ٨٣)؛ و «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٦٥١)؛ و «الأعلام» للزركلي (٢/ ١٧٨).

إن نطق رأيت البيان مُتسربًا من لسانه، وأدركت من بيانه تمام عرفانه، حوى الكمالات وحازها، وتحقق حقائق العلوم ومجازها، فالفضل حشو إبراده، والنُّبل تلو إصداره وإيراده، مع نفس عذبت صفاء، وشيمة ملئت وفاء، ومذهب صفا صفاء التِّبر، وخَلَصَ من شوائب الخيلاء والكبر، وسعَى لكل نُجح، واستوى على ذروة التحصيل والربح، وأدبٍ زرت على صدر السُّنَّة جيوبه؛ وهبَّت بعرفِ النفس المطمئنة صَبَاه وجنوبه.

وُلد رضي الله تعالى عنه أثناء سنة ست ومائتين وألف، وشبَّ في حِجْر والده، ويد العناية والرعاية تجذبه إلى أسنى مقاصده، وحينما بلغ سن التمييز؛ وجهه والده لتعليم القرآن العزيز، عند الفاضل الكامل، والعالم العامل، الشيخ فتح الله أفندي فقرأ القرآن، ثُمَّ حفظه على تمام الإتقان، إلى أن صار يعتمد عليه فيه، ويطلب منه ما استتر من مشكلاته وخوافيه، وكان مواظبًا على تلاوة آياته، في غالب أوقاته، وتفقه على علامة وقته الشيخ صالح الزَّجاج، والشيخ حسن العطار المصري الأَزهري، والشيخ عبد الله الكردي، وغيرهم مما هو مذكور في «ثبته»، وقرأ كثيرًا من العلوم الآلية والشَّرعية، على من تقدم وعلى سادة ذوي مقامات علية، وشهرة سنية، منهم الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري، والشيخ حامد العطّار، والشيخ نجيب القلعي، والشيخ عبد الرسول المكي، والشيخ عمر المجتهد، والشيخ عبد الغني السَّقطي، وغيرهم من العلماء الأعلام، والفُضلاء الكرام، ولا زال يترقى في مدارج العلوم، حتى استوى على عرش المنطوق منها والمفهوم، ويُشار بحل المشكلات إليه، ويعتمد في عويصات المسائل عليه، واعترف له مشايخه بالإجادة، وألزموه بالتدريس والإفادة.

ولما بلغ من العمر ثلاثين، طلبه أعيان أهل الميدان للقيام بوظائف الإمامة والخطبة والتدريس والتعليم في جامع كريم الدِّين[1]، فتمنع جهده، وأظهر أن مطلوبهم ليس عنده، فاستعانوا عليه بشيوخه، واجتهدوا في طلبهم له لما يعلمون من تمكنه في العلم ورسوخه، فأجاب دعوة شيوخه في الحال، وقابل الأمر بالامتثال، وانتقل بعياله ومتاعه إلى الميدان، سنة ألف ومائتين وست وثلاثين، وكان لهم به من الحظوة والسرور ما كان، فانقاد له الكبير والصغير، وأحبه الجليل والحقير، وقدموه على الملك والمال، والأهل والعيال، وكان هو لهم بمنزلة الوالد والشقيق، والرفيق الرَّقيق، يُجل كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويعظهم بما ينفع، ويذب عنهم الأذى جهده ويدفع.

ومما وقع له من الأمور الغريبة، والحوادث النادرة العجيبة، أنه في سنة اثنتين وستين ومائتين وألف في رمضان، كان جالسًا في حجرته قُبيل الزوال يتدارس القرآن مع أحد أولاده، إذ جاءه رسول القاضي فقال له: إنّ القاضي يرومك فبادر لمراده، فقام ممتثلاً، وللإجابة مستعجلاً، فلما دخل عليه، نظر القاضي بعين المقت إليه، وقال له: أنت الذي قد استملت الناس إليك، حتى صاروا لا يعتمدون في مصالحهم إلاَّ عليك، وأن

(١) هو المعروف الآن بجامع الدقاق، وقد عمره الصاحب الكبير كريم الدين المتوفى سنة ٧٢٤هـ، وكان حسن الخلق، عاقلاً سمحًا داهية وقورًا، مرض نوبة، فزينت مصر لعافيته، (انظر: الشذرات ٦/ ٦٢).
وقد دُعي المترجم ــ وهو جدنا الأعلى ــ إلى الإمامة والخطبة والتدريس في هذا الجامع سنة ١٢٣٦هـ، وكاتب هذه السطور هو خطيبه ومدرسه بعد أسلافه، منذ عام ١٣٣٤هـ حتى الآن. (وكتب هذا سنة ١٣٨١هـ) محمد بهجة البيطار.

السلطان قد وجه حاكمًا لمصالح العباد، وأنت قد حُلْتَ بيننا وبينها وهذا عدوان وفساد، وما زال يقرعه هو وأهل المحكمة، وينسبون إليه كل مفسدة ومظلمة، إلى أن أمر القاضي بحبسه في حبس الأشقياء الطغام، وقال له هذا جزاء من يتعرض لمصالح الحُكَّام، ولم يصغ لقوله ولا لاعتذاره، بل كلما بالغ في تلطيفه بالغ في إنذاره، فاستدار حوله الأَعوان، وأخذوه إلى الحبس وأسلموه للسجان، فدخل السجن وهو راض بالقدر، ليس في قلبه تغير ولا كدر، وجلس يتلو القرآن، وأهله وأولاده وعائلته ليس لهم خبر بهذا الطغيان، فما أذن العصر، إلاَّ وقد شاع هذا الأمر، فقام الناس على ساق، وأظهروا حالة الخلاف والشقاق، ورعدت رعود الفتنة وسال سيلها، وانسحب على بهجة الأمن والركون ذيلها، وسدت الطرق من ورود الأَفواج، حتى لم يبق لسالك من مسلك ولا لناهج من منهاج، وكل إنسان متقلد بأنواع السِّلاح، لا يصغي لعاذل ولا لاح، وكل من القاضي وأعوانه خَالَ أنه بلغ مطلوبه، ونال من هذا الفاضل مرامه ومرغوبه، وأنه قد أدب فيه سواه، وجعله هدفًا لسهام من عداه، فلما صار الغروب توجه الناس لنصرة الدِّين أفواجًا، جاعلين ذلك لرضى مولاهم منهاجًا، فلما سمع القاضي بذلك، علم أنه أوقع نفسه بالمعاطب والمهالك، فندم حين لا ينفعه الندم، وفهم أن ما صنعه زلة قدم، فبادر للتوقع على السادات الأكابر، وهم يقولون له أنت متعنت مكابر، قد فتحت علينا للشر بابًا أي باب، وسلكت سبيل الغي وأخطأت طريق الصواب، أظننت أنه بسبب فعلك هان، وأنه لا ينتطح له كبشان، فانظر ما وقع من سوء فعلك، والله يعلم ما يحصل لك وللناس من أجلك، فقال: لقد أغراني أعواني، وألقوني في أودية ذلي وهواني، وقالوا لا تخش من

تأديبه لأنه رجل حقير، لا يَسأل عنه كبير ولا صغير، وإني الآن قد اعترفت بذنبي، وتبت إلى مولاي وربي، فأحضروه لأعتذر إليه، وأُقبل رأسه ويديه، وها أنا ذا الآن لأمره مطيع، وعندكم في كف هذا الأمر وقيع، فعند ذلك اجتمع العلماء والأعيان، وتوجهوا وأمامهم نقيب الأشراف السيد أحمد أفندي العجلاني لإخراج المترجم من السجن بالعظمة والشأن، فحينما دخلوا عليه، وقدموا جميل العبارات إليه، وطلبوا منه أن يعفو عن ظالمه، وأن يقابله بمراحمه، فقال: أنا ما جرى لي ذلك إلاَّ بذنب اقترفته، وإن كنت ما تذكرته ولا عرفته، ونسأل الله أن يعفو عنا، ويقبل صالح الأعمال منا، ثُمَّ ساروا جميعًا إلى دار النقيب، فحينما رآه القاضي بادره بالترحيب، وأبدى اعتذاره لديه، وعانقه وقبل يديه، ثُمَّ رجع إلى مكانه ومعه من الناس ألوف كثيرة، ولا زالوا يطلقون البارود بين يديه ويلعبون بالسيوف والسنان إلى أن وصلوا به إلى داره الشهيرة، ولم يمض بعد ذلك مدة أيام، إلاَّ وأباد الله ذلك القاضي وأعوانه وأدار عليهم كؤوس الحِمام.

ثُمَّ إنه في آخر شعبان سنة ثلاث وستين ومائتين وألف قد حضر من السُّلطان الغازي عبد المجيد، مرسوم سني يأمر فيه بدعوة الوالد المترجم والشيخ عبد الرحمن الطيبي إلى الآستانة ويؤكد غاية التأكيد، فأحضرهما حضرة الوالي صفوتي باشا بالتعظيم وأخبرهما بما كان، وأعلمهما بأن السفر قد تعين ثامن رمضان، فتوجها على نفقة الملك الجليل، بكل إكرام وتعظيم وتبجيل، إلى أن دخلا القسطنطينية، دار المملكة السَّنية، فنزل كل منهما في مكان، ولاحظتهما عين الرفعة والإحسان، وكانت مشيخة الإسلام إذ ذاك لحضرة من تصرف من حين شبيبته بدراسة المعارف،

وإفاضة العوارف، وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه، وروضة أجفانه، السيد أحمد عارف حكمت بيك، فكان لوالدي منه الالتفات الوافر، والميل المتكاثر، وكان يكثر بينهم البحث والحديث، خصوصًا فيما يتعلق بالتفسير والحديث، فذلك كان مُقدمًا عنده على ما سواه، وملحوظًا بعين عنايته ورضاه، وكل منهما أخذ عن الآخر وأجازه، وأسمعه حديث الأولية وذكر معناه وحقيقته ومجازه، وقد مدح الأُستاذ الأعظم، شيخُ الإسلام والمسلمين الأكرم، والدي بهذه الأبيات على الارتجال، من غير إمهال، هي:

يا قلب أبشر بما ترجوه من منن	فقد حظيت بشهم كامل فطن
حليف علم إمام سيد ثقة	أخلاقه الشم قد جاءت على سَنن
فقلت للقلب هذا ما تؤمله	لقد بلغت المُنى والأُنس من حسن

فأجابه سيدي الوالد حفظه الله، وأحسن مثواه، بقوله:

شمس المعارف تغنينا عن السَّرج	ومنهج الفضل لا يخفى لمن يلج
وطالع السعد لا يعروه كاسفة	وعارف الدهر محفوظ من العوج
شيخ الأنام الذي طابت مآثره	بحر الكمالات ذو الأمواج واللجج
فرع النبوة وصف الحسن لابسه	فنوره ظاهر في وجهه البهج
شهمٌ هُمام وللمختار نسبته	فيا لها نسبة تسمو لمبتهج
رب المعارف والأبحاثُ شاهدة	بكونه عارفًا حقًّا بلا حرج
طود من العلم والإحسان جمله	حلم به قد سما الأسمى من الدرج
بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا	من فضله نظرة تُدني من الفرج
يا مبتغي العلم لذ إن رُمت ري صدى	بمنهل بفنون العلم مبتهج

يا سائلي عن دليل الصدق في خبري شواهد الفضل لا تحتاج للحجج
فيمّم الركب وانزل روض ساحته واشمم شذا طيبه الفياح بالأرج
فمنصب المجد فيه حاز غايته وقد سعى نحوه بالصدق واللهج
وكوكب السعد مسعود بطلعته يلوح في ذروة الأفلاك بالبلج
ومن يقف بالحمى نودي بلغت منى هذا الغياث ففز بالبشر والفرج
فالله يحفظه من كل نازلة ممتعًا بسرور عنه لم يعج
ما نال كل المنى في مدحه حسن معطرًا من ثناه نفحة المُرُج

ثُمَّ إنه بعد تمام رمضان، قامت دواعي الأفراح من كلِّ زوجينِ اثنان، وذلك لختان جلالة السلطان مراد والسلطان عبد الحميد شبلي مولانا المعظم أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد، وكان فراغ مواكب الختان، ذوات العظمة والشأن، نهار الجمعة حادي وعشرين من شوال، سنة ثلاث وستين ومائتين وألف من هجرة محمد شمس الكمال.

ثم بعد الختان تكرر له الاجتماع بحضرة ذي العظمة والشأن، مولانا السلطان عبد المجيد خان، وعرضت عليه الدولة العلية إجراء معاش جزيل، فقال: لم يبق في العمر إلاَّ قليل.

ومن النَّوادر اللطيفة، والوقائع الظريفة، أني اجتمعت سنة ثمانين ومائتين وألف في مدينة غزة، بمفتيها حضرة الإمام الفاضل، والعلاَّمة الكامل، السيد محيي الدِّين أفندي الحُسيني، فكان من جملة المذاكرة أن حكى لنا أنه بعد انفضاض موكب الختان شَرَّفَ حضرة تميمي أفندي مفتي مصر القاهرة إلى بلد الخليل، وكان طريقه على غزة، فنزل في دار محيي الدِّين أفندي المرقوم، فسأله عن سفره إلى الآستانة واجتماعه

بالسلطان وعن موكب الختان، فحكى له إلى أن قال له: ولما دخلنا مجلس السلطان للاجتماع معه وكان المجلس في غاية الاتساع، فأخذ كل منا مجلسه والسلطان بعد لم يحضر، والحاضرون كل منهم لا يعرف الآخر، وكل منهم يظن أن الحاضرين على غير لغته، فضاق صدري لذلك ولم أدر ما أفعل، إلى أن رأيت إنسانًا عليه الهيبة والوقار، قد نظر إلى الخادم وقال: اسقني ماء مع أنه لم يرد ذلك، ولكن أراد أن يفتح للحاضرين باب معرفة في بعضهم مع بعض فعرفه الحاضرون بأنه عربي، فقمت إليه وقعدت بجانبه، وتكلمت معه، وعرف كل من الحاضرين من يفهم عليه، وانضم إليه، واشتغل كل منهم بالمذاكرة مع من يأنس به ويفهم لغته، وكان أصل ذلك هذا الإنسان فاستسميته، فقال: أنا من الشَّام، واسمي حسن البيطار وهو المترجم المذكور، واستسماني، ونلنا بعضنا مع بعض في هذا المجلس وبعده غاية الأنس والتهاني، ووجدته عالمًا فاضلاً، وشهمًا كاملاً، ومدح وأطنب، وأطال وأسهب. اهـ.

ولم يزل هذا المترجم في الآستانة مُعظمًا مُبجلاً، مُكرمًا مفضلاً، إلى أن حصل لهم الإذن الشريف بالعود إلى الوطن، مقلدين قلائد الفضل والمنن، وكان يوم السفر من الآستانة يومًا مشهودًا، وموكبًا للاجتماع مقصودًا، اجتمع فيه للوداع السادات والأكابر، وذوو المراتب والمفاخر، وكان يوم دخوله إلى الشَّام يوم اجتماع وسرور، وهناء وحبور، كاد أن يقال: ما بقي في الشَّام إنسان، إلاَّ وقد خرج لاستقبال هذا الحبر المُصان، وكانت مدة سفره أربعة أشهر، لأنه بدأ السفر في ثامن رمضان سنة ألف ومائتين وثلاث وستين، وانتهى سفره ثامن محرم الحرام سنة أربع وستين.

وكان رضي الله عنه مُواظبًا على التَّهجد وصلاة الفجر في الوقت

الأول، وبعد الصلاة له أوراد لا يبرح عنها في سفر ولا حضر، منها أوراد الصباح والمساء الواردة في السنة، فإنه كان يقرأها صباحًا ومساءً، ومنها أنه يقرأ في كل يوم من القرآن جزءًا، فيختم في كل ثلاثين يومًا القرآن بتمامه، وكان حسن الخُلق، يغلب عليه الزهد والإعراض عن الدنيا، وكان إذا تصعب أمر بين الناس من حقوق وغيرها بمجرد حضوره وتكلمه فيه ينقضي أمره على أحسن حال، وذلك لصفاء نيته وحسن سريرته.

وفي سنة سبع وستين ومائتين وألف توجهت معه إلى الحجاز، وكانت هذه المرة له المرة الثالثة، ورأيت منه في السفر ما يدل على سُمو درجته، وكان له مع علماء الحجاز مذاكرات علمية، وأبحاث شريفة سنية، وكانوا يشهدون له بالفضل.

ولو أردت أن أذكر في هذه الكتابة ما حواه من الشمائل وما لديه، لأفضى الأمر إلى قَصْرِ هذا الكتاب عليه، ولكن ما لا يذكر كله، لا يترك كله.

وفي ثاني وعشرين من شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف مرض في داء ذات الجنب، وفي ليلة رمضان سأل عن إثبات الشهر، فأخبرناه بإثباته فشرب في السحر ونوى، وأصبح يُعالج سكرات الموت، فوضع له بعض عياله نقطة ماء في فمه، ففتح عينيه ومسح فمه، وأمرهن بالإشارة بعدم العود لمثل ذلك. ومات رضي الله عنه قبل الغروب بساعة ونصف، وكان آخر كلامه من الدنيا الذكر، وكان نزوله لرمسه مع قول المؤذن للمغرب الله أكبر، وقد حضر مشهد جنازته جمع عظيم، وعدد جسيم، وما ترى منهم إلاَّ من دموعه ساكبة، وأحزانه متفاقمة دائبة، وأسفه متزايد، وزفيره متصاعد، وذلك كما تقدم في غرة رمضان سنة

اثنتين وسبعين ومائتين وألف، ودُفِن رضي الله عنه في تربة باب الله بجانب قبر سيدنا تقي الدين الحصني من جهة الشمال. اهـ بتصرف.

* * *

لم يشر الشيخ عبد الرزاق البيطار إلى مؤلفات والده وهذا ذكرها:

١ ـ إرشاد العباد في فضل الجهاد (وهو الذي بين يديك).

٢ ـ بذل المرام في فضل الجماعة وأحكام المأموم والإمام، له نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٢١٦٣٢ ب).

٣ ـ تحقيق الكلام في وجوب الصلاة قبل السلام، منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٢١٦٣٢ ب).

٤ ـ فتح الكريم بشرح بسم الله الرحمن الرحيم، له نسخة في دار الكتب المصرية المصرية (٢١٦٣٢ ب).

٥ ـ كشف اللثام عن هداية الأنام، وهو كتاب كبير يقع في ٢٠٩ ورقات له نسخة في الظاهرية برقم ٨٢٣٢.

٦ ـ نبذة في بناء دمشق الشام، دار الكتب المصرية (٨٣٠٠).

وقد اشتهر الشيخ حسن البيطار بعلوِّ الإسناد، ودارت عليه الرِّواية، وطلب منه أهل العلم الإجازة وهذا نموذج منها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وصل من انقطع ببابه وسهل الخيرات لمن رفع حاجاته
الى علي جنابه وجعله مدرجا في جملة اخصائه واحبابه والصلاة
والسلام على سيدنا محمد السيد السند الاعظم وعلى آله واصحابه
الذين من استند اليهم فاز وتقدم وبعد فلما كان الاسناد من
اعظم مهمات الدين لاسيما وهو وصلة بين العبد ورب العالمين
وكان ممن منح من ذلك النصيب الوافر وحاز من العلوم والمعارف
الحظ المتكاثر العالم اللوذعي الاديب والفاضل الالمعي الاريب
ذو الفهم الثاقب والراي الصائب فرع الشجرة الطاهرة الزكية
ونخبة العصابة المفضلة الهاشمية الشيخ سعد الدين بن مجمع اللطف
والكمالات الشيخ محي الدين اللطفي الخلوتي البكري وقد سمع مني الرسالة
المسماة بالجوهر الثمين في اربعين حديثا من احاديث سيد المرسلين
للعلامة المحقق الشيخ اسماعيل العجلوني الجراحي شيخ الحديث في دمشق الشام
عليه الرحمة والرضوان والتمس مني الاجازة بذلك فاقول مستمدا من
فيض فضل الله المالك وان كنت لست اهلا لما هنالك اقتداء بسالكي
الاخيار وسادات الابرار قد اجزت ولدي المومى اليه بجميع
ما يجوز لي وعني روايته عن مشايخي كشيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن افندي
الكزبري والشيخ صالح الموجلاني والشيخ مصطفى الكردي والشيخ عبد العزيز السقطي والشيخ
عمر عبد الرسول المكي وغيرهم ممن لا يحضرني تفصيلهم وبجميع ما تضمنته اثباتهم
وما اخذته عنهم دراية ورواية واجازة وان يروي ذلك عني بشرطه المعتبر
عند اهل الحديث والاثر واسأله ان لا ينساني من صالح دعواته وخلواته
وجلواته سنة ١٢٦٦

وقد قاله بفمه ورقمه بقلمه
العبد الذليل الحقير
[illegible]

صورة إجازته لسعد الدِّين البكري وهي بخط الشيخ حسن البيطار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نشر لواء الجهاد للموحدين وقطع بصوارم سيوفهم رقاب الكفرة والمعاندين ووفقهم بان باعوا انفسهم لله تعالى ففازوا بالفوز المبين وتحققوا بمقتضى وعده تعالى بقوله جل وعلا وكان حقا علينا نصر المومنين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الدين المتين المنزل عليه فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين وعلى اله واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم وبعد فلما كان في اواخر سنة تسع وستين بعد المائتين والالف ورد الامر الشاهاني بان طائفة روسيا الباغيه والشرذمة القليلة الطاغيه تخطت على بعض اطراف مملكة مولانا الاعظم وسلطاننا الافخم صاحب العز والتمكين والمويد بالنصر والفتح المبين حامي بيضة الاسلام ومشيد اركان شريعة خير الانام سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي

عبد

الورقة الأولى من الكتاب

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٤)



تأليف
العلامة الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي
(١٢٠٦هـ - ١٢٧٢هـ)

تحقيق وتعليق
محمد بن ناصر العجمي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي نَشَرَ لواء الجهاد للمُوحدين، وقطعَ بصوارِم سيوفهم رقاب الكَفَرة والمُعاندين، ووفَّقهم بأن باعوا نفوسهم لله تعالى ففازوا بالفوز المبين، وتحقَّقوا بمقتضى وعده تعالى بقوله جلَّ وعلا: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]؛ والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد صاحب الدِّين المتين، المُنْزَل عليه: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤]؛ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم [الدين].

وبعد:

فلمّا كان في أواخر سنة تسع وستين بعد المائتين والألف، ورد الأمر الشاهاني بأنَّ طائفة روسيا الباغية، والشرذمة القليلة الطاغية، تخطَّت على بعض أطراف مملكة مولانا الأعظم، وسلطاننا الأفخم، صاحب العزِّ والتمكين، والمؤيَّد بالنصر والفتح المبين؛ حامي بَيْضة الإسلام، ومشيِّد أركان شريعة خير الأنام؛ سلطان البرَّيْن والبحرَيْن، وخادم الحرمين الشريفين؛ السلطان ابن السلطان، السلطان الغازي عبد المجيد خان ابن السلطان الغازي محمود خان[1]، خلَّدَ اللّهُ ملكه على مدىٰ الزمان؛

(١) هو السلطان عبد المجيد خان بن محمود خان، المولود سنة ١٢٣٧هـ، تولى =

فاقتضىٰ ذلك منهم نقض العهد، والنداء عليهم بالطرد والبُعد، فصدرت إشارة مولانا المُومىٰ إليه أعزَّ الله أنصاره بالتوجه لقتالهم، وإشعال نار الحرب فيهم واستئصالهم.

فهتف بـي هاتف الإلهام، أن أجمع نُبذة من كلام بعض العلماء الأعلام، إرشادًا للعباد في فضل الجهاد، وتأسِّيًا بما روي عن عليّ بن أبـي طالب كرَّم الله وجهه أنه قال: مَنْ حرَّضَ أخاه على الجهاد كان له مثل أجره، وكان له بكل خطوة عبادةُ سنة.

وفي لفظ آخر عنه رضي الله عنه قال: مَنْ حَرَّضَ رجلاً على الجهاد في سبيل الله فله مثل أجره، وزاده مِثْل أجر نبـيّ مرسل بلَّغَ رسالة ربه، ومَنْ بَطَّأ رجلاً عن الجهاد؛ فلو افتدى يوم القيامة بمِلىء الأرض ذهبًا لم يُقبل منه؛ وله عذاب أليم إلاَّ أن يعفو الله عنه[1].

فابتدرت لذلك مستعينًا بالقدير المالك، ورتبتها على: **مقدمة، وبابين، وخاتمة**، فأقول ــ وهو حسبـي ونعم الوكيل ــ :

= الخلافة وعمره ١٧ سنة وتوفي سنة ١٢٧٧هـ. انظر تفصيل أمر خلافته وما جرى فيها: «تاريخ الدولة العلية العثمانية» لمحمد فريد بك (ص **٤٥٥ ــ ٥٢٩**).

(١) ذكر هذا الأثر ابن النَّحاس في كتابه في فضائل الجهاد «مشارع الأشواق» (**٢١١/١**) ولم يذكر له مُخرِّجًا.

مـقـدمـة

في حكم الجهاد في سبيل الله تعالى

اعلم أنَّ الجهاد في سبيل الله تعالى مشروع إجماعًا.

وللكفار حالتان:

الحالة الأولى: أن يكونوا في بلادهم مُستقرين فيها، فالجهاد حينئذٍ فرضُ كفاية، ويتحصل: إما بتشحين الثغور ــ وهي محل الخوف ــ التي تلي بلادهم بمُكافئين لهم لو قصدوها، مع إحكام الحُصون، والخنادق [و] تقليد ذلك للأُمراء المؤتمنين، المشهورين بالشجاعة والنُّصح للمسلمين.

وإما بأن يدخل الإمام أو نائبه بشرطه دارهم بالجيوش لقتالهم، وأقلُّه مرة في كل سنةٍ، فإذا زاد فهو أفضل على حسب ما يراه من المصلحة، وعلى الرعية إعانته، إلاَّ إذا أخذ الخَرَاج. فإن لم يبعث كان كلُّ الإثم عليه، وهذا إذا غَلَب على ظنه أنه يُكافئهم، وإلاَّ فلا يُباح قتالهم، ويكتفي بالشقِّ الأول في القيام بفرض الكفاية.

الحالة الثانية: أن يدخلوا بلدة لنا، أو صار بينهم وبينها دون مسافة القصر؛ فيكون الجهاد حينئذ فرض عين على كل من فيه كفاية من أهل

تلك البلدة ومن في قُربهم إن حصلت بهم كفاية، وعلى كل مَنْ علم بهم ممن هو فوق مسافة القصر إنْ لم تحصل الكفاية بهم، فيجب الدفع عنهم بكل ممكن أطاقوه.

ولو أَسَرُوا مُسلمًا فيجب النهوض إليهم ـ لخلاصِهِ إنْ توقعناه ولو على نُدور ـ وجوبَ عَيْنٍ كدخولهم دارنا، بل أولى؛ لأنَّ حُرمة المسلم أعظم.

* * *

الباب الأول
في التحريض على الجهاد والحثِّ عليه

ثُمَّ أتوجَّه بالخطاب إلى نفسي أوَّلاً وبالذات، وإليكم أيها الإخوان والسَّادات[1]؛ فأصغوا آذانكم لما أقول، وتلقوه بالإذعان والقبول:

إنَّ الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله من أعظم العبادات البَدنية، قد ورد الأمر به والحثُّ عليه [في] الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فمن الآيات: قوله تعالى ــ حيث استنفر الأنام لجهاد أعدائهم اللئام، ليُجازيهم على ذلك بما وعدهم من عظيم جزائه ــ : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف: ١٠]. قال أهل التفسير: لمّا نزلت هذه الآية قال المسلمون: لو علمنا هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأنفس.. فبيَّن الله تعالى لهم التجارة، فقال: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

(١) كأن أصل هذه الرسالة خطبة جمعة أو نحو ذلك.

إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف: ١١، ١٢].

فطوبى لمن امتثل أمر مولاه، وأطاعه في جميع ما منَّ به عليه وأولاه، وباع منه نفسه الخسيسة بنَيْل الدرجات، والحصول على أعظم المثوبات، وعمل على الوفاء بكريم عهده، وبذل في مرضاته ما ملكه تصديقًا لصادق وعده، إذ قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

فيا لها من بيعة ما أعظم ربح صفقتها!، ويا لها من تجارة ما أسرع نُجْحَ نفقتها!، ربحتَ والله أيها البائع؛ في بيعٍ ما أحلَّ لك بيعه بما عنده من الودائع، وحصلت على الإكسير الأعظم الذي لا يُخاف نفاده، ولا ينقطع إمداده. وكيف لا والشُّهداء مخصوصون بدرجات عالية، ومقامات سامية؛ أجسامهم لا تبلى، وأرواحهم عند المليك الأعلى؛ في النعيم الدَّائم يتقلبون، وبرضى مولاهم يستبشرون؛ لا يخافون فتنة القبور، ولا يحزنهم الفزع الأكبر يوم ينفخ في الصور.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. والآيات في ذلك كثيرة، وفيما ذُكر كفاية.

وأما الأحاديث النبوية: فمنها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة

رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَثَل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، وتوكَّل الله للمجاهد في سبيله إنْ توفَّاه أنْ يُدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر وغنيمة»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ في الجنة مائة درجةٍ أعدَّها اللَّـهُ للمجاهدين في سَبيل الله، ما بين الدَّرجتينِ كما بين السَّماء والأرض، فإذا سألتُمُ اللَّـهَ فاسألوهُ الفردوس؛ فإنهُ وسَطُ الجنَّة وأعلى الجنَّة، وفوقَهُ عَرْشُ الرَّحمنِ ومنه تُفَجَّرُ أنهارُ الجنَّة»[2].

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنَّه قال: «ما مِن عبدٍ يموت، لَهُ عند الله خيرٌ يَسرُّه أنْ يرجع إلى الدُّنيا، وأن له الدنيا وما فيها إلاَّ الشَّهيد، لما يرى من فَضْلِ الشَّهادة، فإنَّه يَسُرّهُ أن يرجع إلى الدُّنيا فيُقتل مرَّةً أُخرى»[3].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيدِهِ لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيبُ أنفسهم أن يتخلَّفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلَّفتُ عن سريَّةٍ تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لَوَددتُ أن أُقتَل في سبيل الله ثُمَّ أُحْيا، ثُمَّ أُقتَل ثُمَّ أُحْيا، ثُمَّ أُقتَل»[4].

وذكر ابن سَبُع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَوْقِفُ سَاعَةٍ في سبيلِ اللَّـهِ أَفْضَلُ من شهودِ لَيْلَةِ

(١) البخاري (٦/ ٦ ــ الفتح)، ومسلم (٣/ ١٤٩٦).
(٢) البخاري (٦/ ١١) من حديث أبي هريرة.
(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٩٨) من حديث أنس.
(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٩٥ ــ ١٤٩٧) من حديث أبي هريرة.

القَدْرِ عِنْدَ الحَجَرِ الأَسْوِدِ»[1].

وذُكر عن سعيد بن أبـي هلال أنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أخبرني بعمل أُدركْ به عمل المجاهد في سبيل الله، قال: «لو قُمتَ الليل وصُمتَ النهار لم تبلغ نوم المُجاهد في سبيل الله»، قال: يا رسول الله، إنَّ لي مالاً فإذا أنفقته أيكون لي مثل أجر المُجاهد في سبيل الله؟ قال: «وكم مالك؟»، قال: ستة آلاف دينار. قال: «لو أنفقتها في طاعة الله لم تبلغ غُبار شراك نعل المُجاهد في سبيل الله»[2].

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يَجْتَمِعُ غُبارٌ في سبيل اللَّهِ ودُخانُ جَهَنَّمَ في جَوْفِ عَبْدٍ مسلم، ولا يجتمِعُ شُحٌّ وإِيمانٌ في جَوْف عَبْدٍ أبدًا»[3].

وروى البخاري أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما اغبرَّت قدما عبد في سبيل اللّـهِ فتمسَّه النَّار»[4].

وقال أسد بن وداعة: إِنَّ رسول الله ﷺ لم يكن يتلثَّم من الغبار في سبيل الله[5].

---

(١) أخرجه ابن أبـي عمر في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٢/ ١٤٤)، وابن حبان (٤٦٠٣ ـ الإحسان) من حديث أبـي هريرة، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ١١٨) عن الحسن البصري مرسلاً، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٢)، والنسائي (٦/ ١٣ ـ ١٤)، وابن حبان (٣٢٥١) وهو حديث صحيح.

(٤) البخاري (٢/ ٣٩٠).

(٥) لم أقف عليه، والله أعلم.

وعنه ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الملائكة تصلِّي على الغازي ما دامت حمائل سيفه ودرعِهِ وسلاحه عليه»[1].

وعنه عليه الصلاة والسلام: «لَرَوْحَة في سبيل الله أو غزوةٌ خَيْرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأة من أهل الجنة اطَّلعت إلى أهل الأرض لأَضاءت ما بينها»[2].

فإذا فهمتَ ما تلوتُ عليك، وأصغيتَ إليه بأذنيك؛ علمتَ أنَّ النهوضَ لذلك من أهمِّ المهمات وأعظم المثوبات. فما هذه الغفلة العظيمة التي أضحتْ على القلوب مقيمة، ورَكنتْ إليها النفوس فأصبحت من الرشاد والتوفيق عديمة؟!. أَوَ ما علمتم أنَّ أعداءكم ــ دمَّرهم الله ــ باحثون عليكم؟ مشتغلون بكل حيلة في نيل الوصل إليكم؟ وقد جمعوا من العَدَد والعُدَد، وأرسلوا جواسيسهم وعيونهم في كل بلد؛ ليخبروهم بما أنتم عليه من التهاون والغفلة؟! وأن عُدَّتكم بالنسبة إلى عدتهم في غاية الضعف والقلَّة، و ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾؟.

أَوَمَا بلغكم بما وقع لأهل الجزائر وما حولها من المسلمين من الكَفَرة والمعاندين: من إذلال دين سيِّد المرسلين، وأخذ عباد الله المؤمنين؟ فلمَّا عرفوا جميع أحوالكم وما أنتم عليه من عدم احتفالكم بهم واشتغالكم؛ طمعوا لا بلَّغ الله لهم أملاً ونيل المراد، وأجمعوا بدَّد الله

(١) أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٢٦) من حديث أنس، وإسناده لا يصح.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٣) من حديث أبي هريرة.

شملهم فيما بلغنا عنهم على الخروج لهذه البلاد، والاستيلاء على أموال العباد.

مع أنه بلغنا أيضًا أنَّ من استولوا عليه فهو في الجهد العظيم والعذاب الأليم، قد أُبدلوا بعد العزِّ والفرح غمًّا وحُزنًا، واستولى عليهم الكرب والقرح حِسًّا ومعنًى، قد وُثِّقوا بالسلاسل والحديد، وهم كل يوم في عذاب شديد، وصاروا من جملة المماليك والعبيد. كانوا بالأمس أغنياء آمنين، فأصبحوا فقراء خائفين؛ انتُهِبت أموالهم، وتغيَّرت أحوالهم، وفُرِّقت عنهم نساؤهم، وأُخذت منهم بناتهم وأبناؤهم، وصار الكفرة يتنافسون في بيعهم في الأثمان، وجعلوا يفرقونهم في سائر البلدان، ويريدون أن يفتنوهم عن دينهم، ويفسدوا عليهم قوَّة يقينهم.

فما هذه الغفلة عن إخوانكم يا معشر المسلمين؟ وهم منتظرون لكم في كل وقت وحين؛ لا يشبعون من طعام، ولا يجدون راحة في المنام. فما حال مَن يَبيتُ في السلاسل مغلولاً؟! وبالقيود والأغلال معقولاً؟! لا يستخدمونهم إلاَّ بالانتهار والضرب، والشتم القبيح واللطم والسب؛ لا تُدركهم عليهم شفقة ولا رحمة، ولا يُبالون بما كلفوهم في ذلك من كربٍ أو نقمة؛ دموعهم على الوَجَنَات سائلة، وأحزانهم متوالية غير زائلة؛ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يقدرون على شيء من الأسباب سرًّا ولا جهرًا، إلاَّ البكاء والنَّحيب، والتضرُّع للسميع المجيب، العالِم بأحوالهم، القادر على خلاصهم من أغلالهم وأنكالهم.

فيا لها من حُرقةٍ ما أعظمها في القلوب، ويا لها من حسرةٍ يكاد القلب من سماع حكايتها يذوب؛ لا يغفل عنها إلاَّ من عَمِيتْ بصيرته وعظمت جريرته.

ألا مَنْ فيه غيرة؟!

ألا من يبرِّد حرّ هذه الجمرة؟!

أين رأفة أهل الإسلام؟!

أين شفقة أمة محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، الموصوفين بالأوصاف الجميلة، المخصوصين باتباع المخصوص بالفضيلة والوسيلة؟!

أَمَا بلغكم قوله ﷺ: «إنَّما يَرْحمُ اللَّـهُ مِنْ عبادِه الرُّحماءَ»(١).

وقوله ﷺ: «الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء»(٢).

وقوله ﷺ: «المؤمنون كَجَسَدٍ واحِدٍ، إن اشْتكى عضو منه تداعى إليه سائر الجسد»(٣).

فاقبلوا وصية نبيكم النَّاصح لجيِّدكم ورديِّكم، واستيقظوا من غفلتكم، وأفيقوا من سكرتكم.

أين أرباب الهمم العالية؟

أين أصحاب النفوس الزاكية؟

أين أرباب العقول، البائعون نفوسهم في نصرة دين الرسول؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٥١)، ومسلم (٢/ ٦٣٠) من حديث أسامة بن زيد.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٠)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو، وهو حديث صحيح. انظر تفصيل الكلام عليه في رسالة «العروس المَجْلِيَّة» للزبيدي المطبوعة ضمن سلسلة لقاء العشر الأواخر (ص ٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٠) من حديث النعمان بن بشير.

أين الأبطال والشجعان؟

أين الأقيال[1] والفرسان؟

أين أرباب العدَّة؟

أين أصحاب البأس والشِّدَّة؟

أين أُسود الرِّجال المؤثرون برضوان ذي العظمة والجلال، الذين لا تدركهم دهشة ولا خوف عند القتال؟

أين مَنْ يهجر النوم والرقاد؟

أين من يترك الأهل والأولاد؟

هل من بائع نفسه من الله؟ هل من مستوجب جزيل الثواب من مولاه؟

هل من مخالف نفسه الأمَّارة؟ هل من مُنفق ماله في أعظم تجارة؟

فيا أيَّتها النفوس السَّالمة، والعقول الكاملة، افتحوا أعين بصائركم، واصغوا بقلوبكم إلى ناصحكم، وأطيعوا أمر أمير المؤمنين، وجاهدوا في الله تعالى أعداءكم أعداء الدِّين؛ واغتنموا في ذلك الأجر العظيم والثواب الجسيم؛ قال الله تعالى في محكم كتابه القديم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٠ ـ ٢٢].

ولا يثقل عليكم عباد الله بَذْلُ ما يفنى من أموالكم في نُصرة دينكم،

---

(١) قوله: الأقيال: جمع قيل، وهو الملك العظيم. اهـ من هامش المخطوط.

وانفكاك إخوانكم؛ فكأنكم بالدنيا لم تكونوا، وبالآخرة لم تزولوا، وكأن كل واحد به ملك الموت قد نزل، فندم على ما جمع، وانقطع له من نيل آماله الطمع، وفي حفرته تبدو له ثمرة ما زرع؛ ترك ذلك لمن بعده، وقد كان يظن أنه عنده من أعظم عدة، فقد أخطأ المسكين؛ أَمَا كان عليه شِبْه أمين؟!، بل العدَّة ما قدَّم منه أمامه؛ فيكون له أعظم ذخيرة يوم القيامة، ولا يغرَّنكم الشيطان، بتخويفه إيَّاكم الفقر على الأهل والولدان؛ فرزق كل ذي روح مقسوم، وما جرى به القلم محتوم، قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

أفلا تنظرون إلى رفق الله جلَّ وعلا بمن بقي بعد والديه، كيف يقلِّب له القلوب، فكل أحدٍ يجد رأفة في قلبه عليه. فحسِّنوا ظنكم بمولاكم، واشكروه على ما أولاكم، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]، وخالفوا الشيطان الذي بحبل غروره دلَّاكم، ولا تبخلوا؛ فالبخل أهلكَ مَنْ كان قبلكم، وتصدَّقوا؛ فالصدقة تزكِّي أعمالكم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال الضحَّاك في تفسير هذه الآية: مَنْ أخرج درهمًا من ماله ابتغاء مرضاة الله، فله في الدنيا بكل درهم سبعمائة درهم خَلَفًا عاجلاً، وألف ألف درهم يوم القيامة.

وقال عزَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًىۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وفي حديث عليٍّ بن أبـي طالب كرَّم الله وجهه قال: مَنْ قام لفرس غازٍ بمخلاته أو جَلَّلَهُ أو سقاه؛ فُتحت له ثمانية أبواب الجنَّة يدخل من أيّها شاء[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من ارتبط فرسًا في سبيل الله فأنفق عليه احتسابًا كان شبعه وريُّه وجوعه وظمؤه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيامة»[2].

وقال ابن سَبُع: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَثُرت سيئاته وقلَّت حسناته فليرتبط فرسًا في سبيل الله، ومن ارتبط فرسًا في سبيل الله كان كمن نصر موسى وهارون وقاتل فرعون وهامان»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ بُدلاء أُمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بصلاةٍ ولا صيامٍ ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدر»[4].

وقال يحيـى بن معاذ: ما أعرف حَبَّة تزن جبال الدُّنيا إلاَّ الحبة من صدقة.

---

(١) ذكره ابن النحاس في «مشارع الأشواق» (١/ ٣١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٨)، وابن أبـي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٤٨٢) من حديث أسماء بنت يزيد؛ وإسناده ضعيف؛ فيه شهر بن حوشب، لين الحديث. ويغنى عنه ما أخرجه البخاري (٦/ ٥٧) من حديث أبـي هريرة مرفوعًا: «من احتبس فَرَسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعدِهِ، فإن شِبَعَهُ وريَّهُ ورَوثَهُ في ميزانِهِ يوم القيامة».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الدارقطني في «المستجاد» وأبو بكر ابن لال في «مكارم الأخلاق» من حديث أنس، وهو ضعيف جدًا، أشار إلى ذلك الحافظ العراقي. انظر: «إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (٨/ ١٧٧).

وقال لقمان لابنه: إذا أخطأتَ خطيئة فأعط صدقة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّ الأعمال تتباهى، فقالت الصدقة: أنا أفضلها.

وقال عليه الصلاة والسلام: «تجافوا عن ذنب السخيّ، فإنَّ اللَّـهَ أخذ بيده كلما عَثَر، وإيَّاكم والبخل، فإنه من أقبح الخصال»[1].

ومؤثره لا يصفىٰ له حال؛ وسبب ذلك: حُبُّه لهذا الغَرَض الفاني، واشتغاله عن طاعة مولاه بالتعلُّل والأماني، ولم يعلم المسكين أنَّ حُبَّ الدنيا رأس كل خطيئة، وبغضها رأس كل حسنة، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ــ ٤١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الدُّنيا ملعونةٌ مَلْعونٌ ما فيها إلاَّ ذِكْرَ اللَّـهِ وما والاهُ»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «احذروا الدُّنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت»[3].

---

(١) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٥٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٥٧٠٦) من حديث ابن عباس، وهو ضعيف. قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٨٢): «وفيه جماعة لم أعرفهم».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٣)، وابن ماجه (٤١١٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة، وهو صحيح.

(٣) حديث منكر لا أصل له، كما ذكر ذلك الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٠٠٤).

ورُوي أنَّ عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شمطاء شوهاء، عليها من كل زينة، فقال لها: كم نُكِحتِ؟ فقالت: لا أحصيهم. فقال: طلَّقوكِ أو ماتوا عنكِ؟ فقالت: بل قتلتهم كلهم. فقال لها عيسى عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين!

فلا تغرَّنَّكم ـ عبادَ الله ـ بظاهر جمالها، وتفكَّروا في فعلها بالمُؤْثِرين لوصالها، كيف قطعت آمالهم، وصرمت حبالهم؛ أنستهم آجالهم، فأساؤوا أعمالهم، فندموا حيث لا ينفعهم الندم على تفريطهم وتقصيرهم فيما تقدَّم.



الباب الثاني
في الأسباب التي تقتضي امتداد أطماع الكفرة اللئام في نيل شيء من بلاد الإِسلام

اعلم أنَّ مَنْ خرج من حصن الشريعة المطهَّرة يُخشى عليه أن تختطفه الأعداء، ومن لم يَحمِ نفسه من الوقوع في المعاصي والمخالفات يستولي عليه الداء، فبسبب وقوعكم في المعاصي وفرقتكم، تجاسر العدوّ على هتك حرمتكم، فبادروا رحمكم الله لنصرة دينكم؛ لأنَّ ما أصابكم إنما هو من ضَعف إيمانكم وقلَّة يقينكم، واستهزائكم بأمور الدِّين، ومخالفتكم لسيِّد المرسلين، ومجاهرتكم بالفواحش لرب العالمين، واشتغالكم بجمع الحُطام، ولم تبالوا بجمعه من حلال أو حرام.

أطعتم الشيطان وعصيتم الرحمن، وأعطيتم النفوس مرادها ومشتهاها، وبَلَّغْتموها من المعصية غاية مناها؛ تعدَّيتم حدود الشريعة إلى الأمور الشنيعة، كأنكم لم يُنَزَّلْ عليكم كتاب، ولا أمركم ونهاكم ربُّ الأرباب.

رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إن لم تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر؛ ليصرفنَّ الله قلوب بعضكم إلى بعض، ويلعنكم كما لعن بني

إسرائيل؛ كانوا إذا عمل العامل منهم خطيئة نهاه الناهي تعذيرًا، فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه، كأنه لم يره على خطيئة بالأمس؛ فلما رأى الله ذلك منهم صَرَف الله قلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود عليه السلام وعيسى ابن مريم عليهما السلام، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٦١﴾»[1] [البقرة: ٦١].

وقال ﷺ: «لا يُعذَّبُ العامَّة بِعَمَلِ الخاصَّةِ، ولكن إذا عملوا المنكر جِهارًا استحقوا العقوبة كلهم»[2].

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «عُذِّب أهل قرية فيها ثمانيةَ عَشَرَ ألفًا أعمالهم أعمال الأنبياء» قالوا: يا رسول الله، كيف ذلك؟ قال: «لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر»[3].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: أيها الناس، إنَّكم تقرأون هذه الآيات وتتلونها على خلاف تأويلها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...﴾ الآية [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من قومَ عَمِلوا بالمعاصي وفيهم من يَقدر أن يُنكر عليهم فلم يفعل إلَّا

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في «الكبير» من حديث أبي موسى الأشعري كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٩)، وقال الهيثمي بعده: «رجاله رجال الصحيح». وله شاهد من حديث ابن مسعود: أخرجه أبو داود (٣٣٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٦٨) لكنه منقطع.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٣١) من حديث عدي بن عَميرة الكندي، وهو حديث حسن.

(٣) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٣١٠): «لم أقف عليه مرفوعًا».

يوشك أن يعمَّهم بعذاب من عنده»[1].

فانتبهوا رحمكم الله من نوم هذه الغفلة، وبادروا بالأعمال الصالحات، فقد أزلفت النُّقْلَةُ.

أَوَلَم تعلموا أنَّ بإقامة الحدود؛ تنزل الرحمة من الرب المعبود؟ وتستقيم بإذن الله جميع الأمور؟ وينقطع أهل البغي والفجور؟ فالقطع في السرقة فيه حِفظ الأموال، التي بها قامت سائر الأحوال، والحدُّ في الزنا فيه حفظ الأنساب، التي التباسها يؤدي إلى التخليطِ في الانتساب، والالتباسِ في المواريث التي أحلَّها رب الأرباب، [و] الحدُّ في القتل فيه حفظ النفوس، التي خُلقت لخدمة الملك القدوس، والحدُّ في القذف فيه حفظ الأعراض، وكذلك جميع حدود الشرع الشريف، المحفوظ من التبديل والتحريف.

فبدَّلتم وغيَّرتم أغلب ما إليه نُدِبتم، وأسعفتم الشيطان حيث دلَّكم بغروره، واستنزلكم بإضلاله وفجوره. وعصيتم سيِّد البشر، في غالب ما نهىٰ عنه وأمر، وجعلتم لأنفسكم ارتباطات استحسنتم ظواهرها بمخالطة الأجانب من أهل الملل، هي خلاف معتبر العادات، فأعقب ذلك خللاً[2] وعللاً كإدخال السم في المطعومات، لا يصغي لاستماعها عاقل، ولا يرضى بذكرها ناقل.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد في «مسنده» (١/ ٢)، أبو داود (٤٣٣٨)، والمروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (٨٦، ٨٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٢) وإسناده صحيح.

(٢) في الأصل: حبلاً.

وبعتم أنفسكم بالدينار والدرهم، الذي آخر الأول نار وآخر الثاني هم. فلما اتَّبعتم أهواءكم، وتبعتم أراذلكم ونساءكم وصغاركم وسفهاءكم؛ فَسَدت بها بتقدير الله جميع الأحوال، ورفعت البركة من الأموال، وحُجِبتْ القلوب عن سماع المواعظ، فلم يؤثر فيها كلام حكيم ولا وعظ واعظ؛ فنعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق في السرِّ والإعلان.

فسارعوا عباد الله لدخول حرز التوبة، وأقلعوا عن كل زلّة وحَوْبة، فعسى تنالوا إن شاء الله قُربة، لأنَّ التوبة تطهِّر العبد من قبائح سيِّئاته، ويكتسب بها في أعلا الفردوس جزيل هباته، فيصير بعد البعد قريبًا، وبعد الهجر حبيبًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال رسول الله ﷺ: «التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»[(١)].

ومبدؤها الصبر عن المعاصي، ونهايتها اتباع سُنَّة شفيع الخلق من الداني والقاصي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، وقال في فضل اتِّباع سُنَّة نبيِّه وحبيبه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فإنكم إن امتثلتم أمر ربكم، واستغفرتموه من جميع ما سَلَف من مخالفتكم وقُبح ذنبكم، واتَّبعتم سُنَّة نبيّكم، وأحببتم بعضكم؛ نَفَّس عنكم

---

(١) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٥): «لم أجده بهذا اللفظ».

ما اشتدَّ من كربكم، وأصلح لكم ما اختلَّ من أحوال عزكم وظفركم بأعدائكم، وآتاكم النصر من أمامكم وورائكم، وأمدَّكم بنصره وعزّه، وأدخلكم في كنفه وحرزه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ [محمد: ٧]، أي: إن تنصروا دين الله ورسوله وخليفته ينصركم ويثبِّت أقدامكم.

فالبدارَ البدارَ معاشرَ المسلمين! والعجلَ العجلَ عبادَ الله المؤمنين! فهذا منادي التوجُّهِ يناديكم، وهذه الآيات والأحاديث تستفزكم لجهاد من طغى عليكم من أعاديكم، مذكِّرةً لكم بعض ما أعدَّ الله عزَّ وجلّ للمجاهدين من عظيم ثوابه، وما ادَّخر لهم من الخيرات في أعلى الجنة مع خاصة أحبابه؛ فمن كان طالبًا رضوان ربه فهذا أوانه، ومن كان طامعًا في نَيْل قربه فهذا إبانه؛ لأنَّ الأعداء ــ دمَّرهم الله ــ قد استفاض من خبرهم بأنهم عازمون على الخروج إليكم، وقد اصطلحوا على الورود عليكم.

فاعزموا هممكم ــ رحمكم الله ــ للإكثار من اكتساب العُدد، من أجاويد الخيل الموصلة للغرض في أقرب الأمد، وأقيموا إليهم الرحلة، وائتوهم على حين غفلة، ولا تعطوهم فترة ولا مُهلة، فعساكم إن أوجفتم عليهم بخيلكم ورَجِلِكم تظفروا إن شاء الله بآمالكم، وتحوزوا جميع ما بأيديهم، وتَغْنَموا أموالهم وأهليهم.

قال ﷺ: «رباط ليلة على ساحل البحر أفضل من قيام الخلائق وصيامهم سنة، فإن مات[1] في رِباط فهو مرابط إلى يوم القيامة»[2].

---

(١) كررت في الأصل، خطأ.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ويغني عنه ما أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٠) من حديث =

وروى مكحول عن عليّ بن أبـي طالب رضي الله عنه أنه قال: فضل صلاة الرجل متقلدًا بسيفه في سبيل الله على صلاة الذي يصلي بغير سيف سبعون ضعفًا، ولو قلتُ سبعمائة ضِعف لكان ذلك[1].

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما اصطحب قوم في سبيل الله إلاَّ كان أعظمهم أجرًا أحسنهم خُلُقًا»[2].

فتمسَّكوا عباد الله بدينكم، واقتدوا بفعل نبيكم، وما كان عليه الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، من حمايتهم ونصرهم لدين الإسلام، وملازمتهم لسُنَّة نبيِّه عليه السلام، وقد بالغ في أذيَّته المشركون والمنافقون، وهو مع ذلك حين شَجُّوا وجهه الشريف وكسروا رُبَاعِيَتَه يقول: «اللَّـٰهُمَّ اغفِر لقومي فإنهم لا يعلمون»[3].

فينبغي للإمام أو نائبه أن يأخذ بالاحتياط للمسلمين، وأن يرتبهم عند القتال كما ذكر العلماء في سائر الدواوين، فإذا وجد فيهم ضعفًا أو آنس فيهم خوفًا حضَّهم على الصبر واللَّجَإ إلى الاستغفار، وكثرة الدعاء للملك القهَّار، الذي له القدرة والانتصار.

قال النووي رحمه الله تعالى: يُستحبُّ للمجاهد استحبابًا مؤكدًا أن يقرأ من القرآن ما تيسَّر، وأن يدعو بالدعاء المأثور الذي هو في الصحيح

= سلمان الفارسي مرفوعًا: «رباطُ يوم وليلةٍ خير من صيام شهر وقيامِه، وإنْ مات جرى عليه عمله الذي كان يعملُهُ وأُجري عليه رِزقهُ، وأَمِن الفتَّان».

(١) ذكره ابن النَّحاس في «مشارع الأشواق» (١/ ٤٩٨).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وانظر: «إتحاف السَّادة المتقين» للزبيدي (٦/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٥١٤)، ومسلم (٣/ ١٤١٧) من حديث ابن مسعود.

مذكور: «لا إلـهَ إلَّا اللَّـهُ الحليمُ العظيمُ، لا إلـهَ إلَّا اللَّـهُ ربُّ العَرْشِ الكريم العَظِيم، لا إلـه إلَّا اللَّـهُ ربّ السموات وربّ الأرض ربّ العرش الكريم، وحسبُنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيم، اعتصمنا بالله، واستعنَّا بالله، توكلنا على الله»[1].

وكان عليه الصلاة والسلام إذا غزا يقول: «اللَّـهُمَّ أنت عَضُدِي ونصيري، بِكَ أَحُولُ وبِكَ أَصول، وَبِكَ أُقاتل...»[2] إلى غير ذلك من الأدعية والأذكار المأثورة عن النبي المختار ﷺ، وبغير ذلك من التوسُّلات المأخوذة عن العلماء الأعلام والجهابذة الفخام.

وليختم جميع ذلك بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، فإنها باب القبول ونِعَم الختام.

* * *

(١) أخرجه بنحوه البخاري (١١/ ١٤٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٢) من حديث ابن عباس. وانظر كلام الإمام النووي في كتاب «الأذكار» له (ص ٣٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٧٨) من حديث أنس وهو صحيح. ومعنى: «عضدي» قوتي، أو ناصري ومُعيني.

خـاتمة

في حكم الغنيمة

وإنما ذكرتُ حُكمها في هذه النبذة تفاؤلاً بحصولها، فأقول: الغنيمة، معناها لغةً: الربح.

وشرعًا: مال أو ما ألحق به، حصل لنا من كفار أصليين مما هو لهم بقتال منّا، أو إيجاف خيل أو رِكاب أو نحو ذلك، ولو بعد انهزامهم في القتال أو قبل شهر السلاح حين التِقاء الصفين.

ومن الغنيمة ما أُخذ من دارهم سرقة أو اختلاسًا أو لُقَطة، أو ما أَهْدَوْا لنا أو صالحونا عليه، والحرب قائم. ومن قتل قتيلاً أُعطي سَلَبه إن اشترط له الإمام[1] لخبر الشيخين: «مَن قَتَل قتيلاً فله سَلَبه»[2].

وروى أبو داود أنَّ أبا طلحة رضي الله عنه قَتَل يوم خيبر عشرين

---

(١) قوله: إن اشترط له الإمام... هذا هو المفتى به عند سيِّدنا الإمام الأعظم، وعند الشافعي يعطى السلب مطلقًا سواء شرطه الإمام أم لا. اهـ من هامش المخطوط.

(٢) البخاري (٨/ ٣٦)، ومسلم (٣/ ١٣٧١) من حديث أبـي قتادة.

قتيلاً وأخذ سَلَبهم[1].

والسلب: ثياب القتيل التي هي عليه، والخف، وآلة الحرب كدرع وسلاح ومركوب، وآلته من نحو سرج ولجام، وكذا سوار ومنطقة وخاتم ونفقة معه.

وتقسم الغنيمة بعد ذلك ــ أي: بعد إعطاء السلب وإخراج المؤن ــ خمسة أخماس متساوية؛ فيعطى أربعة أخماسها من عقار ومنقول لمن شهد الوقعة بنيّة القتال، وهم الغانمون؛ لإطلاق الآية الكريمة وعملاً بفعله ﷺ في أرض خيبر، سواء أقاتل مَنْ حَضَر بنيّة القتال مع الجيش أم لا؛ لأنَّ المقصود تهيُّؤه للجهاد وحصوله هناك، فإن تلك الحالة باعثة على القتال، ولا يتأخَّر عنه في الغالب، مع تكثيره سواد المسلمين، وكذا من حضر لا بنيّة القتال وقاتل في الأظهر، ومن لم يحضر أو حضر لا بنيّة القتال ولم يقاتل لم يستحق شيئًا.

ويُدفع للفارس ثلاثة أسهم، له سهم ولفرسه سهمان للاتباع فيهما، رواه الشيخان[2].

ومن حضر بفرس يركبه يُسهم له وإن لم يقاتل عليه إذا كان يمكنه ركوبه، ولا يعطىٰ إلاَّ لفرس واحد وإن كان معه أكثر منها، لأنَّه ﷺ لم يعط الزبير إلاَّ لفرس وكان معه يوم خيبر أفراس[3].

(١) أخرجه أبو داود (٢٧١٨) من حديث أنس وقال بعده: «هذا حديث حسن».

(٢) البخاري (٦/ ٦٧)، ومسلم (٣/ ١٣٨٣) من حديث ابن عمر.

(٣) أخرجه النسائي (٦/ ٢٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٢٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٨٣) من حديث الزبير، وهو صحيح.

ويُدفع للراجل سهم واحد؛ لفعله ﷺ ذلك يوم خيبر، متفق عليه[1].

ولا يُسهم إلاَّ لمن استكملت فيه سِتّ شرائط: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والصحة، فإن اختلَّ شرط من ذلك رُضِخَ له، ولم يُسْهَمْ لواحد منهم؛ لأنهم ليسوا من أهل الجهاد.

والرضخ: اسم لما دون السهم من العطاء، مُفوَّض قدره للإمام أو نائبه؛ حيث لم يَرِدْ فيه تحديد، فيُرجع فيه إلى رأيه، ويُفاوِتُ على قَدْر نفع المُرضَخ له.

والخمسُ الباقي بعد أربعة أخماس الغانمين يقسَّم أثلاثًا: لليتيم والمسكين وابن السبيل، وقدم فقراء ذوي القربى من بني هاشم وبني المطلب من الأصناف الثلاثة عليهم؛ لجواز الصدقات لغيرهم لا لهم، ولا حق لأغنيائهم، وذِكْرُ الله تعالى في الآية للتبرك، وسهم النبي ﷺ سقط بموته.

وعند الشافعي يقسَّم السهم الخامس بعد ذلك على خمسة أسهم؛ لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ . . . ﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

الأول: سهم رسول الله ﷺ يُصرف بعده لمصالح المسلمين.

والثاني: سهم لذوي القربىٰ وهم آل النبي ﷺ.

والثالث: سهم اليتامى؛ للآية المذكورة، جمع يتيم، وهو صغير ذكر وأنثى، لا أب له.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٦٧)، ومسلم (٣/ ١٣٨٣) من حديث ابن عمر، وأخرجه مسلم (٣/ ١٤٣٩) من حديث أبي قتادة.

والرابع: سهم المساكين، ويدخل فيهم الفقراء.

والخامس: سهم ابن السبيل، وهو منشىءُ سفرٍ مباح لا مال معه يوصله إلى وطنه.

وبقية مباحث ما يتعلَّق بالغنيمة من أحكام النساء والذراري والأسرى مذكورة في كتب الفقه، ليست هذه النُّبذةُ محلَّ بسطها، وفي هذا القدر كفاية لذوي الهمم العوال، مُغنية لكمال الموفقين من الرجال. فرحم الله امرأً نظر إلى المقول ولم ينظر إلى من قال وسدل بعد الستر بعد التأمل في المقال.

اللَّـٰهُمَّ عَذِّب الكَفَرة الذين يصدون عن سبيلك، ويقاتلون أوليائك ويكذبون رسلك، وأنزل بهم بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم الظالمين.

اللَّـٰهُمَّ زلزل أقدامهم ونكِّس أعلامهم واجعلهم هم وأموالهم وأولادهم غنيمة للمسلمين.

اللَّـٰهُمَّ بَدِّد شملهم، اللَّـٰهُمَّ فَرِّق جمعهم، اللَّـٰهُم فُلَّ حَدّهم، اللَّـٰهُمَّ اجعل الدائرة عليهم، اللَّـٰهُمَّ أرسل العذاب إليهم، اللَّـٰهُمَّ أخرجهم عن دائرة اللطف والحلم، واسلبهم مدر الإمهال، وغل أيديهم، واربط على قلوبهم، ولا تبلِّغهم فينا الآمال.

اللَّـٰهُمَّ مَزِّقهم كل مُمزَّق مزَّقته لأعدائك، وانتصر لنا انتصارك لأوليائك وأنبيائك ورسلك. اللَّـٰهُمَّ انصرنا نصرك لأحِبَّائك على أعدائك. اللَّـٰهُمَّ لا تمكِّن الأعداء فينا ولا منَّا، ولا تسلِّطهم بذنوبنا علينا.

اللَّـٰهُمَّ إنَّا آمالنا في فضلك عظيمة، وأعمالنا غير مستقيمة، فلا

تحرمنا من فضلك وكرمك بما ضيَّعنا من حقوقكَ وانتهكنا من حُرَمك، وتقطع عنَّا ما عوَّدتنا من جزيل نعمتك يا أرحم الرَّاحمين.

إلـٰهي أنت قلتَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، فها نحن متوجِّهون إليك بكليتنا فلا تردَّنا، واستجب لنا كما وعدتنا.

اللَّـٰهُـمَّ اغفـر للمـؤمنيـن والمـؤمنـات، والمسلميـن والمسلمـات، وأصلحهم وأصلح ذات بينهم، وألِّف بين قلوبهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبِّتهم على ملة رسولك، وأوزعهم أن يشكروا نِعمتك التي أنعمتَ عليهم، وأن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوّك وعدوّهم إلـٰه الحق، واجعلنا منهم.

اللَّـٰهُمَّ صَلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون ﴿سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ١٨٢﴾.

تمَّت في ٢ شهر جمادى الثاني سنة ألف ومائتين وسبعين[١].

* * *

(١) فرغت من مقابلته بأصله المخطوط في يوم السبت ٢٤ رمضان ١٤٢٠هـ بين المغرب والعشاء في المسجد الحرام، تجاه الكعبة المشرفة، وقد عارضه معي الأخ الشيخ نظام يعقوبي والشيخ رمزي دمشقية جزاهما الله عني خير الجزاء.

المحتوى

❑ ❑ ❑

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٥)

العروس المجلية

في أسانيد الحديث

المسلسل بالأولية

للحافظ صفي الدين محمد بن أحمد البخاري الأثري
(١١٦٠هـ - ١٢٠٠هـ)

تخريج

العلامة محمد مرتضى الزبيدي
(١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية


العروس المجلية
في أسانيد الحديث
المسلسل بالأولية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/ ٠٠٩٦١١
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه خالق البريَّة، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه وعلى آله وصحبه أُولي الأخلاق الزكيَّة، والأعمال المرضيَّة.

أمَّا بعد:

فإنَّ الحديث المسلسل بالأوليَّة ممَّا أَولاه علماء الحديث وطلَّابه العناية والحفاوة؛ إذْ هو أَوَّل حديث يسمعه الطالب من شيخه، ولا سيَّما في القرون المتأخِّرة؛ وقد أَلَّفَ فيه جَمْع من العلماء والحفَّاظ تخريجًا وتطريقًا وشرحًا له، وممَّن عني به العلاَّمة الحافظ صفيّ الدِّين محمد بن أحمد البخاري، المتوفى سنة ١٢٠٠هـ، رحمه الله تعالى.

وقد قام بتخريج طرقه والكلام عليه العلاَّمة الشهير محمد مرتضى الزَّبيدي، وهو من العلماء الذين عليهم مدار الأسانيد في القرون المتأخِّرة؛ كما أنه كان من العارفين بهذا الفنّ وعلومه.

وقد رأيت من المناسب نشر هذا الجزء إحياءً له، ولا سيَّما أنَّ

مؤلَّفات العلاَّمة صفيّ الدِّين ـ على قِلَّتها ـ لم يُنشر منها إلاَّ ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية ومعجم شيوخه.

وصف النسخ المعتَمَدة في التحقيق:

اعتمدتُ في نشر هذا الجزء على نسختين، وهما:

١ ـ مصوَّرة عن نسخة مكتبة الشيخ الدكتور محمد مطيع الحافظ الدِّمشقيّ الخاصَّة[1]، وتقع في ست ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢٩) سطرًا، وقد قام بنسخها العلاَّمة مفتي الشافعيَّة الشيخ محمد كمال الدِّين الغزي صاحب كتاب «النَّعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل»، وهي بخط واضح متقن، وكان نسخه لها في سنة **١١٩٣**هـ، أي في حياة صفيّ الدِّين البخاري، وقد كتب عليها الصفي البخاري بخطه إجازة لناسخها العلاَّمة الغزِّي، فهي نسخة أصلية معتمدة، ورمزت لها بحرف (أ).

٢ ـ مصوَّرة عن نسخة أُخرى في مكتبة الدكتور محمد مطيع الحافظ أيضًا، وتقع في خمس ورقات، وعدد الأسطر يتراوح فيها بين (٢٩) و (٣٢) سطرًا، وهي منسوخة سنة **١١٩٧**هـ. وقد قابلتُ بين النسختين ورمزت لهذه النسخة بحرف (ب).

ونقلت ترجمة صفيّ الدِّين البخاري من «معجم شيوخ الزَّبيدي»، وعلقت بعض التعليقات الوجيزة؛ إذ المقصود إحياء هذه

---

(١) وبهذه المناسبة، فإنه لا يفوتني شكر الشيخ محمد مطيع الحافظ على ما تفضَّل به بنفس كريمة من إعطائي نسختي الكتاب، فجزاه الله على حُسن صنيعه خير الجزاء.

الرسالة ونشرها، أسأل الله القَبول في الدنيا والآخرة، وأن يجعلني مِن خَدَمة سنَّة سيِّد المرسلين صلَّى الله عليه وسلَّم، والحمد للَّه ربّ العالمين.

محمد بن ناصر العجمي

الكويت - الجهراء المحروسة
الخامس من رمضان المبارك ١٤٢٠هـ

ترجمة العلاَّمة

صفيّ الدِّين البخاري

قال تلميذه وصاحبه العلاَّمة مرتضى الزَّبيدي:

«محمد بن أحمد بن محمد أفضل صفيّ الدِّين أبو الفضل الحُسيني، الشهير بالبُخاري، الإمام الفاضل، الفقيه، المُحَدِّث البارع.

وُلِد تقريبًا سنة ١١٦٠هـ.

وقرأ على فضلاء عصره وتكمَّل في المعقول والمنقول، وورد إلى اليمن حاجًّا في سنة ١١٧٣هـ، فَسمع بالمَخَا[١] السيِّد عبد الرحمن بن أحمد باعيدير وذاكر معه الفقه والحديث، ثُمَّ زبيد فأدرك شيخنا المُسْند محمد بن علاء الدِّين المزجاجي فَسَمِعَ منه أشياء، ومن شيخنا السيِّد سُليمان بن يحيى وغيرهما. ثُمَّ حَجَّ وزار واجتمع بشيخنا سيِّدي محمد بن عبد الكريم السَّمان.

وورد الينبع فجلس فيه مدَّة وأَحبَّه أهله، وورد مصر سنة ١١٨٣هـ

---

(١) المَخَا: موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر «معجم البلدان» لياقوت (٥/ ٦٧).

واجتمع بـي حينئذٍ، وذاكر بإنصاتٍ وتؤدة وكمالِ معرفة في الفن. ولم يَصْفُ له الوقت؛ فتوجَّه إلى الصعيد، فمكث في نواحي جُرجا مُدَّةً، وقرأ عليه هناك بعض الأفراد في أشياء.

ثُمَّ ورد علينا وبات عندي ليلة، وكنتُ في صباحها مُتوجِّهًا إلى الصَّعيد، وعزمتُ عليه أن يُسافر معي فأبـى؛ لأنه جاء من الصعيد، فلمَّا رآني مُستوفزًا للسَّفر استحسن أن يتوجَّه إلى بيت المقدس، فكتبتُ له مراسلات إلى دمياط وإلى يافا وبيت المقدس بإكرامه، وتوجَّهتُ أنا للصَّعيد وتوجَّه هو لبيت المقدس فأُكْرِمَ بها، وأَحبَّه أهل بلده فزوَّجوه، ثُمَّ أتى إلينا مصر واجتمعت حواسّه في الجملة، وتردَّد إليَّ كثيرًا، واستعار مني للمطالعة ما احتاج إليه من كتب الفنّ، واطَّلع على «شرحي على القاموس»، واغتبط به للغاية.

ثُمَّ ذهب إلى نابلس واجتمع بشيخنا السَّفاريني فَسَمِـعَ عليه أشياء، وكنتُ قد استجزتُ له منه سابقًا في استدعاء منه، فأجازه فيه فأحبَّه شيخنا المشار إليه، ومدح وأثنى لا سيَّما وكان المترجَم قد أَتقن معتقد الحنابلة، فكان يلقيه لهم بأحسن تقرير مع التأييد، ودفع ما يرد على أقوالهم من الإِشكالات بحسن بيان، والبلد أكثر أهله حنابلة، فرفعوا بشأنه ونوَّهوه وعَظُمَ عندهم مقداره. وفي سنة ١١٩٠هـ سَمِـعَ منه بعض الفُضلاء الأَوليَّة والصَّحيح وأشياء بإرشادي لهم.

ثُـمَّ ورد مصـر وحصـل به الاجتماع وسَمِـعَ منِّي حينئذٍ أشياء، منها فـي سنـة ١١٩١هـ : أوائـل الكتـب السِّتَّـة، وحـديـث «مـن كـان يـؤمـن بـالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» إملاءً لسنده، وقصيدة الأندلسي على

لسان السيِّدة عائشة رضي الله عنها، وغير ذلك، وذلك بالجودرية إحدى محالِّ مصر.

وتفضَّل بحضوره في درسي «الصحيح» بجامع شيخو، وكان في المغازي، فأعجبه الإلقاء واغتبط وقال: وددت أني أسكن مصر ولا أُفارق هذا المجلس؛ فإنك قد ذكَّرتني بمجالس الحافظ ابن حجر، والسيوطي. أو نحو ذلك مما كان يقول في المدح.

واطَّلع على «شرحي على الإحياء» فطالعه كثيرًا واغتبط به وقال: لو تَمَّ هذا الشَّرح على هذا المنوال لم يكن له نظير في بابه. وقد تَمَّ والحمد لله تعالى ولكن بعد وفاته.

وقد خرَّجت له معجم شيوخه في كرَّاس[1]، ونُقِلَتْ منها نُسخ، وأُرسل بها إلى الدِّيار الشَّاميَّة للرَّاغبين من تلامذته.

ثُمَّ عاد إلى نابلس، ثُمَّ إلى دمشق فأخذ عنه علماؤها واحترموه واعترفوا فضله.

وكان إنسانًا حَسَنًا مجموعَ الفضائل، رأسًا في فنّ الحديث يعرف فيه معرفةً جيِّدة؛ لا نعلم من كان في هذا العصر ممن يُدانيه؛ لسعة اطِّلاعه على متعلقاته مع ما عنده من جودة الحفظ والفهم السريع، وإدراك المعاني الغريبة، وحُسن الإيراد للمسائل الفقهية والحديثية.

ثُمَّ عاد إلى نابلس وسافر بأهله إلى الخليل، فأراد أن يسكن بها فلم يَصْفُ له الوقت، ولم ينتظم له حال؛ لضيق معاش أهل البلد، فعاد إلى

(١) طبع هذا المعجم بتحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ، وذلك في دار البشائر بدمشق سنة ١٤٢٠هـ.

نابلس في شعبان، وبها توفي سحر ليلة الأحد ٢٧ رمضان سنة ١٢٠٠هـ مطعونًا بعد أن تعلَّل يومًا وليلة، وجُهِّزَ وصُلِّي عليه ودُفِن بالمقبرة الزاركية قرب شيخنا السَّفاريني، وتأسَّف عليه النَّاس وحزنوا عليه جدًّا، وانقطع الفنّ من تلك البلاد بموته، رحمه الله تعالى وعوَّض شبابه الجنَّة.

ولم يخلف إلاَّ ابنة اسمها سارة، وهي ممن كتبتُ لها الإجازة في الثانية من عُمرها مع جماعة في استدعاء.

وقد رُئي بعد موته بليال وهو يقول: وضعتموني في قبر ضيِّق ولكني ما مكثت به غير ساعة ثُمَّ نُقِلت.

وله مؤلَّفات في فنّ الحديث، وهي رسائِلُ صِغار، أطلعني وقرَّظتُ له على بعضها، منها: رسالة في «تحقيق مراتب الحفظ والحفَّاظ» ما نصَّه: **أما بعد**، فقد سَرَّحْتُ طرفي في رياض هذه النَّميقة المشتملة على لوامع فرائد رياضها النَّقِيَّة، قد شهدتْ لمؤلفها بعلوِّ المقامِ وكمال السَّليقة، ودلَّت بتمييزها أن موشي بُرْدها قد استكمل في الفنّ الطريقة، وحاز بتبيين مراتب الحفظ تحقيقه، فللّه درّه من مُحَدِّثٍ ساعَدَتْهُ في سعة الاطِّلاع أيادي السُّعود؛ حتى تناول ثريّا الفضائل عن قعود، ألا وهو الفاضِلُ الضَّابِطُ، الماهر العالِم الأَوْحد، البَحر الزَّاخر، عينُ أعيان العُلماء الكُمَّل، واللَّوذعي الحُلاحل الذي عليه في هذا الفن المعول، الشَّريف صفيّ الدِّين أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد أفضل الحسيني البُخاري؛ فهذا الذي رَوَّى رياض الحديث وأبرز ثمارها، وطَرَّزَ طروس الإفادة وجَمَّلَ أشعارها، وأنار بنيِّرِ بصيرته طُرق الدِّراية، وشدَّ أزرها؛ وأظهر من مكنون خاطره عرائس نفائسها، وأعلى قدرها؛ فلا زال نظام الحديث به مُتَّسقًا،

وكوكب الإفادة به مُؤتلقًا، وسقيم الرِّواية به مُتحقِّقًا، ولا برح مُشارًا إليه في تصحيحها وتحقيقها، مُعوّلاً عليه في إيضاح طريقها.

وكُتِبَ في ٢٦ شوال سنة ١١٨٣»[١]

(١) «معجم شيوخ الزبيدي»: (١٣٤، ١٣٥ ــ نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة ٣٩٥٦، وهي بخط المصنف، ٢٧٣ ــ ٢٧٥ ــ نسخة جامعة برنستون).

(تنبيه): لم أترجم للزبيدي لشهرته ولما أفاض به الدكتور هاشم شلاش في كتابه «الزبيدي في كتابه تاج العروس» ط بغداد بمساهمة جامعة بغداد سنة ١٤٠١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي اتصل فضله فتسلسل، وعم عطاؤه الفاضل والمفضول والمفضل، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أكرم مرسل وأطهر منسل وعلى آله وصحبه الموضحين لكل مشكل معضل. وبعد، فإن سيدنا الإمام العالم العامل والحبر الهمام الكامل، بقية السلف، عمدة الخلف، نخبة أئمة الأقيال، وعين نجوم الأهلة، قدوة أهل التحقيق، وإنسان عين أهل التدقيق، جمال المحدثين، [...] تزينت له منبرجات عقائل المعاني من حلل كلمل الألفاظ، الإمام العلامة السيد أبا الفضل صفي الدين محمد بن أحمد الحسيني الأثري البخاري نزيل مدينة سيدنا الخليل صلى الله عليه وعلى ولده محمد صلى الله عليه وسلم في كل بكرة وأصيل، أدام الله سعادته وأبقى على ممر الزمان سيادته، وأنصر عمارته الزكية تلك الأقطار كما نفع به قطرنا المصري حين حلوله في هذه الأعصار، آمين، سألني أن أخرج له حديث الرحمة المسلسل بالأولية من طرق شيوخي الثلاثة الآتي ذكرهم فيما بعد، فأجبته وإن كنت في شغل شاغل وهموم [...] كالغيث الوابل، مستمدا من الله في العون والمدد، فهو نعم المسند، ومن أنا حتى أخرج أو أفيد أو أبدي أو أعيد، غير أني تمت بحسن ظنه الخالص الذي أربى على كل حسب، إذ هو المؤسس من الأزل على نهج الاستقامة، كتب له السلامة في السفر والإقامة [...] أوان الشروع في المقصود. فاعلم أن المسلسلات كما ذكر الحفاظ على أقسام، منها المسلسل بتاريخ الرواية كالأولية والآخرية، ومنها بزمنها كالعيد والخميس أو بمحلها كالملتزم النفيس أو كونه وحده في حال التحلي عن شيء العود، ومنها ما هو مسلسل بصفة الراوي الحالية كالحفظ والفقه والثقة والتعبير وكونه مصريا أو شاميا أو اسمه محمدا أو ممن ذكر بكنيته أو عرفت نسبته أو كانت روايته عن أبيه، ومنها ما هو مسلسل بصفة القولية كقراءة الصف [...] وإني أحببت، ومنها ما هو مسلسل بصفة الفعلية كالكتابة بالمروي والمصافحة والتشبيك، ومنها ما هو مسلسل بصفة الرواية كسمعت وقرأت وأنشدت [...]

جامعه

الورقة الأولى من نسخة (أ)

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم يرحم من في الأرض لم
يرحمه من في السما تابعه سعيد بن منصور عن أبي الأحوص مثله ورواه
أبو شيبة يحيى بن يزيد الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة عن اسماعيل بن أبي
خالد عن قيس عن جرير ولفظه من لا يرحم أهل الأرض لا يرحمه أهل السما
وله شواهد أيضا من حديث أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي
طالب وعبد الرحمن بن عوف وأسامة بن زيد وأسامة بن شريك والأ
شعث بن قيس وأنس بن مالك وجابر وعبادة بن الصامت وابن عمر
وقرة بن اياس ومعاوية بن حيدة والمغيرة بن شعبة ونبيط بن شريط
والنعمان بن بشير وواثلة بن الأسقع وأبي أمامة الباهلي وأبي الدرداء وأبي ذر
وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين
عن النبي صلى الله عليه وسلم ... وقد جمع طرق هذا الحديث
أبو الفضل بن ناصر وأبو القسم ابن السمرقندي ومنصور بن سليم وأبو عمرو
ابن الصلاح والحافظ الذهبي والتقي السبكي وابن ناصر الدين الدمشقي
الحافظ والحافظ السخاوي وآخرون من المتقدمين والمتأخرين شكر الله
سعيهم ... غير واحد من المحدثين والشعرا بما هو مذكور في آخر
كتابي ... المتعلقة بالحديث المسلسل بالأولية قال ...
مخرجه العلامة شيخنا السيد محمد المرتضى ... أطال الله بقاه فرغت من
تسويدها في مجلس واحد من ليلة الثلاثا العشرين مضين من شهر ربيع
الثاني من شهور سنة ثلاث وتسعين ومايه وألف وفرغ من كتابتها
... كمال الدين محمد بن محمد بن محمد العامري الحسيني الصديقي الشهير بابن الغزي
لثمان خلت من شهر رمضان المعظم من شهور سنة سبع وتسعين
ومايه وألف من الهجرة بجيرون في الجامع الأموي بدمشق المحروسة
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم أجمعين
والحمد لله رب
العالمين

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه

الورقة الأخيرة من نسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الذي اتصل فضله فتسلسل وعم عدله الفاضل والمفضول والأفضل والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد أكرم مرسل وأطهر منسل وعلى آله وصحبه الموضحين لكل مشكل
ومفصل أما بعد فإن سيدنا الإمام العالم العامل والحبر الهمام الكامل بقية السلف عمدة
الخلف نخبة أئمة الاقتدا ومعين نجوم الاهتدا قدوة أهل التحقيق وإنسان عين أهل التدقيق
المحدثين والحفاظ من تراءت له مخدرات عقائل المعاني من حللها كل الألفاظ الإمام العلامة
أبا الفضل صفي الدين محمد بن أحمد الحسيني الأثري البخاري نزيل مدينة سيدنا الخليل صلى الله عليه
نبينا وعليه وعلى ولده محمد صلى الله عليه وسلم في كل بكرة وأصيل أدام الله سعادته وأبقى على ممر الزمان سيادته
حضر بمعارفه الزكية تلك الأقطار كما نفع به قطرنا المصري حين حلوله في هذه الأعصار أمان
التمس مني أن أخرج له حديث الرحمة المسلسل بالأولية من طرق شيوخه الثلاثة الآتي ذكرهم فيما بعد
فأجبته وأنا في شغل شاغل وهموم متراكمة كالغيث الوابل مستمد من الله العون والمدد فعون
الله عليه نعم الوكيل ومن احتاج أن أفيد أو أبدي أو أعيد غيراني وتعتت تجنس حبه للخالص
ربي على كل مذهب إذ هو المؤسس من الأزل على نهج الاستقامة كتب الله له السلامة في السفر والإقامة
وهذا أوان الشروع في المقصود فاعلم أن المسلسلات كما ذكره الحفاظ على أقسام فمنها المسلسل بنوع
من أنواع الرواية كالأولية والآخرية ومنها بزمنها كالعيد والخميس أو محلها كالملتزم أو التفسير
وكونه وجهة في حال التحمل عن شيخه العمدة ومنها ما هو مسلسل بصفة الراوي الحالية كالحفظ والفقه
والتعديد وكونه مصريا أو شاميا أو اسمه محمد أو من ذكر بكنيته أو عين نسبته أو كانت روايته
عن أبيه ومنها ما هو مسلسل بصفته القولية كقراءة الصف وأني أحبك ومنها ما هو مسلسل
بصفته الفعلية كالكتابة بالمروي والمصافحة والمشابكة ومنها ما هو مسلسل بصفة الرواية
كسمعت وقرأت وأنشدت فهذه قاعدة جامعة لكل جزئي من جزئيات المسلسلات ولما كان
المقصود كما أشرنا أنفا سند الأولية فلذلك وقع الاقتصار عليه دون غيره من المسلسلات
الفعلية فأقول اعلم أن سيدنا الإمام الحافظ المشار إليه بارك الله عليه قد سمع هذا الحديث
الشريف من المشايخ الثلاثة الأعلام أولهم الإمام الفاضل المسند المعمر شمس الدين أبو
عبد الله محمد بن عبد ربه بن علي بن عبد التواب المكي المالكي القاهري بابن الست وثانيهم
السيد الشريف المسند المعمر الصالح عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن موسى بن عبد الرزاق
الحسيني الجزري الشافعي الحنفي وثالثهم الشيخ الفاضل الصالح البركة شمس الدين أبو

عبد الله

الورقة الأولى من نسخة (ب)

... رضوان الله عليهم أجمعين ...

خاتمة قد جمع طرق هذا الحديث أبو الفضل بن ناصر وأبو القاسم بن السمرقندي ومنصور
بن سليم وأبو عمرو بن الصلاح والحافظ الذهبي والتقي السبكي وابن ناصر الدين الدمشقي
الحافظ والحافظ السخاوي وآخرون من المتقدمين والمتأخرين شكر الله سعيهم وممن نظمه
في النظم غير واحد من المحدثين والشعراء بما هو مذكور في آخر كتابي المرقاة العلية هذا ما
يسر الله تعالى به من الأسانيد العلية المتعلقة بالحديث المسلسل بالأولية وفرغت
من تسويدها في مجلس واحد من ليلة الثلاثاء لعشر مضين من شهر ربيع الثاني من شهور
سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف وكتب العبد المفتقر إلى رحمة ربه الغني المحب
أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني خادم علم الحديث بمصر حامداً لله على نعمه ومصلياً على
نبيه محمد ومسلماً على آله ومستغفراً   ونقلت من أصله على خطه يوم الجمعة ثالث
مضين من رجب من السنة المذكورة

قال مخرجه

الورقة الأخيرة من نسخة (ب)

وقد فني التمر ووجد الحديث وكان سبب موته ولذا قال
ابن الصلاح وكان وفاته بسبب غريب نشأ
من غمرة فكرة علمية والله تعالى أعلم وهذا آخر
ما قصدناه في بيان حاله والأسانيد المتصلة
إليه وإن كانت كثيرة فقد ألممنا بأكثرها حسب
الوسع والطاقة بعد مراجعة الأصول وخطوط
المشايخ الذين نثق بنقولهم ونعتمد على سياقهم
في أصولهم ومن وجد فيه عيبا فليصلحه بعد
التحري والضبط فإن الإنسان محل السهو
والنسيان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم وتقدم الفراغ من إملاء ذلك في مجلسين
متفرقين آخرهما يوم الاثنين لثلاث بقيت من
شهر ربيع الآخر سنة ١١٨٩

سمع علي هذا الجزء المشتمل على أسانيد كتاب الصحيح للحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رضي الله عنه
بقراءتي الجماعة السادة الفضلاء، نفيس الدين جمال المحدثين السيد سليمان بن طه الحسيني [illegible] الثاني
السيد أبو الصلاح الحسين بن عبد الرحمن بن مصطفى الحنفي الشيخوني والشيخ الفقيه أبو الصلاح يوسف بن
[illegible] بن زين العابدين الطحلاوي المالكي الأزهري والفاضل محمد بن عبد الله بن محمد الأنطاكي الحنفي
[illegible] صالح بن عبد الرحمن القطان وأجزت أن يرووا عني كتاب مسلم بالسياق المتقدم وصح ذلك
وثبت في يوم الاثنين لثلاث بقيت من شهر ربيع الثاني سنة ١١٨٩ وذلك بمنزلي داخل خان الصاغة
وكتب محمد مرتضى الحسيني عفا الله عنه

نموذج من خط الزبيدي وذلك من كتابه «غاية الابتهاج في أسانيد
كتاب مسلم بن الحجاج» نسخة مركز الملك فيصل بالرياض رقم ١٩٦٧



لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(١٥)

العُرُوسُ المُجَلِّيَةُ

فِي أَسَانِيدِ ٱلحَدِيثِ المُسَلْسَلِ بِالأَوَّلِيَّةِ

لِلحَافِظِ صَفِيِّ ٱلدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ٱلبُخَارِيِّ ٱلأَثَرِيِّ
(١١٦٠هـ - ١٢٠٠هـ)

تَخْرِيجُ
ٱلعَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ مُرْتَضَى ٱلزَّبِيدِيِّ
(١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)

تحقيق وتعليق
مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ العَجْمِيُّ



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى اللَّـه على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم

الحمدُ للَّـه الذي اتصل فضلُه فتسلسل، وعمَّ عدلُهُ الفاضل والمفضول والمفضَّل[1]، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا ومولانا محمَّد أكرمِ مُرسَل وأطهرِ مَنسَل، وعلى آله وصحبه المُوضِّحينَ لِكُلِّ مُشْكل معضل، **وبعد**[2]:

فإنَّ سيِّدنا الإمامَ العَالِمَ العامِلَ، والحَبْرَ الهُمامَ الكامِلَ، بقيَّةَ السَّلفِ عُمدةَ الخَلَف؛ نخبةَ أئمَّة الاقتداء، وعينَ نجوم الاهتداء؛ قدوة أهل التَّحقيق، وإنسان عين أهل التَّدقيق؛ جَمالَ المُحَدِّثين والحُفَّاظ، من تراءت له متبرجات عقائل المعاني من حُلَلِ كُللِ[3] الألفاظِ؛ الإمامَ العلاَّمةَ السيِّدَ أبا الفضل صفيَّ الدِّين محمَّدَ بن أحمدَ الحُسينيَّ الأثريَّ البُخاري، نزيلَ مدينة سيِّدنا الخليل صلَّى الله عليه وعلى ولده محمَّد ﷺ في كُلِّ بُكْرةٍ وأَصيلٍ، أدامَ الله سعادته، وأبقىٰ على مَمَرِّ الزَّمان سيادته، وأنضَرَ بمعارفه الزَّكيَّة تلك الأقطار، كما نفع به قُطرنا المصري حين حلوله في هذه

(١) في (ب): «الأفضل».

(٢) (ب): «أما بعد».

(٣) في (ب): «هياكل».

الأعصار، آمين. سألني أن أُخَرِّج له حديث الرَّحمة المُسلسل بالأوليَّة من طُرُق شيوخه الثَّلاثة الآتي ذكرهم فيما بعد.

فأجبت[1] ـ وأنا في شغل شاغل، وهموم متراكمة كالغيث الوابل ـ مُستمدًّا من الله تعالى العون والمدد؛ فعونه للمنيب إليه نعم السند. ومن أنا حتَّى أُخَرِّجَ أو أُفيد، أو أُبدىء أو أُعيد؟! غير أني وثقتُ بِحُسن حُبِّه الخالص الذي أربى على كل حسب؛ إذ هو المؤسَّسُ من الأزل على نَهْجِ الاستقامةِ، كَتَبَ الله له السَّلامة في السَّفر والإقامة. وهذا أوان الشروع في المقصود:

فاعلم أنَّ **المُسلسلات** كما ذكره الحُفَّاظ **على أقسام**:

منها: المسلسل بتاريخ الرِّواية كالأوليَّة والآخريَّة.

ومنها: بزمنها كالعيد والخميس، أو بمحلها كالملتَزَم النَّفيس، أو كونه وحده في حال التَّحمُّل عن شيخه العُمدة.

ومنها: ما هو مسلسل بصفةِ الرَّاوي الحاليَّة كالحفظ والفقه والثِّقة والتَّعمير، وكونه مِصريًّا أو شاميًّا، أو اسمه محمدًا، أو ممن ذكر بكنيته أو عينت نسبته أو كانت روايته عن أبيه.

ومنها: ما هو مسلسل بصفته القوليَّة كقراءة الصف، وإني أُحِبُّك.

ومنها: ما هو مسلسل بصفته الفعلية كالكتابة بالمروي والمصافحة والمشابكة.

ومنها: ما هو مسلسل بصفةِ الرِّواية كسمعت وقرأت وأنشدت.

---

(١) (ب): «فأجبته».

فهذه قاعدةٌ جامعة لِكُلِّ جُزءٍ من جُزئيات المُسلسلات.

* * *

ولمَّا كان المقصود كما أشرنا آنفًا سند الأوليَّة؛ فلذلك وقع الاقتصار عليه دون غيره من المُسلسلات العليَّة، فأقول:

اعلم أنَّ سيِّدنا الإمام الحافظ المُشار إليه بارك الله عليه قد سَمِـعَ هذا الحديث الشريف من المشايخ الثَّلاثة الأعلام:

أولهم: الإمام الفاضل المُسْنِد المُعمَّر شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن عبد ربه بن علي بن عبد التوَّاب المليكي المالكي القاهري الشهير بابن الست.

وثانيهم: السيِّد الشريف المُسْنِد المُعَمَّر الصَّالح عفيف الدِّين أبو محمد عبد الله بن موسى بن عبد الرزاق الحسيني الحريري الشَّافعي المحلِّي.

وثالثهم: الشيخ الفاضل الصالح البركة شمس الدِّين أبو عبد الله أحمد بن محمد الباقاني الشافعي النَّابلسي.

سماعًا منهم لمتن الحديث في أماكن متفرِّقة. وسَمِعتْ على الأخير أيضًا ابنة سيِّدنا المُشار إليه الجهة المصونة، السيِّدة أُم إسحاق سارة، وهي في الثَّانية في ذلك المجلس، الذي سَمِـعَ فيه سيِّدنا المُشار إليه، وذلك بشرط أَوَّلِيَّته في كل من المشايخ المذكورين.

قال الأول: أخبرنا به الإمام العلاَّمة المُحَدِّث أبو الأفراح عيد بن علي بن عساكر النَّمرسي الشَّافعي الأزهري نزيل مكة، والإمام المُحَدِّث

أبو الفضل تاج الدِّين محمد بن علي بن عبد المحسن القلعي الحنفي المكي، قال: وهو أول حديث سمعته منهما.

قالا: أخبرنا شيخُ الحِجاز ومُسْنده وحافظه الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد البَصْري الشَّافعي المكي، قالا: وهو أول حديث سمعناه منه.

قال: أخبرنا الحافظ شمس الدِّين محمد بن العلاء البابلي، والإمام الحافظ أبو عبد الله ابن محمد بن محمد بن سليمان السوسي، والإمام المقرىء شهاب الدِّين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، والإمام أبو الحسن علي بن عبد القادر الطبري، وهو أول حديث سمعته عليهم في مجالس متفرِّقة.

قال البابلي: أخبرنا الشهاب أحمد بن محمد الحنفي، الشهير بابن الشلبي «شارح الكنز»، وهو أول حديث سمعته عليه. ح.

وقال السُّوسي: أخبرنا سعيد بن إبراهيم الجزائري، وهو أول حديث سمعته منه. أخبرنا مفتي تلمسان ــ ستين سنة ــ سعيد بن عثمان المَقَّري ــ بتشديد القاف ــ، وهو أوَّل حديث سمعته منه. أخبرنا أحمد بن حجي الوهراني بمدينة وهران، وهو أوَّل حديث سمعته منه. أخبرنا البرهان إبراهيم بن علي التَّازي، وهو أوَّل حديث سمعته منه. ح.

وأمَّا الدمياطي فيأتي سنده قريبًا.

وأمَّا الطبري فقال: أخبرنا الخطيب عبد الواحد بن إبراهيم الحصاري، وهو أوَّل حديث سمعته منه. قال: أخبرنا عاليًا الشَّمس محمد بن أحمد الغمري، وهو أوَّل حديث سمعته منه. ح.

زاد الحصاري فقال: وأخبرنا أيضًا الجلال عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي الحموي، وهو أوَّل حديث سمعته منه. قال: أخبرنا الإمام الحافظ جلال الدِّين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، والإمام الحافظ قطب الدِّين محمد بن محمد الخيضري الدِّمشقي، وهو أول حديث سمعته منهما في مجلسين. ح.

وقال شيخنا الثَّاني من الثَّلاثة: أخبرنا الشيخ الإمام المحدِّث عبد اللطيف بن أحمد بن علي البقاعي الأزهري، الشهير بالشامي، وهو أول حديث سمعته منه.

قال: أخبرنا الشيخ الفقيه المُحَدِّث أبو التُّقى عبد القادر بن عمر التَّغلبي الفرضي الشَّيباني الدِّمشقي الحَنْبليّ، وهو أول حديث سمعته منه.

قال: أخبرنا الشيخ الفقيه المحدِّث عبد الباقي ابن عبد الباقي البعلي الحَنْبليّ، نزيل دمشق، وهو أول حديث سمعته منه.

قال: أخبرنا الشيخ المُسْنِد المُعمَّر عبد الرحمن بن يوسف البهوتي الحَنْبليّ، وهو أول حديث سمعته منه.

قال هو وابن الشَّلبي المتقدِّم ذكره: أخبرنا الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، قالا: وهو أول حديث سمعناه منه.

قال: أخبرنا والدي شيخ الإسلام زكريا، والإمام المُحَدِّث الجمال إبراهيم بن علي بن أحمد بن إسماعيل القلقشندي، وهو أول حديث سمعته منهما. أما زكريا فيأتي سنده، وأما الجمال القلقشندي فرواه عن نيف وعشرين ومائة. ح.

وقال السيوطي: أخبرنا به الشيوخ الأجلاء محمد بن محمد العقبي، والشرف يحيى المناوي، ومحمد بن عبد الله الأزهري، ومحمد بن علي التلواني، والشمس محمد بن محمد بن إمام الكاملية، وهو أول حديث سمعته منهم. قالوا ــ والجمال القلقشندي أيضًا ــ: أخبرنا الشهاب أحمد بن محمد بن أبي بكر الواسطي، وهو أول حديث سمعناه منه. ح.

زاد السيوطي: وأخبرتنا المحدِّثة أم هانىء الهورنية، وهو أول حديث سمعته عليها. قالت: أخبرنا المحبّ الطبري الأخير، وهو أول حديث سمعته منه. أخبرنا نظام الدِّين عبد الملك بن سعد بن الحسن الدربندي، وهو أول حديث سمعته منه. ح.

زاد الجمال القلقشندي فقال: وأخبرنا أيضًا الشمس محمد بن أحمد بن عمر النحريري السعدي، وهو أول حديث سمعته منه. قال هو والدربندي: أخبرنا أبو الخير أحمد بن خليل العلائي، وهو أول حديث سمعناه منه. قال: أخبرنا والدي الحافظ صلاح الدِّين خليل ابن كيكلدي العلائي، وهو أول حديث سمعته منه. ح.

زادت أم هانىء، فقالت: وأخبرنا الشهاب أحمد بن ظهيرة المخزومي، وهو أول حديث سمعته منه. أخبرنا الحافظ العلائي، وهو أول حديث سمعته منه. ح.

وقال الشيخ الثالث من الثلاثة: أخبرنا الإمام الورع الصالح الكامل الإمام شرف الدِّين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن شرف الدِّين الخليلي الشافعي، وهو أول حديث سمعته منه.

قال: أخبرنا الشهاب أحمد بن محمَّد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي، وهو أول حديث سمعته منه.

قال: أخبرنا الشَّمس محمَّد بن عبد العزيز المنوفي، وهو أول حديث سمعته منه.

قال: أخبرنا المعمر أبو الخير عمر بن عموس الرشيدي، وهو أول حديث سمعته منه.

قال: أخبرنا شيخ الإسلام زكريا بن محمَّد الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه.

قال هو والغمري: أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعناه منه.

زاد زكريا فقال: وأخبرنا أيضًا الحافظ أبو النعيم رضوان بن يوسف بن محمد العقبي، والشمس محمد بن أحمد الحكري، وهو أول حديث سمعته من الأولين في مجلسين متفرقين، وأول حديث قرأته على الأخير. ح.

زاد السيوطي فقال: وأخبرنا أيضًا أبو بكر بن صدقة المناوي والتقي أحمد بن محمد الشمني الحنفي، وهو أول حديث سمعته منهما. ح.

وقال القطب الخيضري والسيوطي أيضًا: أخبرنا أحمد بن نصر الله الحنبلي الكتاني. ح.

قال ابن حجر والعقبي والحكري والمناوي: أخبرنا حافظ الوقت زين الدِّين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وهو أول حديث

سمعناه منه. وقال ابن حجر والمناوي أيضًا: أخبرنا البرهان الابناسي، وهو أول حديث سمعناه منه. ح.

زاد السيوطي فقال: وأخبرنا أيضًا أبو حامد بن ظهيرة وأخوه وليّ الدِّين بن ظهيرة، وهو أول حديث سمعته منهما بمكة. قالا وإبراهيم التازي: وأخبرنا أبو الفتح الحسين بن أبي بكر المراغي، وهو أول حديث سمعناه منه. قال: أخبرنا الزين العراقي، وهو أول حديث سمعته منه. ح.

وقال الشمني: أخبرنا عبد الرحمن الزبيري والصدر الأبشيطي، وهو أول حديث سمعته منهما. ح.

زاد السيوطي فقال: وأخبرنا أيضًا الإمام علم الدِّين صالح البلقيني، وهو أول، قال هو وابن حجر أيضًا: أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقيني، وهو والد العلم[1]، قالا: وهو أول حديث سمعناه منه في مجلسين. قال هو والزبيري والأبشيطي والأبناسي والعراقي والعلائي والواسطي: أخبرنا الصدر أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي، وهو أول حديث سمعناه منه. ح.

وقال التلواني: أخبرنا والدي أبو الحسن علي، وهو أول حديث سمعته منه. أخبرنا أحمد الحسني السويداوي، وهو أول حديث سمعته منه. أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن مرتضى البهنسي، وهو أول حديث سمعته. ح.

---

(١) العلم: هو علم الدِّين صالح بن عمر بن رسلان البُلْقيني، والده العلامة المشهور سراج الدِّين شيخ الحافظ ابن حجر، توفي سنة ٨٦٨هـ. «الضوء اللامع» للسخاوي (٣/ ٣١٣).

وقال السراج البلقيني، وكذلك التقي السبكي: وأخبرنا أيضًا محمد بن كشتغدى الصيرفي، وهو أول حديث سمعناه منه. زاد البلقيني: وأخبرنا أيضًا أحمد بن غالي الدمياطي، وهو أول. قال هو وابن كشتغدى والبهنسي والميدومي: أخبرنا النجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن الصقيل الحراني الحنبلي، وهو أول حديث سمعناه منه. ح.

زاد زكريا فقال: وأخبرنا أيضًا المعزّ عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفي، وهو أول، قال: أخبرنا عمر بن الحسن بن مزيد بن أُميلة، وهو أول. أخبرنا الفخر أبو الحسن علي بن أحمد المقدسي، وهو أول. قال هو والنجيب الحراني: أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن محمد ابن الجوزي الحنبلي، وهو أول. ح.

وقال الجلال عبد الرحيم العباسي: وأخبرنا أيضًا الحافظ شمس الدِّين محمد بن عبد الله بن ناصر الدِّين الدِّمشقي، وهو أول. قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد الحنبلي، وهو أول حديث رويته عنه. قال هو وكذلك الحافظ العلائي: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن تمام الصالحي، وهو أول حديث سمعناه من لفظه. قال محمد الحنبلي: وأنا في الخامسة سنة ست عشرة وسبعمائة، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن عبد الوهاب الكفر طابي، وهو أول. أخبرنا أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي الأصبهاني، وهو أول. قال هو وابن الجوزي: أخبرنا الإمام أبو سعيد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الصمد بن أحمد بن أبي بكر النيسابوري، المعروف بالكرماني المؤذن، وهو أول حديث سمعناه منه. ح.

وقال التقي الشمني وأحمد بن نصر الله: أخبرنا الجمال عبد الله بن علي الكناني الحَنْبليّ، وهو خال الأخير، والحافظ ابن رجب الحنبلي، وهو أول. قالا: أخبرنا موفَّق الدِّين عبد الله بن محمد المقدسي الحنبلي، وهو أول حديث سمعناه منه. قال هو والحافظ الذهبي والعلائي أيضًا: أخبرنا أحمد بن إدريس بن فريز الحموي، وهو أول حديث سمعناه منه. قال: أخبرنا صدر الدِّين أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد التيمي البكر، الشهير بابن عمروك، وهو أول حديث سمعته منه. ح.

زاد العلائي فقال: وأخبرنا أيضًا محمد بن يوسف الدمشقي، وهو أول. أخبرنا أبو عمرو ابن الصلاح، وهو أول. قال هو والبكري: أخبرنا أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد الوهاب الهمداني، وهو أول حديث سمعناه منه. ولفظه: «ارحموا أهل الأرض». أخبرنا عبد الكريم بن محمد بن الخيام، وهو أول حديث سمعته منه.

وزاد ابن الصلاح فقال: وأخبرنا منصور بن عبد المنعم الفراوي، وهو أول. أخبرنا محمد بن الفضل الصاعدي، وهو أول. ح.

زاد ابن رجب فقال: وأخبرنا المسند المعمر عليّ بن عبد الصمد البغدادي، وهو أول. قال: أخبرنا والدي عبد الصمد بن أحمد البغدادي، وهو أول. أخبرنا الحافظ أبو عبد الله بن الدبيثي، وهو أول. أخبرنا عبد المغيث بن زهير الحربي، وهو أول. أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامي، وهو أول. ح.

زاد عبد الصمد البغدادي، فقال: وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفوارس، وهو أول. أخبرنا عبد الغني ابن الحافظ ابن العلاء

الهمداني، وهو أول. أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن الهمداني، وأبو الأسعد هبة الرحمن بن القشيري، وزاهر بن طاهر الشَّحامي، وابن الخيام، ووجيه ابن طاهر الشَّحامي، وهو أول على كل منهم. قالوا ـ وهم: أبو سعيد إسماعيل، وزاهر الشحامي، وأخوه، وابن القشيري، والهمداني، وابن الخيام، والصاعدي ـ: أخبرنا الإمام الحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري المؤذن، وهو أول حديث سمعناه منه. ح.

زاد زاهر الشّحامي فقال: وأخبرنا أيضًا الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وهو أول. قال هو وأبو صالح المؤذِّن: أخبرنا الإمام أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش بن علي بن داود بن أيوب الزيادي، وهو أول حديث سمعناه منه. ح.

زاد ابن رجب فقال: وأخبرنا المعمر داود بن إبراهيم العطار، وهو أول. قال هو والحافظ الذهبي أيضًا: أخبرنا علي بن بلبان المقدسي، وهو أول. أخبرنا عبد اللطيف بن القبيطي، وهو أول. أخبرنا أبو بكر أحمد بن المقرب الكرخي. ح.

وزاد زكريا والسيوطي فقالا: وأخبرتنا المسندة المعمرة هاجر ابنة محمد بن محمد القديسة، وهو أول. أخبرنا أبو بكر ابن مغلطاي، وهو أول. أخبرنا ابن الخميس الخيمي، وهو أول. أخبرنا صدر الدِّين البكري، وهو أول. أخبرنا أميرك بن الناصر العلوي، وهو أول. أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي، وهو أول. ح.

وزاد ابن الجوزي فقال: وأخبرنا الحسن بن أحمد بن محبوب، وهو

أول، قال هو والسلفي وابن المقرب الكرخي: أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج اللغوي، وهو أول. ح.

وزاد الفخر ابن البخاري[1] فقال: وأخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، وهو أول. أخبرنا أبو بكر الأنصاري، وهو أول. أخبرنا أبو الحسن الصقلي، وهو أول. ح.

وزاد صدر الدِّين البكري فقال: وأخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد، وهو أول. أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، وهو أول. أخبرنا جعفر الحكاك وابن سبعون، وهو أول على كل منهم. ح.

وزاد السلفي فقال: وأخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال الحافظ، وهو أول. قال هو والحكاك وابن سبعون وابن السراج والصقلي: أخبرنا الإمام أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي، وهو أول. أخبرنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز بن محمد المهلبي بنيسابور، وهو أول بقراءتي عليه. ح.

وزاد أبو صالح المؤذِّن: وأخبرنا أيضًا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان الشاهد، وهو أول. حدثنا أبو نصر محمد بن طاهر الأديب الوزيري، وهو أول. قال هو والمهلبي وابن محمش: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول. قال هو والإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في كتابيه «الكنى» و «الأدب»: أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدي النيسابوري، وهو أول، وعند البخاري بلا تسلسل. ح.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد المقدسي المتقدم ذكره (من هامش نسخة أ و ب).

وقال أبو داود في «سننه»: حدثنا مسدد بن مسرهد وأبو بكر بن أبـي شيبة.

وقال الترمذي في «جامعه»: حدثنا محمد بن يحيـى بن أبـي عمر العدني كلهم بلا تسلسل. ح.

وزاد أبو حامد البزاز فقال: وأخبرنا أيضًا أبو علي الحسن بن محمد ابن الصباح. ح.

وزاد أبو القاسم السمرقندي فقال: وأخبرني أيضًا أبو الحسين بن النقور، وهو أول. أخبرنا محمد بن علي الديباجي، وهو أول. أخبرنا أبو نصر المروزي، وهو أول. أخبرنا محمود بن آدم، وهو أول. قال هو وابن أبـي شيبة والعدني ومسدد وابن بشر وابن الصباح والإمام أحمد والحميدي في «مسنديهما»:

حـدثنـا سفيـان بـن عيينـة، وهـو أول، عـن عمـرو بـن دينـار، عـن أبـي قابوس مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء»[1].

(١) أخرجه مسلسلاً: ابن قدامة في «صفة العلو» (ص ٤٥)، وابن المستوفي في «تـاريـخ إربـل» (١/ ٤٠٦)، وابـن رشيـد فـي رحلتـه «مـلء العيبـة» (٣/ ٢٩٠، ٢٩١)، والذهبـي في «السير» (١٧/ ٦٥٦)، وفي «المعجم الكبير» له (١/ ٢٢، ٢٣)، والتجيبـي فـي «مستفـاد الـرحلـة والاغتـراب» (ص ٥٢، ٥٣، ٤٤٢)، والحافظ العراقي في «الأربعين العشارية» (ص ١٢٥)، وابن حجر في «الإمتاع في الأربعين» (ص ٦٢)، وابن جماعة في «مشيخته» (١/ ٨٢، ٨٣)، وابن ناصر =

= الدِّين الدِّمشقي في «المجلس الأول من أماليه» (ص ٢١، ٢٢)، وفي كتاب «مجالسٌ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (ص ٣٣، ٣٥، ٣٦، ١٢٤، ١٣٥، ٢٠١، ٢٠٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٩٩، ٣١٣، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٩١، ٣٩٢، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٦ ـ ٤٥٨)، والسيوطي في «جياد المسلسلات» (٢/ أ)، والسخاوي في «الجواهر المكللة» (٣٤/ أ)، وفي «البلدانيات» (٤/ أ)، وعبد الباقي في «أربعين حديثًا من رياض الجنة» (ص ١٧)، وعبد القادر التغلبي في «ثبته» (ص ٤٦، ٤٧)، ومن طريقه السفاريني في «إجازته للزبيدي»(٣/ أ)، والعجلوني في ثبته «حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بِكُمَّلِ الرِّجال» (٣٧/ نسخة المحمودية بالمدينة المنورة رقم ٢٤٨)، وعبد الله بن سالم البصري في «الإمداد» (ص ١٠)، ومن طريقه أحمد بن علي المنيني في «ثبته» (٨٨/ نسخة الظاهرية ٣٧٠٧) والمؤلف، وصفي الدِّين البخاري في «معجم شيوخه» (ص ١٥ ـ ١٨)، ومحمد الأمير الكبير في «ثبته» (ص ١٧٣)، والروداني في «صلة الخلف» (ص ٣١)، والكزبري في ثبته (ص ٣٢، ٣٣)، والحمزاوي في «عنوان الأسانيد» (ص ٤٢ ـ ٤٦)، والشيخ جمال الدِّين القاسمي في ثبته «الطالع السعيد في مهمات الأسانيد» (قطعة منه غير مرقمة بخطه) من طريق شيخه محمود الحمزاوي وسليم العطّار، وعبد الرزاق البيطار في «ثبته» (١٣٠/ نسخة دار الكتب المصرية ١٧٥٧٨)، ومحمد عبد الباقي في «المناهل السلسلة» (ص ٤، ٥) والمؤرخ إبراهيم بن عيسى في «إجازته لعلاَّمة الكويت عبد الله الخلف الدحيان» (ص ٢٦٨، ٢٦٩).

وأخرجه من غير تسلسل: الحميدي في «مسنده» (٥٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٣٨)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، ومسدد بن مسرهد والعدني في «مسنديهما» كما في «المجلس الأول» لابن ناصر الدِّين (ص ٢٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩/ ٦٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، =

هكذا روي عن أبـي حامد بن بلال موقوف التسلسل بالأولية على عبد الرحمن بن بشر أنه أول حديث سمعه من سفيان، وهو المشهور في تسلسله.

ورواه أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي الدربندي عن أبـي عاصم عبد الله بن محمد السعيري المروزي، عن أبـي أحمد هاشم بن عبد الله السرخسي المؤذن، عن أبـي حامد بن بلال مسلسلاً إلى سفيان عن عمرو بن دينار، قال: وهو أول حديث سمعته من عمرو.

تابعه أبو عصمة نوح بن نصر بن أحمد الأخسيكتي الفرغاني، عن أبـي عاصم الشغيري. كذلك رواه الحافظ أبو القاسم بن مندة عن

= وأبو عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٤٠)، والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٤١)، وفي «شعب الإيمان» (١٠٥٣٧)، وفي «الآداب» (٣٨) وفي «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٢٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٦٠) من طرق عن عمرو بن دينار عن أبـي قابوس به، وقال الترمذي بعده: «حسن صحيح» وصححه الحاكم ووافقه الذهبـي، وصححه في «المعجم الكبير» (١/ ٢٣)، وقال العراقي بعده: «هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود والترمذي من غير تسلسل» وحسنه الحافظ ابن حجر في «الإمتاع» (ص ٦٣)، وقال بعد ذكره لتصحيح الترمذي: «وكأنَّه صححه باعتبار المتابعات والشواهد...»، وصححه ابن جماعة في «مشيخته» (١/ ٨٣)، وقال ابن ناصر الدِّين الدمشقي في «مجالسه» (ص ١٢٤):
«هذا حديث حسن لقصور درجة أبـي قابوس عن ثقات الصحيح، وارتفاعه عن مستوى الضعفاء، لكونه وثِّق»، وحسنه في مواضع أخرى من مجالسه (ص ٢٦٣، ٢٩٩، ٣١٤، ٣٤١)، وقال الحافظ السخاوي في «الجواهر المكللة»: «هذا حديث حسن عال».

أبـي عصمة هذا. ولا يصح هذا التسلسل. ورواه أبو عبد الله الحميدي[1] قال: حدثني أبو القاسم منصور بن النعمان الصيمري إملاءً من لفظه، وهو أول حديث سمعته منه. حدثني أبو نصر السجزي الحافظ، وهو أول حديث سمعته منه. فذكره مسلسلاً إلى أبـي قابوس، بقول عمرو بن دينار عنه، وهو أول حديث سمعته منه.

ورواه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زيلويه الأبيوردي المقري، عن أبـي القاسم بشر بن محمد الميهني الخطيب: حدثنا أبو محمد هشام اللبان السرخسي بمرو: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد الخشاب النيسابوري: حدثنا أبو عبد الرحمن بشر بن الحكم: حدثنا سفيان بن عيينة، فذكره بالتسلسل إلى عمرو بن دينار، أنه قال: هذا أول حديث سمعته من أبـي قابوس.

قال الحافظ ابن ناصر الدِّين ــ هو الدمشقي صاحب المولد المشهور ــ وغيرُه: اللَّبان هذا أراه هاشم بن عبد الله السرخسي المذكور قبل. والله أعلم.

والخشاب هو هذا أبو حامد بن بلال، كان يسكن الخشابين بنيسابور، فقيل له: الخشاب، وكان يكره هذه النسبة. وذِكْرُ بشرِ بن الحكم في هذه الطريق بدل ابنه عبد الرحمن غريب، ويحتمل سماع أبـي حامد منهما؛ لأنَّ بشرًا مات في رجب سنة ثمان وثلاثين ومائتين، ومات ابنه عبد الرحمن في ثاني عشر ربيع الآخر سنة ستين ومائتين فيما

---

(١) هو صاحب الجمع بين الصحيحين، وليس هو شيخ البخاري (من هامش نسخة أ و ب).

قاله أبو عمرو المستملي، وقد اشتهر سماعهما عند أئمة هذا الشأن.

وقال إبراهيم بن أبـي طالب: سمعت عبد الرحمن بن بشر بن الحكم يقول: حملني أبـي على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينة فقال: يا معشر أصحاب الحديث، أنا بشر بن الحكم بن حبيب النيسابوري، سمع أبـي الحكم بن حبيب من سفيان بن عيينة، وقد سمعت أنا منه، وحدَّثتُ عنه بخراسان، وهذا ابني عبد الرحمن قد سمع منه. وقد روي الحديث موصول التسلسل من طريق أبـي نصر الوزيري.

قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيـى بن بلال البزاز، ثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن أبـي قابوس، عن عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء»[١].

قال عبد الله بن عمرو: هذا أول حديث سمعته من النبـي ﷺ بعد خطبة الوداع، وقال أبو قابوس: هذا أول حديث رواه عبد الله بن عمرو بالشام.

وقال عمرو بن دينار: هذا أول حديث رواه لنا أبو قابوس.

وقال ابن عيينة: هذا أول حديث أملاه علينا عمرو بن دينار.

وقال عبد الرحمن بن بشر: هذا أول حديث سمعته من سفيان.

وقال أبو حامد: هذا أول حديث سمعناه من عبد الرحمن.

وقال أبو نصر الوزيري: هذا أول حديث سمعناه من أبـي حامد.

---

(١) انظر: تخريجه فيما مضى (ص ٣٣) فهو عند بعض مخرجيه بهذا الطريق.

ورواه كذلك أبو بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشَّحامي عن أبي صالح المؤذن، عن أبي سعد عبد الرحمن بن حمدان الشاهد عن أبي نصر الوزيري، فذكره كذلك موصول التسلسل(١).

ورواه كذلك الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي عن أبي نصر الوزيري، وهذا منكر، والوزيري تكلم فيه؛ لوصله تسلسل هذا الحديث، والله أعلم.

تُوُفِّي أبو نصر هذا في رمضان سنة خمس وستين وثلثمائة، وقد رواه كذلك موصول التسلسل أبو المظفَّر عبد الرحيم بن الحافظ بن سعد السمعاني، عن الإمام ابن طاهر محمد بن محمد السنجي: حدثنا أسعد بن أحمد بن محمد بن حبان النسوي: حدثنا أبو صالح المؤذن، فذكره. ولفظه: «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء»، وهو غريب جدًّا، والحمل فيه ــ والله أعلم ــ على أسعد النسوي؛ لأنَّ من عداه في الإسناد ثقات، والسنجي سمع منه أبو المظفر بن السمعاني وأبوه أبو سعد، وقال: هو ثقة ديِّن مكثر متواضع قانع بما هو فيه. وذكر تاريخ موته.

وأبو قابوس عداده في الكوفيين، وقيل: هو مكي لا يعرف له اسم وليس له ذكر في «الكنى» لمسلم، وزعم أبو الفرج ثابت بن محمد المديني أنَّ اسمه المبرد، وليس ذلك بثابت.

ورواه أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي فقال: حدثنا الحسن بن

---

(١) انظر: كتاب «مجالس في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾» لابن ناصر الدين (ص ٤١٧، ٤١٨).

داود ــ يعني ابن محمد بن المنكدر ــ : ثنا سفيان بن عيينة عن ابن دينار ــ يعني عمرًا ــ ، عن قابوس، عن عبد الله بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء». كذا قال عن قابوس، وهو خطأ، والحسن المنكدري قال البخاري: يتكلَّمون فيه[1].

وقد جاء الحديث كرواية المنكدري فيما رواه الحافظ ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي: حدثني عبد الله بن سبعون بن يحيى القيرواني من لفظه وحفظه، وهو أول حديث سمعته منه، وكتبه لي بخطه، فساقه بسنده المتقدِّم، وفيه: عن قابوس مولى عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة، ارحم مَن في الأرض يرحمك مَن في السماء». هذا غير محفوظ.

قال ابن عساكر: ولعلَّ ابن سبعون لمّا حدَّث به من حفظه وهم فيه، وكذلك في المتن. انتهى[2].

وقد خالفه أبو محمد المبارك بن علي بن الحسين الطباخ البغدادي ثم المكي، فحدَّث به مسلسلاً عن أبي القاسم السمرقندي، عن ابن سبعون، فذكره على الصواب في الإسناد، فقال: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. . فذكره مرفوعًا.

---

(١) انظر: «مجالس ابن ناصر الدين الدِّمشقي» (ص ٣٩٤).

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩/١٦٨/ أ).

حدَّث به عن الطبَّاخ كذلك الحافظ أبو محمد عبد الغني المقدسي، وحدَّث به عمر بن طبرزد عن ابن السمرقندي كذلك.

لطيفة: قال الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه: أخبرني محمد بن أحمد بن رزق: حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي بن محمد بن ذكوان: ثنا حسن الصايغ: ثنا محمد بن يونس الكديمي قال: خرجت أنا وعليّ ابن المديني وسليمان الشاذكوني نتنزَّه، قال: ولم يبق لنا موضع نجلس غير بستان الأمير، وكان الأمير قد مَنَعَ من الخروج إلى الصحراء. قال: فلما قعدنا وافى الأمير فقال: خذوهم. قال: فأخذونا، وكنت أنا أصغر القوم سنّاً، فبطحوني وقعدوا على أكتافي. قال: فقلت: أيها الأمير اسمع مني. قال: هات. قلت: حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحم مَن في الأرض يرحمك من في السماء». قال: أَعِدْه عَلَيّ. قال: فأعدته عليه، فقال لأولئك: قوموا. ثُمَّ قال: أنت تحفظ مثل هذا وأنت تخرج تتنزَّه!! أو كما قال.

قال: فكان الشاذكوني يقول: نفعك حديث الحميدي.

قلت: هذا حديث منكر، ومحمد بن يونس الكديمي أحد المتروكين[1]، والحميدي إنما رواه على الصواب، وكذلك أحمد بن

(١) هذا الرواية والقصة: أخرجها الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٤٣٨)، وابن ناصر الدّين في «المجلس الأول» (ص ٢٧)، وفي «مجالسه» (ص ٤١) وذكر فيها عدم صحة هذه الرواية.

حنبل، ومحمد بن عباد المكي، ومحمود بن آدم، ومسدد، وأبو بكر بن أبـي شيبة، والعدني، وهارون بن معروف وغيرهم، عن سفيان، وهو من أفراده، كما تفرَّد به شيخه عمرو بن دينار عن أبـي قابوس عن عبد الله بن عمرو، فلم يذكروا ابن عباس.

ورواه أبو أحمد بشر بن مطر الواسطي عن سفيان، إلاَّ أنه وقفه على عبد الله بن عمرو، والصواب رفعه. وحدث به القاضي أبو محمد الرامهرمزي في كتابه «المحدِّث الفاصل» فقال: حدثنا أبـي، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن محمد الزهري عن سفيان بن عيينة، عن عمرو ابن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله، فارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء». قالوا: يا أبا محمد[1]، أَعِدْه. فقال: سمعت الزهري يقول: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر. لم يتابع على قوله: عن عمرو بن أوس، مكان: أبـي قابوس، فيما أعلم، والله أعلم[2].

وأخرجه الخلعي في فوائده من طريق ابن الأعرابـي: ثنا الحسن بن محمد بن الصباح، عن محمود بن إدم، عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبـي قابوس، عن ابن لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو رفعه، وفيه: «يرحمهم الرحيم» بدل: «الرحمن»، والباقي سواء. وقد ذكروا أنَّ قوله: «عن ابن لعبد الله بن عمرو» غلط، وكذا قوله: «الرحيم»، فقد

---

(١) المراد بأبـي محمد هذا سفيان بن عيينة (من هامش نسخة أ و ب).

(٢) أخرجه الرامهرمزي في «المُحدِّث الفاصل» (ص ٥٦٦). وقال ابن ناصر الدِّين في «مجالسه» (ص ١٢٧): «لا مدخل لعمرو بن أوس في هذا الحديث».

خالفه فيه غير واحد عن سفيان كما تقدَّم، ولا أعلم أحدًا وافقه على هذا، والله أعلم.

وأوضح طرق هذا الحديث وأقواها وأجودها وأشهرها وأعلاها: الطريق الأولى، التي تقدَّمت.

وقد رواه مسلسلاً غير واحد من الأئمة الكبار في مصنفاتهم، وهو مخرج في «سنن أبـي داود» وفي «جامع الترمذي« و «مسند الإمام أحمد»، وهو في «معجم الطبراني الكبير» عن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه ومحمد بن عباد المكي قالا: حدثنا سفيان فذكره.

وقد روي من طريق أُخرى عن عبد الله بن عمرو بمعناه؛ أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: ثنا يزيد، أخبرنا جرير، ثنا حبان الشرعبـي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبـي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «ارْحموا تُرْحَموا واغْفِروا يُغْفَرْ لكم، ويلٌ لأقماعِ القَوْلِ، ويلٌ للمُصرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون»[1]. حدث به عبد بن حميد في

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، وعبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» (٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، ويعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٣٦، ١١٠٥٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٦٥) من طرق.
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩١): «رجاله رجال الصحيح، غير حبان بن زيد الشرعبـي وثقه ابن حبان».
قلت: والحديث إسناده جيد؛ وذلك أن الشرعبـي وثقه ابن حبان وهو من شيوخ حريز وهم ــ كما قال أبو داود ــ ثقات (تهذيب التهذيب ٢/ ١٧٢، ٢٣٨)، وقال الحافظ السخاوي في «البلدانيات» (٦/ أ): «سنده جيد». =

مسنده عن يزيد بن هارون وجرير، وحبان هو ابن زيد الشرعبي، ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»[١].

وقد جاء بمعنى الحديث الأول عن ابن مسعود مرفوعًا؛ حدَّث به يحيى بن السكن عن شعبة، وقيس عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيدة، عن أبيه عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ: «ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء». أخرجه الطبراني في «الأوسط» لابن السكن، وقال: لم يرو هذا الحديث عن شعبة إلَّا يحيى بن السكن[٢].

قلت: رواه عن شعبة أيضًا عبد الملك بن إبراهيم الجدي، إلَّا أنه ذكره موقوفًا على عبد الله[٣].

وحدَّث به أبو داود الطيالسي في «مسنده»، فقال: ثنا سلام وقيس عن أبي إسحاق، فساقه[٤]. وحدَّث به أبو نعيم في «الحلية» عن

= وقوله: «ويل لأقماع القول». قال ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٣٣٧): «قوله: «ويل لأقماع القول» يعني الذين يستمعون القول كثيرًا ولا يعملون به، شبه آذانهم لكثرة ما يدخلها من الوعظ وهم مصرّون بالأقماع التي تفرغ فيها الأنواع وليس يبقى فيها منها شيء، ويقال: أصرّ الرجل على الذنب وأصر الفرس أُذنه وصرَّ الشيء: إذا جمعه».

(١) «الثقات» لابن حبان (٦/ ٢٤٤).

(٢) هذه الطريق من حديث ابن مسعود أخرجها الطبراني كما في «مجمع البحرين» (٥/ ١٩٩) وإسنادها ضعيف لضعف يحيى بن السكن.

(٣) أخرج هذه الطريق الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٨) والمدار فيه على يحيى بن السكن أيضًا.

(٤) «المسند» لأبي داود الطيالسي (ص ٤٤).

عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، فذكره[١].

وحدَّث به هناد بن السري في كتاب «الزهد» موقوفًا على عبد الله، فقال: عن وكيع، عن إسرائيل وأبيه، عن أبـي إسحاق، عن أبـي عبيدة قال: قال عبد الله. . . فذكره[٢].

وأخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» من رواية موسى بن عقبة عن عبد الله بن علي، عن أبـي إسحاق. . فساقه مرفوعًا[٣].

تابعهم عمار بن رُزَيْق[٤] وحفص بن سليمان. والموقوف أصح فيما قاله الدارقطني في كتابه «العلل».

وللحديث شواهد، منها: ما أخرجه عبد الله بن محمد البغوي عن أبـي بكر بن أبـي شيبة: ثنا أبو الأحوص عن أبـي إسحاق، عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لم يَرْحَم مَن في الأرض لم يَرحمه مَن في السَّماء». تابعه سعيد بن منصور عن أبـي الأحوص مثله[٥].

---

(١) «الحلية» لأبـي نعيم (٤/ ٢١٠).

(٢) أخرجه وكيع بن الجراح في «الزهد» (٤٩٩)، ومن طريقه هناد بن السري في «الزهد» (١٣٢٣) من طريق أبـي عبيدة عن والده عبد الله بن مسعود وهو لم يسمع من والده.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٢٧٧) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٠) والمدار فيه على أبـي عبيدة بن عبد الله بن مسعود.

(٤) طريق عمار بن رزيق: أخرجها القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٤٧) لكن المدار على أبـي عبيدة أيضًا.

(٥) أخرجه من طريق أبـي الأحوص سعيد بن منصور في «سننه» (٢٠٤/ب نسخة نجد)، والطبراني في «الكبير» (٢٥٠٢)، والحديث أصله في «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٠٩) من حديث جرير.

ورواه أبو شيبة يحيى بن يزيد الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير ولفظه: «مَن لا يرحم أهل الأرض لا يرحمه أهل السماء»[1].

وله شواهد أيضًا من حديث أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وأسامة بن زيد، وأسامة بن شريك، والأشعث بن قيس، وأنس بن مالك، وجابر، وعبادة بن الصامت، وابن عمر، وقرَّة بن إياس، ومعاوية بن حيدة، والمغيرة بن شعبة، ونبيط بن شريط، والنعمان بن بشير، وواثلة بن الأسقع، وأبي أمامة الباهلي، وأبي الدرداء، وأبي ذر، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، عن النبي ﷺ.

خاتمة

قد جمع طرق هذا الحديث أبو الفضل ابن ناصر، وأبو القاسم السمرقندي، ومنصور بن سليم، وأبو عمرو ابن الصلاح، والحافظ الذهبي، والتقي السبكي، وابن ناصر الدِّين الدمشقي الحافظ، والحافظ السخاوي، وآخرون من المتقدِّمين والمتأخِّرين، شكر الله سعيهم. وضمنه في النظم غير واحد من المحدِّثين والشعراء بما هو مذكور في آخر كتابي: «المرقاة العلية المتعلقة بالحديث المسلسل بالأوَّليَّة»[2].

---

(١) أخرجه من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير: سعيد بن منصور (٢٠٤/ب)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٣٦) وغيرهما.

(٢) أفاض العلاَّمة الكتاني في «فهرس الفهارس» (١/ ٩٤) في ذكر من ألف في هذا الحديث وأفرده بتصنيف، فانظره إن شئت.

قال مُخَرِّجه العلاَّمة شيخنا السيِّد محمد المرتضى المصري أطال الله بقاه: فرغت من تسويدها في مجلس واحد من ليلة الثلاثاء لعشر مضين من شهر ربيع الثاني من شهور سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف.

وفرغ من كتابتها الفقير كمال الدِّين محمد بن محمد بن محمد العامري الحسيني الصِّديقي، الشَّهير بابن الغزي، لثمان خلت من شهر رمضان المُعظم من شهور سنة سبع وتسعين ومائة وألف من الهجرة، بحجرتنا في الجامع الشريف الأموي بدمشق المحروسة، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

الحمدُ لله وحده، والصَّلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده، وآله وصحبه، **أما بعد:**

فقد أجزتُ مولانا الشيخ الإمام العالم العلاَّمة سيِّدي محمد كمال الدِّين ابن مولانا الشيخ محمد بن محمد العامري الغزي الأصل، الدِّمشقي أن يروي عنِّي هذا الجزء المسمَّى بـ «العَروسُ المَجْلِيَّة في أَسانيد الحديث المُسَلْسَلِ بالأَوَّليَّة» وسائر ما يجوز لي روايته بشرطِهِ المُعتبر عند أهل الأثر.

وأنا الفقير محمد بن أحمد بن محمد الأثري الحنفي البخاري، عفا الله عنه بمنِّه وكرمِهِ.

* * *

بحمده تعالى قوبلت هذه النسخة على أصل صحيح، فصحت على يد كاتبها الفقير محمد كمال الدِّين الحسيني الصديقي العامري الشهير بابن الغزي، غُفِرَ له، في مجلسين منتصف ربيع الأول سنة ١١٣٨هـ[1].

* * *

(١) فرغتُ من مقابلته بأصله المخطوط مع أخي الشيخ المفضال نظام محمد صالح يعقوبي وأخي الدكتور الأستاذ عبد الله بن الشيخ حمد المحارب وبحضور الأخ الشيخ رمزي دمشقية، وذلك قُبيل صلاة العشاء في ليلة الحادي والعشرين من رمضان المبارك في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة سنة ١٤٢٠هـ.

وأنا الفقير

محمد بن ناصر العجمي

المحتوى

الموضوع	الصفحة



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٦)

إيضاح المدارك
في الإفصاح عن العواتك

تأليف
العلامة محمد مرتضى الزبيدي
شارح القاموس
(١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)

بعناية
مساعد سالم العبد الجادر

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

إيضاح المدارك

في الإفصاح عن العواتك

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد للَّه، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فهذه رسالة لطيفة في تحقيق أُمَّهات رسولنا ﷺ من العواتك من بني سليم، قال مؤلفها رحمه الله تعالى: «خدمت بذلك جنابه الشريف صلَّى الله عليه وسلَّم ومجَّد وعظَّم، رجاء أن أكون من جملة منسوبيه، وفي عداد الخدم في ضمن محسوبيه. . .» إلخ.

وأنا في عنايتي وإخراجي لهذه الرسالة ما أردتُ إلَّا ذلك، ورغبةً في خدمته ﷺ ونيل شفاعته صلوات ربِّي وسلامه عليه.

وقد قمتُ بضبط النص، وتخريج الأحاديث، وترجمة المؤلِّف، وترجمة مختصرة لبعض الأعلام عزوفًا عن التطويل.

وقد أهداني وحثَّني على العناية بهذه الرسالة شيخنا الشيخ/ نظام يعقوبي حفظه الله، فجزاه الله أوفى الجزاء.

والمخطوط الذي اعتمدتُ عليه من مخطوطات دار الكتب المصرية

برقم (٢٠١٠٨)، وهي صحيحة النسبة لمؤلِّفها رحمه الله، خطُّها عادي، وعدد أوراقها (١٩) ورقة، قياس الورقة (٢٣ × ١٥)، وعدد الأسطر (١٥).

أسألُ الله سبحانه وتعالى أن يَنفعني بها وينفع بها.. والحمد لله ربَّ العالمين.

* * *

ترجمة المؤلف

هو محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني العلوي، الزَّبيدي النسب، وينتهي نسبه إلى الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، العراقي أصلاً، الهندي مولدًا، الزَّبيدِيّ تعلُّمًا وشُهرة، المصريّ وفاةً، خاتمة الحفَّاظ بالدِّيار المصرية. وُلِد عام ١١٤٥هـ، وتوفي عام ١٢٠٥هـ شهيدًا بالطاعون.

ليس له عقب من ذكر أو أنثى.

كان نادرة الدنيا في عصره ومصره، كاتب أهل الأقطار البعيدة بفاس وتونس والشام والعراق واليمن، وكاتبوه.

كما كاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والمغرب والسودان.

وممن أخذ عنه من ملوك الأرض: خليفة الإسلام في وقته السلطان عبد الحميد، ووزيره الأكبر محمد باشا بالمكاتبة. واستُدعِي للآستانة للحضور فاعتذر، وكان يعرف اللسان الفارسي والتركي.

وقد حرص على جمع الفنون التي أغفلها المتأخِّرون، كعلم الأنساب، والأسانيد، وتَخاريج الأحاديث، واتِّصال طرائق المحدِّثين

المتأخِّرين بالمتقدمين. كما أحيا إملاء الحديث على طريق السلف في ذِكر الأسانيد والرُّواة والمخرِّجين من حفظه على طُرق مختلفة.

ووصلت أماليه إلى نحو أربعمائة مجلس، وكان يجلس كل اثنين وخميس.

أما شيوخه رحمه الله: فقد ذكرهم في معجمه الصغير، ونقلهم الكتاني، وهم يزيدون على مائة نفس، منهم: وليّ الله الدهلوي، وأحمد بن عبد اللطيف الحسني الشهير بزرّوق، والحافظ البابلي المتوفى عام ١٠٧٨هـ.

أما كتبه: فأكبرها معجمه الأكبر، وهو في مكتبة شيخ الإسلام في المدينة المنورة، وألفية السند في ألف وخمسمائة بيت وشرحها، وعقد الجوهر الثمين في الحديث المسلسل بالمحمَّدين، والعقد المكلَّل بالجوهر الثمين في طرق الإلباس والذكر والتعليق، وعقد الجمان في أحاديث الجان، وحلاوة الفانيد في إرسال حلاوة الأسانيد، وإكليل الجواهر الغالية في رواية الأحاديث العالية، وقلنسوة التاج في بعض أحاديث صاحب المعراج، ومناقب أصحاب الحديث منظومة في مائتين وخمسين بيتًا، والجواهر المنيفة في أصول أدلَّة مذهب أبي حنيفة، والابتهاج بختم صحيح مسلم بن الحجاج، وتحفة الودود في ختم سنن أبي داود.

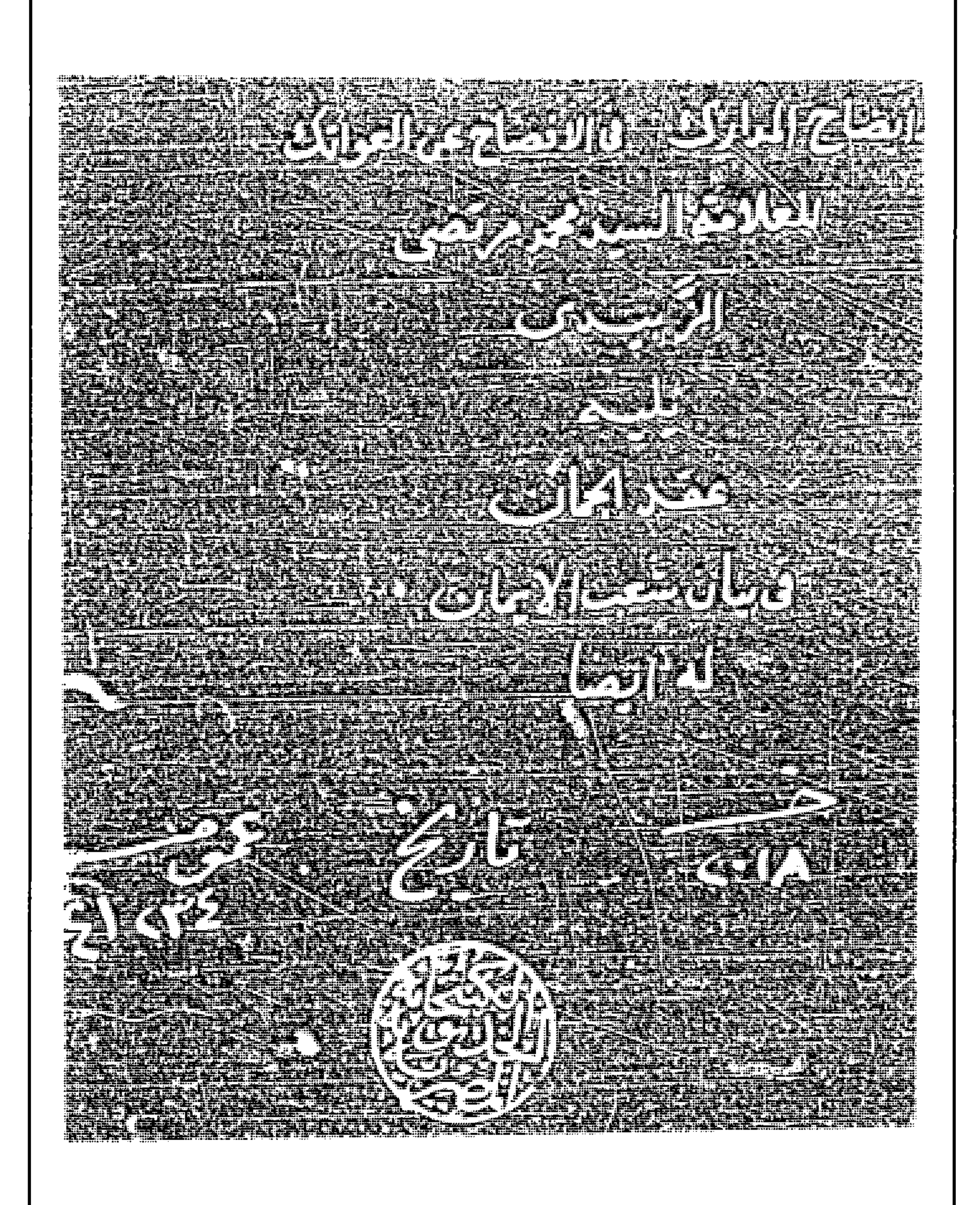
وله تآليف في فنون كثير غير الحديث، كاللغة، والفقه، والأنساب، وغيرها، منها: تاج العروس شرح القاموس، ورسالتنا هذه في العواتك، وغيرها.

ولمَّا توفِّي السيِّد قُوِّمت مؤلَّفاته بخمسة وعشرين ألفًا، فبلغ الخبر إلى السلطان التركي فقال: لقد بخستموها، فجعل لها خمسة وسبعين ألفًا وجعلها حبسًا على طلبة العلم بمصر.

ومن مآثره: أنَّ سلطان المغرب بعث بصِلَة جزيلة مع شيخ الحجيج، فلمَّا بلغته الرسالة ومَكَّنه منها قال له: إني سائلك، هل علماء المغرب يستوفون حصَّتهم من بيت المال؟ قال: نعم، قال: فهل أشرافهم وضعفاءهم ليس بهم خصاصة؟ فسكت وقال: لا يحلُّ لي أخذ شيء من ذلك وإني في غير إيَّالته.

اهـ. بتصرف من فهرس الفهارس والأثبات، لعبد الحيّ بن عبد الكبير الكتاني (١/٥٢٦ ــ ٥٤٣).

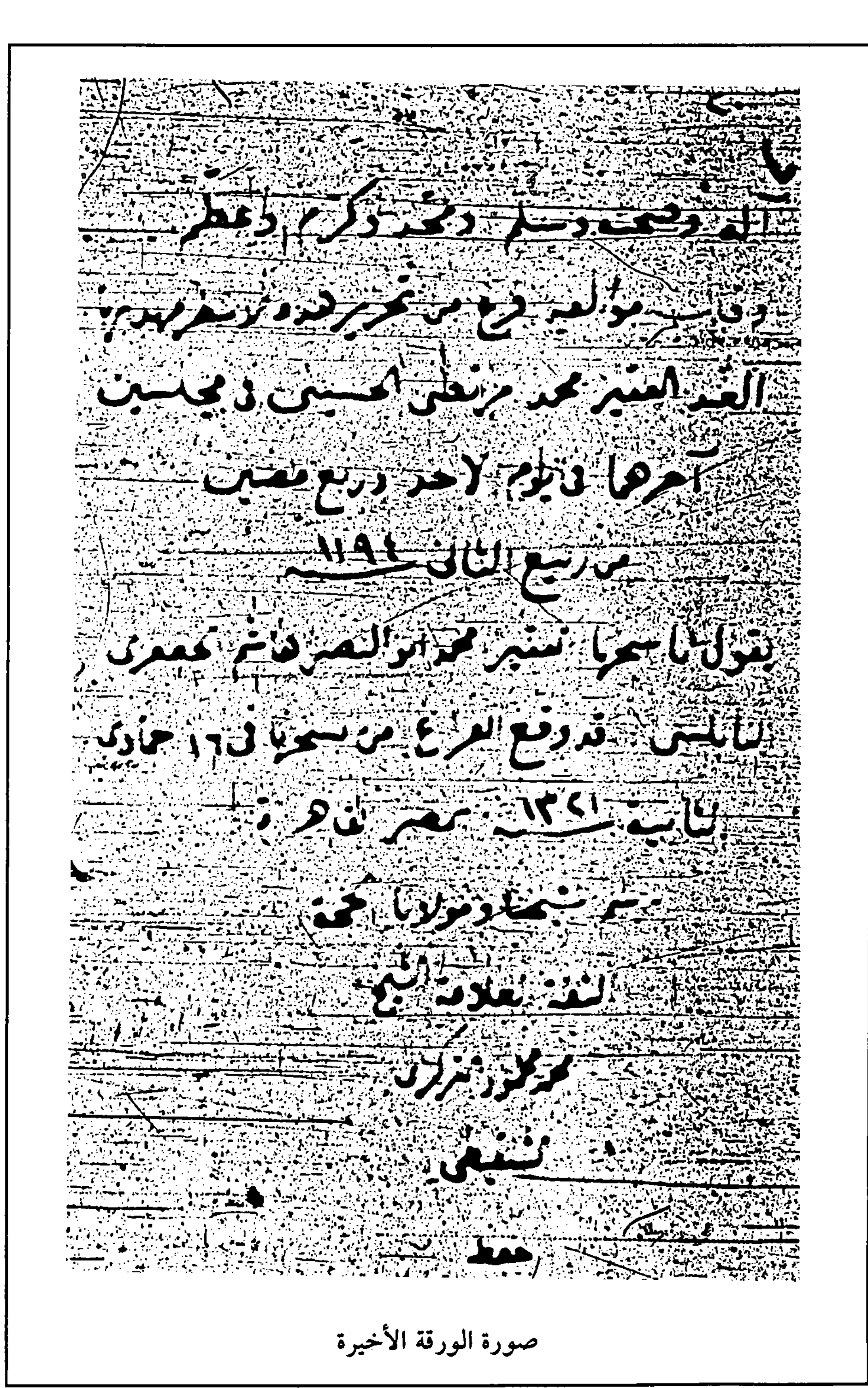
* * *



صورة صفحة غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الورقة الأولى



آله وصحبه وسلم ومجد وكرم وعظم
وقال مؤلفه فرغ من تحريره [illegible]
العبد الفقير محمد مرتضى الحسيني في مجالس
آخرها في يوم الأحد رابع عشرين
من ربيع الثاني سنة ١١٩٤
يقول ناسخها الفقير محمد أبو النصر [illegible]
النابلسي قد وقع الفراغ من نسخها في ١٦ جمادى
ثانية سنة ١٣٢١ بمصر القاهرة
[illegible] شيخنا ومولانا [illegible]
[illegible]

صورة الورقة الأخيرة

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١٦)



تأليف
العلامة محمد مرتضى الزبيدي
شارح القاموس
(١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)

بعناية
مساعد سالم العبد الجادر



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمدُ لله الذي اصطفى نبيَّه ﷺ، واختار نسبه من بين الأنساب، وزاده سموًّا ورفعةً واعتلاءً وتشريفًا مدى الأحقاب.

ووصل حبل من اتصل به متمسكًا بعلّي ذلك الجَناب.

فصلَّى الله عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار الأنجاب، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين، ما اتصل حبل العترة بالكتاب حتى يرِدان الحوض في يوم المآب.

أمَّا بعد: فهذه نبذة حجمها صغير ولكن نفعها إن شاء الله كبير، تتضمَّن بيان أمهاته ﷺ من العواتك من بني سُليم وغيرهم، خدمت بذلك جنابه الشَّريف صلَّى الله عليه وسلَّم وشرَّفَ ومَجَّدَ وعَظَّمَ؛ رجاء أن أكون من جملة منسوبيه وفي عِداد الخدم في ضمن محسوبيه.

ورَتَّبْتُها على: **مقدِّمة، ومهمَّة، وخاتمة**.

وسمَّيتها: «**إيضاح المدارك في الإفصاح عن العواتك**». وعلى الله توكُّلي، ومنهُ أسأل الإعانة والتوفيق؛ لسلوك سداد الطريق، وهو الله لا إلـه غيره، ولا خير إلاَّ خيره.

المقدمة

أمَّا المقدِّمة، ففي تحقيق لفظ عاتكة واشتقاقه ومعناه:

قال أئمة اللُّغة: العَتْك بالفتح فسكون: الكرُّ والحملُ الشديد في القتال، والإقدام على الشيء، والعصيانُ، والغلبةُ، والاشتدادُ، واليُبسُ، والميلُ، والترؤسُ، والاستقامةُ، والكرمُ، والخلوصُ، واللّجاج، كالعُتوك بالضم.

قال الأصمعي[1]: في القتال كرٌّ.

وقال ابن دريد[2]: عَتَكَ عليه: أرهقه.

---

(١) **الأصمعي:** عبد الملك بن قريب بن علي الباهلي «أبو سعيد الأصمعي»، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللُّغة والشعر والبلدان. وُلِد وتوفي بالبصرة، كان يحفظ أكثر من عشرة آلاف أرجوزة. له: «الإبل»، و «الأضداد»، و «المترادف»، و «الخيل»، وغيرها. توفي سنة ٢١٦هـ. انظر: «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» (٢/ ١١٢)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٤/ ٣٠٧).

(٢) ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عمان، أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب. كانوا يقولون: إن ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. له: «الاشتقاق في الأنساب»، و «الجمهرة في اللغة»، و «ذخائر الحكمة»، و «أدب الكاتب»، وغيرها. توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: «بغية الوعاة» (١/ ٧٦)، ومصادر ترجمته في: «الأعلام»، للزركلي (٦/ ٣١٠).

وقال الحِرمَازِيُّ[1]: عَتَكَ إلى موضع كذا: مَالَ وعَدلَ.

وقال ابن الأعرابـي[2]: عَتَكَت المرأةُ على زَوجِها: نَشزَتْ، وعلى أَبيها: عَصَتْ.

وقال ابن دريد: عَتكَتْ القوسُ: قَدُمت فاحمارَّ عودها.

وقال أبو زيد[3]: العاتِك من اللَّبن: الحازر[4].

---

(١) **الحِرمَازيُّ**: هو الحسن بن علي الحرمازي، أبو علي، مولى لبني هاشم. نزل البصرة في بني حرماز فنسب إليهم، وكان شاعرًا راوية. وله من الكتب: كتاب «خلق الإنسان». ولم يذكروا له وفاة. انظر: «بغية الوعاة» (١/ ٥١٥)، ومصادر ترجمته في: «معجم الأدباء»، لياقوت (٢/ ٩٣١).

* **قلت**: ومن عجيب ما وقع لي وأنا أبحث في ترجمته، ما ذكره ابن منظور في «مختصر تاريخ دمشق»، حيث ذكر: زياد بن أسامة الحِرمَازِي البصري (٩/ ٦٤)، ويعني به زياد بن أبيه أو زياد بن عبيد (سميِّه)، وهو الذي ألحقه معاوية رضي الله عنه بنسبه لما ثبت ذلك، ولم ينسبه أحد من المترجمين إلى الحِرمَازِي غير ابن منظور!

(٢) **ابن الأعرابـي**: محمد بن زياد، أبو عبد الله. راوية ناسب، علاَّمة باللغة، من أهل الكوفة. قال ثعلب: لزمته بضع عشرة سنة، ما رأيت بيده كتابًا قط. له: «أسماء الخيل وفرسانها»، و «تاريخ القبائل»، و «النوادر في الأدب»، وغيرها. توفي سنة ٢٣١هـ. انظر: «بغية الوعاة» (١/ ١٠٥)، و «الأعلام»، للزركلي (٦/ ٣٦٦).

(٣) **أبو زيد**: سعيد بن أوس الأنصاري، من صليبة الخزرج. عالم بالنحو. قال المبرِّد: أعلم من الأصمعي وأبـي عبيدة بالنحو. ترك مصنفات كثيرة، منها: «النوادر»، و «إيمان عثمان»، و «المطر والمياه»، و «غريب الأسماء»، وغيرها. توفي سنة ٢١٥هـ. انظر: «الفهرست» ٨٦، و «هدية العارفين» (٥/ ٣٨٧).

(٤) **قلت**: لا زال أهل الخليج يستعملونه، يقولون: (لبن حَزِر).

وقال ابن دريد: نبيذ عاتك: إذا صفا.

وقال ابن عباد[1]: عَتَكَت المرأة: شرفت ورأست. وقال: وأعتك بُنَيّته: استقام لوجهِهِ. والعاتِكُ: الكريم من كل شيء، والخالص من كل لون.

وقال ابن الأعرابي: هو اللَّجُوج الذي لا ينثني عن الأمر.

وقال أبو مالك[2]: هو الراجع من حال إلى حال.

وهذا خلاصة ما ذُكر في العتك، وما عداه من المعاني يرجع إليه.

---

(١) **ابن عباد**: إسماعيل بن عباد بن العباس، الصاحب ابن عباد، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي. وُلِد في الطالقان وتوفي بالري. له: «المحيط في اللغة»، و «الوزراء»، و «عنوان المعارف»، و «ذكر الخلائف»، وغيرها. توفي سنة ٣٨٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٢٧)، ومصادر ترجمته في «الأعلام»، للزركلي (١/ ٣١٢).

(٢) **أبو مالك**: هو عمرو بن كركرة، أعرابي كان يعلِّم في البادية ويورّق في الحاضرة، مولى بني سعد، راوية أبي البيداء، يقال: كان يحفظ اللغة كلها. قال الجاحظ: أحد الطيَّاب، يزعم أن الأغنياء عند الله عزَّ وجَلّ أكرم من الفقراء، ويقول: إن فرعون عند الله أكرم من موسى!!

* **قلت**: إن يكن هو، وإن يكن النقل عنه صحيح؛ فما هو بخليق للنقل عنه، وما ذُكر عنه كفر وتكذيب للقرآن!.

له من الكتب: كتاب «خلق الإنسان»، وكتاب «الخيل». انظر: «الفهرست» لابن النديم ٦٩، و «هدية العارفين» (٥/ ٨٠٢)، و «بغية الوعاة» (٢/ ٢٣٣)، ولم يذكروا له وفاة.

والعاتكة من النخيل: التي لا تقبل الإبار. عن اللَّحياني[1].

وقال غيره: هي الصّلود تحمل الشيص[2].

* * *

واختلف في اشتقاق العاتكة من النساء على أقوال:

قيل: سُمِّيت به؛ من قولهم: امرأة عاتكة، بها رِدْعُ طِيب.

قال السُّهَيْلي[3] في «الروض»: عاتكة: اسم منقول من الصفات، يقال: امرأة عاتكة، وهي المصفرَّة من الزعفران.

وفي «القاموس»: هي المحمرَّةُ من الطيبِ، أي: احْمَرَّ لونُها من كثرةِ استعمالِ الطيبِ.

---

(١) **اللحياني**: هو علي بن الحسين، وقيل: ابن المبارك الختلي، أبو الحسن البغدادي، المعروف باللحياني، من بني لحيان، غلام الكسائي. توفي في حدود ٢١٠هـ. له: كتاب «النوادر المشهورة»، ذكره في «كشف الظنون» (٥/ ٦٦٨). انظر مصادر ترجمته في: «الفهرست» (٧٦)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ٤٩٠).

(٢) «الصلود»: بمعنى الصلبة، و «الشيص»: البلح الذي لا يؤكل لجفافه ويبسه، ولا زالت تُستعمل في وقتنا الحاضر.

(٣) **السُهيلي**: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السُهيلي، حافظ عالم باللغة والسير. وُلِد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة. ومن لطيف شعره:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع

له: «الروض الأُنف في شرح سيرة ابن هشام»، و «التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء والأعلام»، وغيرها. وتُوُفِّي سنة ٥٨١هـ. انظر مصادر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٤/ ٨٦)، و «شذرات الذهب» (٦/ ٤٤٥).

ويؤيده قول ابن قتيبة[1]: هي من عتكت القوس إذا احمرَّت.

وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد، وهو: تغيير لونها من استعمال الطيب، سواء بصُفرة ـ كما قال السُّهيلي ـ ، أو بحُمرة ـ كما قاله ابن قتيبة ـ ، ولا تخالف فيها عند التأمُّل.

وقال ابن عباد في «المحيط»: هو من عتكت المرأة؛ إذا شرفت ورأست، أي: على قومها وعشيرتها؛ فتسمَّوا بهذا الاسم تفاؤلاً على عادتهم.

وقيل: سُمِّيَت لصفائها؛ من قولهم: نبيذ عاتك؛ إذا صفا: وهو قول ابن دريد.

وقال ابن سعد[2] في «الطبقات»[3]: العاتكة: الطاهرة، أي في

---

(١) **ابن قتيبة**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «أبو حميد»، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين. وُلِد في بغداد، وسكن الكوفة، ولي قضاء الدينور ونسب إليها. توفي في بغداد. له: «تأويل مختلف الحديث»، و «أدب الكاتب»، و «عيون الأخبار»، و «الشعر والشعراء»، و «المشتبه في الحديث والقرآن»، وغيرها. توفي سنة ٢٧٦هـ. انظر مصادر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٨٠)، و «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٦٥).

(٢) **ابن سعد**: محمد بن سعد الزهري، أبو عبد الله. مؤرِّخ فقيه، من حفَّاظ الحديث. وُلِد في البصرة وسكن بغداد، وتوفي فيها. صحب الواقدي زمانًا فكتب له وروى عنه. له: «طبقات الصحابة» المعروف بـ «طبقات ابن سعد». توفي سنة ٢٣٠هـ. انظر: «كشف الظنون» (٥/ ٤٤٠)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦).

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٦٠).

نسبها وحسبها. وكانت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها تُكْنَى في الجاهلية بالطَّاهرة؛ نظرًا لذلك.

وقيل: من عتكت على بعلها؛ إذا نشزت. وهذا قول ابن الأعرابي، وفيه بُعْد.

وأبعد من ذلك قول من قال: إنها من عتكت النخلة؛ إذا لم تقبل الإبار.

فهذا مجموع ما يتعلَّق بتحقيق اللَّفظ.

* * *

[المهمَّة][1]

وأمَّا المهمَّة ففيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
في بيان الحديث الذي ورد فيه هذا اللَّفظ

قال الحافظ جلال الدِّين السيوطي في «الجامع الصغير»: أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» عن سِيَابَة بن عاصم رضي الله عنه، رفعه إلى النبي ﷺ قال: **«أنا ابن العواتك من سُليم»**[2].

---

(١) ليست في الأصل، وأضفتها لتمام الإخراج والتقسيم. «المحقق».

(٢) قال الشيخ مشهور حسن سلمان: (أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٨٨ ــ ٨٩/ ق١ ــ «السيرة النبوية»، أو ٣/ ١٠٧ ــ ط دار الفكر) من طريق المصنف، به).
والنص بتمامه في: «غريب الحديث» (٢/ ٦٧ ــ ٦٨) لابن الجوزي، و «فيض القدير» (٣/ ٣٨) للمناوي، و «حياة الحيوان» (٢/ ١٠٩ ــ ١١٠) للدميري.
وأخرجه أيضًا كما في المتن: ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢/ ٦٠٥/ رقم ٢٥٥)، و «الآحاد والمثاني» (٣/ ٩٥/ رقم ١٤١٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٠١/ رقم ٦٧٢٤)، وأبو حاتم الرازي ــ كما في الإصابة (٣/ ٢٣٤) ــ ، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ٣٠٢/ رقم ٣٦٨)، =

. . . .

= والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٣٦)، وأبو نعيم في «الدلائل» أيضًا (١/ ق ٣١١/ أ)؛ من طرق عن هشيم، عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن سعيد بن العاص، عن سَيابة بن عاصم؛ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول يوم حنين... وذكره.

وصرَّح هشيم بالتحديث عند الطبراني وفي «الآحاد والمثاني».

وتصحَّف «سيابة» في مطبوع «الدلائل» للبيهقي إلى: «شبابة»؛ فليصحَّح. وعزاه الدَّميري في «حياة الحيوان الكبرى» (٢/ ١٠٩) لابن قانع في «معجمه»، وأبي طاهر السِّلفي، وقال: «سيانه»، وضبطها بقوله: «بسين مهملة ثم مثناة من تحت وبعد الألف نون ثم هاء»!! والصحيح أنه بباء موحدة لا بنون؛ كما في «الإكمال» (٥/ ١٤)، و «المشتبه» (٢/ ٣٨٧)، و «التبصير» (٢/ ٧٦٧)، و «التوضيح» (٥/ ٢٧١)، و «أسد الغابة» (٢/ ٤٩٥)، و «الإصابة» (٣/ ٢٣٣) وغيرها.

وقال البيهقي عقبه: «وقد قيل عن هشيم عن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص».

* **قلت**: نعم، رواه كذلك عن هشيم:

إسحاق بن إدريس ــ وهو ضعيف ــ ؛ كما في «الإصابة» (٣/ ٢٣٣ ــ ٢٣٤).

ولوين محمد بن سليمان.

أخرجه البغوي ــ كما في «الإصابة» (٣/ ٢٣٤) ــ ، والعسكري في «تصحيفات المحدِّثين» (٣/ ١٣٧٥).

واختلف فيه على لوين.

أخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١٣٧٥)، فقال: حدَّثنا هشيم عن عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص، عن رجل، عن سيابة، فقال في هذه الرواية: «عمرو بن يحيى بن سعيد»؛ فخالف الروايتين السابقتين!!

وذكر ابن عبد البر طريقًا أخرى أغرب فيها على هشيم، وتعقَّبه ابن حجر في

قال الشيخ: عبد الرؤوف المناوي في شرحه «الكبير»: سيابة ـ بمهملة مكسورة ومثناة تحتية ثم باء موحدة، بضبط المصنِّف بخطه، تبعًا لابن حجر ـ [ابن عاصم][1] ابن شيبان السلمي، له صحبة.

= «الإصابة» (٣/ ٢٣٣)، ورجح أبو حاتم في «العلل» (١/ ٣٢/ رقم ٩٦٣) رواية سعيد بن منصور، وقال عنها: «وهذا أشبه، وعلَّ هذا الحديث بدليل أنَّ سيابة ليس من أصحاب النبي ﷺ.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٩): «ورجاله رجال الصحيح».

وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (رقم ٢٨٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٣٦) عن قتيبة بن سعيد، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٨٨/ ق ١ ـ «السيرة النبوية») عن ليث بن حماد الصفار؛ ثلاثتهم عن أبي عوانة، عن قتادة رفعه.

قال قتيبة بن سعيد عقبه: «كان للنبي ﷺ ثلاث جدَّات من سُليم، اسمهن عاتكة، فكان إذا افتخر قال: أنا ابن العواتك».

قال البيهقي عقبه: «قلت: بلغني أنَّ إحداهن أم عبد مناف، والأخرى أم هاشم، والثالثة جدَّته من قبل زهرة».

وأخرجه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (١/ ٤٣/ رقم ١١) عن عقيل، عن ابن شهاب رفعه.

وأورد له شيخنا الألباني في «الصحيح» (رقم ١٥٦٩) شاهدًا عن جابر رفعه عند ابن عساكر، وقال: «وبالجملة؛ فالحديث بهذه الطرق حسن على أقل الدرجات»!!

والخبر في «أنساب الأشراف» (٢/ ١٩٥ ـ ط دار الفكر) للبلاذري.

انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري، تحقيق الشيخ مشهور حسن ٦/ ٦٩ ـ ٧١.

(١) ساقطة ونقلتها من الأصل ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٩.

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

وقال الذهبي كابن عساكر [في التاريخ][1]: اختلف على هشيم فيه، انتهى.

قلت: مقتضى سياق الذهبي في كتابه «المشتبه» أن سيابة بالفتح كسحابة. ولكن في «التبصير»[2] للحافظ ابن حجر: أنه بالكسر، كما نقله السيوطي، فهو إذًا خالف شيخه في الضبط، أو أن الذهبي لم يضبطه لشهرته.

وفي «التجريد» للحافظ الذهبي و«معجم الصحابة» للحافظ تقي الدِّين ابن فهد ما نصّهما: سيابة بن عاصم بن شيبان السُّلمي، له وفادة. روى حديثه عن عمرو بن سعيد، قوله: «أنا ابن العواتك»[3].

وأما هُشيم الذي قال فيه الذهبي وابن عساكر: أنه اختلف عليه في هذا الحديث، فهو: أبو معاوية هُشيم بن بشر بن القاسم دينار السُّلمي[4]. روى له الجماعة. وُلِد سنة خمس ومائة، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة. روى عن الزهري. وروى عنه من القدماء: الثوري، وشعبة، ومالك. وهو أثبت الناس في حديث منصور بن زاذان، ويونس وسيار وحصين.

---

(١) ساقطة ونقلتها من الأصل ــ فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٩.

(٢) التبصير لابن حجر ٢/ ٦٧.

(٣) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ٢٥٠.

(٤) **قلت**: هكذا جاء ضبطه في الأصل، ولكن في «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي؛ ما نصه: (هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي ــ أبو معاوية بن أبي حازم) (٧/ ٤١٨).

المطلب الثاني

في تأويل هذا الحديث وبيان نسب بني سُليم

قال المناوي: قال الحليمي[(١)]: لم يُرِدْ بذلك فخرًا، بل تعريف منازل المذكورات، كمن يقول: «كان أبـي فقيهًا»، لا يريد به إلاَّ تعريف حاله. قال: ويمكن أنه أراد به الإشارة بنعمة الله في نفسه وآبائه وأمهاته، انتهى.

قال بعضهم[(٢)]: وبنو سليم تفخر بهذه الولادة.

قلت[(٣)]: بنو سُليم، بالضَّم مصغَّر، قبيلة كبيرة من قبائل قيس بن عيلان من مضر[(٤)].

---

(١) **الحليمي**: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله، فقيه شافعي، كان رئيس أهل الحديث فيما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له: «المنهاج في شعب الإيمان». توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر مصادر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٥٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٣١).

(٢) صنيع المصنف يُشعر بأنه ساقه أو نقله من كتاب آخر، أو أنَّ ما بعد قوله: «انتهى» من كلامه، مع أنه متصل بما قبله من كلام المناوي نفسه، كما هو في شرح الجامع بدون قوله: (انتهى)، فتأمل.

(٣) أي: المؤلف الزبيدي.

(٤) قال ابن حزم: «وقد قال قوم: قيس بن عيلان بن مضر. والصحيح: قيس عيلان».

قال نصر بن سيار:

أنـا ابـن خنـدف ينمينـي قبـائلهـا   للصـالحـات وعمـي قيـس عيـلان=

وعيلان اختلف فيه كثيرًا، فقيل: لقب، واسمه: الناس. وكان الوزير المغربي[1] يشدِّد السين. وقيل: اسم غلام لأبيه، حضنه؛ فيجعل قيسًا مضافًا إلى عيلان لا ابنًا له، وهذا بعيد جدًّا. والصحيح: ما اتفق عليه النسَّابة من أن قيسًا ولد لعيلان، وهو ولد لمضر. وقيل: سُمِّي بفرس له قد سابق عليه، أو بكلب له.

والصحيح ما قدَّمناه، ويدل له قول زهير بن أبي سُلمى:

إذا ابتدرتَ قيس بن عيلان غاية

من المجد من يسبق إليها يسبق[2]

فالعقب من قيس هذا في ثلاثة: خصفة ـ بالخاء المعجمة محركة ـ ، وسعد، وعمرو.

والعقب من خصفة من بطنين: عكرمة، ومحارب.

والعقب من عكرمة بن خصفة في: منصور بن عكرمة ـ وهو البيت الأول من قيس، وفيه العدد ـ ، وسعد، وأبي مالك، وعامر.

= «قلائد الذهب في جمهرة أنساب العرب» (ص ٣٠) تحقيق الجبوري ـ المكتبة العلمية ببغداد.

(١) هو أبو القاسم الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر، المعروف بابن المغربي أو الوزير المغربي. توفِّي سنة ٤١٨هـ. له مؤلَّفات، منها: «رسالة القاضي والحاكم»، و «الإيناس في علم الأنساب». انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٤، معجم المؤلفين ١/ ٦٢٤.

(٢) لم أجده في ديوان زهير المطبوع.

والعقب من منصور في: هوازن، وسليم، وسلامان، ومازن.

ومن سُليم في: بُهتة بن سليم، ومنه تفرَّعت القبائل على ما هو مشروح في كتب الأنساب.

ولبني سُليم مفاخر، منها: أنها ألَّفت[1] يوم فتح مكة، أي: شهده منهم ألف، وأنَّ النبي ﷺ قدَّم لواءهم يومئذ على الألوية، وكان أحمرَ.

ومنها: أنَّ عمرًا رضي الله عنه[2] كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام: أنِ ابعثوا إليَّ من كل بلد بأفضله رجلاً، فبعث أهل البصرة بمجاشع بن مسعود السُّلمي، وأهل الكوفة بعتبة بن فرقد السُّلمي، وأهل مصر بمعن بن يزيد بن الأخنس السُّلمي، وأهل الشام بأبي الأعور السُّلمي.

---

(١) قال الدميري: روى عبد الباقي بن قانع في معجمه، والحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلفي ــ وبعد أن ساق الحديث المذكور ومآثر بني سُليم ــ، قال: كذا قاله جماعة، والصواب: أن بني سُليم كانوا يوم الفتح تسعمائة، فقال لهم النبي ﷺ: «هل لكم في رجل يعدل مائة فيوفيكم ألفًا»، قالوا: نعم. فوفاهم بالضحاك بن سفيان، وكان رئيسهم، وإنما جعله عليهم لأن جميعهم من قيس عيلان.

* حياة الحيوان (٢/ ١٠).

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣/ ١٠٧).

المطلب الثالث

في تفصيل أسمائهن

قال الجوهري[1] في «الصَّحاح»، والصاغاني[2] في «العُباب»: العواتك في جدَّات النبي ﷺ تسع، وإياهم تبع صاحب «القاموس»، واقتصروا على ذلك.

---

(١) **الجوهري**: صاحب الصَّحاح، إسماعيل بن حماد، أبو النصر. أول من حاول الطيران ومات في سبيله. لغوي من الأئمة. من أشهر كتبه: «الصَّحاح» في مجلدين، وله في العروض والنحو. ومات في نيسابور، وذلك أنه صنع جناحين من خشب، وربطهما بحبل، وصعد سطح داره ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أُسبق إليه، وسأطير الساعة. فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه فسقط إلى الأرض قتيلاً. توفي سنة **٣٩٣**هـ. انظر: «بغية الوعاة» (١/ ٤٤٦)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٠٩).

(٢) **الصاغاني**: الحسن بن محمد بن الحسن العدوي العمري الصاغاني، نسبة إلى صاغان قرية بمرو. أعلم أهل عصره في اللغة، كان فقيهًا ومحدِّثًا. وُلِد في لاهور في الهند، وتوفي في بغداد. له تصانيف كثيرة، منها: «مجمع البحرين»، و «التكملة» في ستة مجلدات جعلها تكملة لـ «صَحاح» الجوهري، و «العباب» معجم في اللغة، وغيرها. انظر: «بغية الوعاة» (١/ ٥١٩)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٣٣).

وقال ابن الأثير[١]، وابن بري[٢] في «حاشية الصَّحاح»: هن اثنتا عشرة نسوة.

وقال العتبـي[٣]: قال أبو اليقظان[٤]: العواتك ثلاث نسوة من بني سُليم، تُسَمَّى كل واحدة منهن عاتكة.

إحداهن: عاتكة بنت هلال بن فالج ـ بالجيم ـ بن ذكوان بن

---

(١) **ابن الأثير**: هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبـو الحسـن. مـؤرِّخ مـن علمـاء النسـب، كـان منزلـه مجمـع الفضـلاء. لـه: «الكامل»، و «أسد الغابة في معرفة الصحابة» و «اللباب مختصر أنساب السمعـانـي». تـوفـي سنـة ٦٣٠هـ. انظـر: «سيـر أعـلام النبـلاء» (٢٢/ ٣٥٣)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٥/ ١٥٣).

(٢) **ابـن بـرِّي**: عبـد الله بـن بـرِّي بـن عبـد الجبـار، المقـدسـي الأصـل، المصـري أبو محمد، من علماء العرب النابهين. وُلِد ونشأ وتوفي بمصر. له: «شرح شواهد الإيضاح حواش على صَحاح الجوهري». توفي سنة ٥٨٢هـ. انظر: «بغية الوعاة» (٢/ ٣٤)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٠٠).

(٣) **العتبـي**: هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمن الأموي من بني عتبة بن أبـي سفيان، أديب كثير الأخبار من أهل البصرة ووفاته بها. له: «الأخلاق»، و «أشعار الأعاريب»، و «الخيل». توفي في حدود ٢٢٨هـ. انظر ترجمته في: «الفهرست» لابن الندي، و «وفيات الأعيان» ١/ ٥٢٢، و «الأعلام» للزركلي ٧/ ١٣٩.

(٤) **أبو اليقظان**: هو عامر بن حفص. عالم بالأنساب، يلقب بسحيم. له مصنفات، منهـا: «أخبـار تميـم»، وكتـاب «النسـب الكبيـر». تـوفـي سنـة ١٩٠هـ. انظـر: «الفهرست» لابن النديم (١٥١) ولم يذكر له وفاة، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٧).

ثعلبة بن بهتة بن سليم، وهي أم جدّ هاشم. كذا وقع في «الصَّحاح»، و «العباب» و «القاموس»، أي: أم عبد مناف بن قصي، وهكذا نقله العتبي عن أبي اليقظان.

وقال شيخنا المرحوم أبو عبد الله محمد بن الطَّيِّب الفاسي[1] في «حاشيته على القاموس» عند قوله: «أم جد هاشم»، ما نصُّه: الصواب أم والد هاشم، أو أم عبد مناف، انتهى. وهو ظاهر.

ثم إنَّ هذا القول الذي أجمعوا عليه خالفهم فيه شيخ النسب الزبير بن بكار[2] في كتاب «أنساب قريش»، حيث قال: «فَوَلَدُ قُصي عبدَ مناف وعبدَ العزى وعبدَ الدار وعبدَ وبرّه وتَخْمُر (كتنصُر). وأمهم: حُبَّى (تأنيث الأحب) ابنة حُليل (كزبير) بن حُبشية ــ بالضمِّ ــ بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة.

---

(١) **محمد الطيب الفاسي**: محمد بن الطيب محمد بن محمد بن محمد الشرقي الفاسي المالكي، نزيل المدينة، أبو عبد الله. محدِّث، علاَّمة باللغة. وُلِد بفاس وتوفي بالمدينة، شيخ المؤلف. له: «المسلسلات في الحديث»، و «إضاءة الراموس حاشية على قاموس الفيروزآبادي»، و «شرح كافية ابن مالك»، وغيرها. توفي سنة ١١٧٠هـ. انظر: «كشف الظنون» (٦/ ٣٣١)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٧/ ٤٧).

(٢) **الزبير بن بكَّار**: أبو عبد الله القرشي الأسدي المكي من أحفاد الزبير بن العوام أبو عبد الله، عالم بالأنساب وأخبار العرب. وُلِد بالمدينة وتوفي بمكة. له تصانيف، منها: «أخبار العرب وأيامها»، و «نسب قريش وأخبارها»، و «الموفقيات»، و «أخبار ابن ميادة»، وغيرها. توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٣١١)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٣/ ٧٤).

وتبعه ابن الجواني[1] النَّسابة في «المقدمة الفاضلية»، مقتصرًا عليه، وكذا ابن عَنَبَةَ[2] نسَّابة العراق في «عمدة الطالب».

---

(١) **الجوّاني**: شرف الدين أبو علي محمد أسعد بن علي، علوي، أصله من الموصل، مالكي، عالم بالأنساب. وُلِد وتوفي بمصر، وَلِيَ نقابة الأَشراف فيها. له: «طبقات الطالبيين»، و «تاج الأنساب». وله في دار الكتب المصرية: «تحفة ظريفة ومقدمة لطيفة وهدية منيفة في أصول الأحساب وفصول الأنساب» من تأليفه. قال الزركلي: لعله «تاج الأنساب». توفي سنة ٥٨٨هـ. انظر: «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٠٢)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٥٦)، ومعجم المؤلفين (٣/ ١٢٨).

(٢) **ابن عَنَبَةَ**: هو جمال الدين أحمد بن علي بن حسين بن علي بن مهنا الحسيني، المعروف بابن عنبة، ويقال: الداودي والطالبي، نسابة عراقي شيعي، مؤرِّخ. توفي في ٨٢٨ أو ٨٢٧هـ بكرمان. قال سركيس في «معجم المطبوعات العربية» (١/ ١٩٣): «ابن عنبسة الحسيني». وهو غلط، مع أنه ذكر أن جرجي زيدان ذكر اسمه ابن عنبة الداودي.

وفي «كشف الظنون» (٢/ ١١٦٧): «ابن عقبة»، وفي «هدية العارفين» (٥/ ١٢٣): «ابن عنبسة». قال الشيخ بكر أبو زيد في «طبقات النسابين» ترجمة ٣٦٤ (حاشية): ذكره في الأول ـ يعني «الكشف» ـ «ابن عقبة»، وفي الثاني ـ يعني «هدية العارفين» ـ «ابن عتبة»، ثم قال: كلاهما غلط.

* **قلت**: والذي في «هدية العارفين»: «ابن عنبسة» وليس «عتبة». وذكره أيضًا إدوارد فنديك في «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» صفحة ١٠٠ باسم أحمد بن علي بن عتبة الأصفر الداودي.

له: «عمدة الطالب في أنساب أبي طالب» مطبوع في الهند ـ لكنهو، وفي النجف ـ دار الأندلس، وفي بيروت ـ دار الحياة، وفي الأخيرة كتب اسمه على الغلافين «ابن عتبة» وترجم له المحققون ترجمة طويلة، وله: «عمدة الطالب =

قال الزبير: وحدثني إبراهيم بن المنذر، عن الواقدي، عن موسى بن يعقوب الزّمعي، عن أبيه، عن جدِّه قال: سمعتُ أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول: لمَّا نكح قُصيّ حُبَّى ابنة حُليل الخزاعي؛ ولدت: عبد الدار بن قصي، وعبد مناف، وعبد العزى. فهذا السياق دالّ على أنَّ أم عبد مناف خزاعية لا سُلمية، فتأمل ذلك[1].

الثانية: عاتكة ابنة مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سُليم. وهي أم هاشم بن عبد مناف، وهو ثالث[2] جَدّ لسيِّدنا رسول الله ﷺ.

والثالثة: عاتكة ابنة الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سليم. وهي أم وهب بن عبد مناف بن زهرة والد آمنة أم النبي ﷺ ورضي الله عنها.

هكذا أوردوه. وفي الأخيرة خلاف؛ فقد نقل ابن الجواني في «المقدمة الفاضلية» أنَّ أم وهب بن عبد مناف والد آمنة أم النبي ﷺ:

= الصغرى»، وله أيضًا: «بحر الأنساب»، وله أيضًا: «التحفة الجمالية في الأنساب» بالفارسية. انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١/ ٢٠١)، «أعيان الشيعة» محسن أمين (٩/ ٩٧).

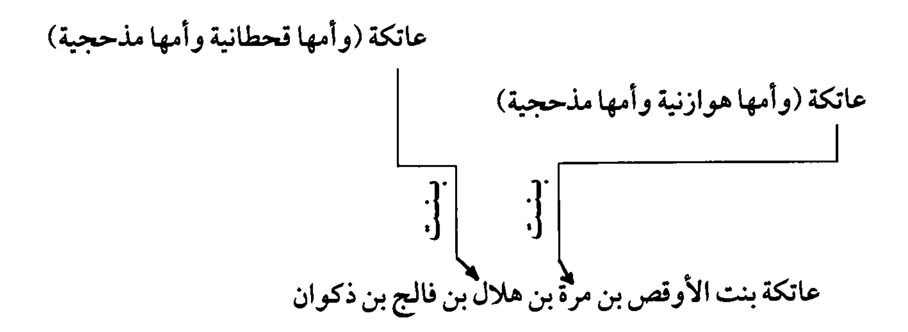
* **قلت**: وفي «تاج العروس» (١٣/ ٦٠) ابن عقبة النسابة، وهو خطأ.

(١) **قلت**: الذي في جميع كتب الأنساب، ولا خلاف عليه، أنَّ أم عبد مناف (واسمه: المغيرة) هي حُبَّى ابنة حُليل الخزاعي.

(٢) هامش في الأصل: **قلت**: صوابه ثالث أب كما قاله محققه شيخنا الحجَّة محمد محمود التركزي حفظه الله.

قيلة[١] بنت جزء بن غالب بن عامر بن الحارث بن غسان الخزاعي، فتأمل ذلك.

قالوا: الأولى من العواتك عمَّة الوسطى، والوسطى عمَّة الأخرى، وهذه صورة ذلك:



والجدَّات البواقي من غير بني سُليم.

فعلى قول الجوهري والصَّاغاني: ست، وعلى قول ابن برّي: تسع، وهن: اثنتان من قريش، واثنتان من عدوان، وكنانية، وأسدية، وهذلية، وقضاعية، وأزدية، انتهى.

قلت: أمّا العدوانية الأولى، فهي: عاتكة ابنة عبد الله بن وائل بن ظرب بن عمرو بن عائذ بن يشكر بن الحارث ــ وهو: عدوان (كسحبان) لأنه عدا على أخيه، فقتله ــ . وهي الجدَّة الخامسة لعبد الله والد النبي ﷺ.

---

(١) **قلت**: لا خلاف بَين كتب الأنساب في أن أم وهب ــ والد آمنة أم الرسول ﷺ ــ اسمها: قيلة وليست عاتكة. انظر: «بحث مختصر في الشجرة النبوية» لمحمد نبيل القوتلي ص ٢٢٩.

والثانية: عاتكة بنت الحارث ـــ وهو عدوان ـــ أخت يشكر، وهي عمَّة الجد الخامس لعاتكة السابعة، وهي أم مالك بن النضر بن كنانة الجدّ الثاني عشر لسيِّدنا رسول الله ﷺ.

فهاتان عدوانيتان، وعدوان من قبائل قيس، فإذا قلنا: اثنتان قيسيتان؛ لا يضر.

وأمَّا الكنانية فهي عاتكة ابنة يخلد بن النضر بن كنانة، أم لؤي ابن غالب الجدّ التاسع لسيِّدنا رسول الله ﷺ.

وأمَّا القُرشية: فيحتمل أنها عاتكة ابنة أبي همهمة، واسمه: حبيب بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر: الجدَّة الخامسة لفاطمة ابنة أسد، أم علي رضي الله عنهما، فإن النبي ﷺ كان يقول: هي أمي بعد أمي[1]، فتأمَّل!

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم عليّ بن أبي طالب دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي وتشبعيني وتعريني وتكسيني وتمنعين نفسك طيِّبًا وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقِّنها حجَّتها، ووسِّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي =

وأم أبـي همهمة: قلابة بنت عبد مناف (تكميل).

روى ابن عساكر في التاريخ قول النبـي ﷺ يوم حنين: «أنا ابن الفواطم»[1].

قال صاحب «القاموس»: والفواطم اللاتي ولدن النبـي ﷺ: قرشية، وقيسيتان، ويمانيتان، وأزدية، وخزاعية. ــ هكذا هو نصّه ــ فهن سبع. ونصّ الصاغاني في «التكملة على الصحاح»: قُرشية، وقيسيتان، ويمانيتان ــ أزدية وخزاعية ــ فالأخيرتان بدل من قوله: و «يمانيتان»، والأزد وخزاعة كلاهما من اليمن، فعلى هذا هن خمس لا سبع، والواو العاطفة في سياق «القاموس» إما سهو أو زيادة من النسَّاخ.

= فإنك أرحم الراحمين، وكبَّر عليها أربعًا وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصدِّيق رضي الله عنهم.

قال محققه حمدي السلفي: ورواه المصنف في الأوسط (٣٥٦ ــ ٣٥٧ مجمع البحرين) وقال: لم يروه عن عاصم إلاَّ سفيان، تفرَّد به روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه أبو نعيم من طريق المصنف في الحلية (٣/ ١٢١).

واعترض شيخنا في «السلسلة الضعيفة» (رقم ٢٣) على قول الحافظ الهيثمي في المجمع: وبقية رجاله رجال الصحيح، بأنَّ أحمد بن حماد وإن كان ثقة في نفسه، فإنه لم يرو له أصحاب الصحيح وإنما روى له النسائي فقط... إلخ، ثم قال ــ أي الشيخ الألباني ــ: فالحديث ضعيف.

انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (٢٤/ ٣٥١ ــ ٣٥٢).

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ١٠٨) طبعة دار الفكر، بسنده المذكور عن بعض الطالبيين، ثم ذكره وهو بلاغ ولم يدرك هذا الطالبـي النبـي ﷺ فهو لم يصح.

فأمَّا القرشيَّة فهي جدَّته أم أبيه وعمِّه أبـي طالب: فاطمة ابنة عائذ بن عمران بن مخزوم.

وفي «الروض» للسُّهيلي، هي: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

وأمَّا الأزدية: فهي فاطمة بنت سعد بن شيَل بالتحتية محركة، من بني عثمان بن عامر الجادر[1]، من أزد شنوءة.

ولم أعرف الثلاث البواقي.

وفي حديث آخر: «أن النبـي ﷺ أعطى عليًّا حُلَّة سِيَراء، وقال: شققها خُمُرًا بين الفواطم»[2].

قال العتبـي: إحداهن سيدة النساء فاطمة الزهراء، والثانية: فاطمة بنت أسد أم علي وإخوته رضي الله عنهما. قال: ولا أعرف الثالثة.

وقال ابن الأثير: هي فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.

وقال الصاغاني: هي فاطمة أم أسماء بنت حمزة.

---

(١) قلت: سُمِّي الجادر لأنه أول من صنع جدارًا للبيت الحرام ليقيه السيول. هكذا ذكروه في كتب الأنساب.

(٢) حديث عليّ بن أبـي طالب قال: إن أكيدر دومة أهدى إلى النبـي ﷺ ثوب حرير فأعطاه عليًّا، فقال: «شققه خُمرًا بين الفواطم».
وورد بروايات أخرى، ذكرها مسلم في صحيحه في كتاب اللباس.
قال القاضي عياض في «نقل إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٦/ ٥٧٨):
* **قلت**: والحلة السِيَراء هي: الموشاة بالذهب والحرير. ذكره ابن منظور في «اللسان» (٢/ ٢٥٣).

وفي قول الأزهري(١): هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس خالة معاوية، قال: وأُراه أراد فاطمة بنت حمزة؛ لأنها من أهل البيت.

قلت: وهند بنت عتبة كانت زوجًا لعقيل بن أبـي طالب.

وفي «الروض» للسهيلي: ورواه عبد الغني بن سعيد بَينَ الفواطم الأربع. وذكر فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدَّمتا، وقال: لا أدري من الرابعة، قاله في كتاب: «الغوامض والمبهمات».

وفي «المبهمات» لابن بشكوال(٢)، يقال: الرابعة هي فاطمة ابنة

---

(١) **محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ــ أبو منصور**، أحد الأئمة في اللغة والأدب. وُلِد وتوفي بخراسان، ونسبته إلى جده الأزهر. له: «تهذيب اللغة»، و «غريب الألفاظ»، و «تفسير القرآن»، وغيرها. توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر: «بغية الوعاة» (١/ ١٩)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٠٢).

(٢) واسم كتابه: «الغوامض والمبهمات»، وهو مطبوع.
وابن بشكوال هو: خلف بن عبد الملك بن سعود بن بشكوال الخزرجي، أبو القاسم أندلسي، مؤرِّخ وبحَّاثة، من أهل قرطبة ولادةً ووفاةً. له: «الصلة في تاريخ رجال الأندلس»، و «الغوامض والمبهمات» في مجلدين، و «رواة الموطأ»، و «الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة» في عشرين جزءًا، وغيرها. توفي سنة ٥٧٨هـ. انظر: «كشف الظنون» (٥/ ٣٤٩)، ومصادر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٢/ ٣٥٩).

* **قلت**: جاء في هامش الصفحة ما نصّه: قلت: قول السيِّد محمد مرتضى هذا: «وهند بنت عتبة كانت زوجًا لعقيل بن أبـي طالب» تحريف واضح، وإفك مبين فاضح. والصواب وهو الحق اليقين المجمع عليه: أن زوج عقيل أختها فاطمة بنت عتبة لا هند، وإنما هند زوجة أبـي سفيان أم معاوية، لم يتزوجها أحد بعده ولا قبله إلاَّ الفاكه بن المغيرة، وقصتهما مع الكاهن معلومة عند أهل =

الأصم أم خديجة. قال: ولا أُراها أدركت هذا الزمان.

تنبيه: قال ابن بري: وقيل للحسن والحسين: ابنا الفواطم؛ فاطمة أمهما، وفاطمة بنت أسد جدَّتهما، وفاطمة بنت عمرو المخزوميَّة جدَّة النبي ﷺ لأبيه.

قلت: والجدَّة الثالثة لفاطمة بنت أسد هي: فاطمة بنت هرم بن رواحة العامرية. والجدَّة الخامسة لهما أيضًا: فاطمة بنت عُبيد بن منقذ العامرية. وأم جدَّتهما خديجة: فاطمة ابنة الأصم.

* * *

= العلم. وكتبه محققه شيخنا وأستاذنا العلامة الثقة محمد محمود التركزي، لطف الله تعالى به، آمين.

خاتمة

في بيان العواتك من الصحابيات

فمنهن: عاتكة بنت أُسيد بن أبـي العَيص الأموية، أخت عتاب، أسلمت يوم الفتح.

وعاتكة بنت خالد الخزاعية، صاحبة الخيمتين[1].

(١) وقصَّة أم معبد كما ذكرها ابن هشام وأصحاب السِّير أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على خيمتها هو وأبو بكر ومولى أبـي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما، وكانت أمُّ مَعبد بَرَزة جَلِدَةَ تختبـيء بفناء القباء، تُسقي وتُطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا يشترونه منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا، وكان القوم مزمِلِين مُسنِتين، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة بكسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خَلَّفها الجُهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك؟ قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: بأبـي أنت وأمي! إن رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، فسمَّى الله تعالى، ودعا لها في شأنها، فتفاجت عليه، ودرَّت واجترَّت. ودعا بإناء يُربِضُ الرهط، فحلب فيه ثجًّا، حتى علاه لبنها، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى روَوا، وشرب آخرهم، ثم أراضوا. ثم صبَّ به ثانية بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها. ثم بايعها على الإسلام، ثم ارتحلوا عنها، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو مَعْبَد =

وعاتكة[1] بنت زيد بن عمرو بن نفيل، أخت سعيد.

وعاتكة بنت عبد المطلب، عمَّة رسول الله ﷺ، صاحبة الرؤيا المشهورة[2]. ذكرها الزبير في كتاب «أنساب قريش».

= يسوق أَعنزًا عجافًا، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد؟ والشاة عازب حِيال، ولا حَلوبَ في البيت؟ قالت: لا والله، إلاَّ أنه مرَّ بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا؛ قال: صفيه يا أم معبد، فوصفته له بكلام طويل كله حق؛ قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، الذي ذُكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً. سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٧.

(١) وهي زوجة أربعة من الشهداء، هم: عبد الله بن أبـي بكر، وزيد بن الخطاب، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، والزبير بن العوام رضي الله عنهم جميعًا.

(٢) ذكر ابن هشام وغيره من أصحاب السِّير أنَّ عاتكة بنت عبد المطلب رأت قبل قدوم ضَمْضَمْ مكةَ بثلاث ليالٍ، رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوَّفت أن يَدْخُل على قومك منها شرٌّ ومصيبةٌ، فاكتم عنِّي ما أحدِّثك به، فقال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيت راكبًا أقبل على بعيرٍ له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته، ألا انفروا يا لغُدْر لمصارعِكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغُدَرْ لمصارعكم في ثلاث. ثم مَثَلَ به بعيره على رأس أبـي قُبيس، فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارْفَضَّتْ، فما بقي من بيوت مكة، ولا دار إلاَّ دخلتها منها فَلَقَة؛ قال العباس: والله إنَّ هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد. «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٨).

* **قلت**: والغريب قول الحافظ الذهبـي في «السير» في ترجمة صفية رضي الله =

وعاتكة بنت عوف، أخت عبد الرحمن.

وعاتكة بنت الوليد، أخت خالد بن الوليد.

وعاتكة بنت نعيم بن عبد الله العدوية، روت عنها زينب بنت أبـي سلمة في العدَّة[1].

وعلى هذا القدر[2] وقع الاقتصار، واسترسل القلم عن الإكثار في المضمار، تسهيلاً للطالب الراغب، وتوصيلاً للفوائد والغرائب.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبشكره تزداد البركات، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم ومجَّد وكرَّم وعظَّم.

= عنها: (والصحيح أنه ما أسلم من عمَّات النبـي ﷺ سواها)، مع أنه ذكر في ترجمتها وترجمة أروى أنهما أسلمتا؟ انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٩) وقد أثبتها في الصحابة ابن حجر في الإصابة وابن منده والعقيلي وابن سعد.

(١) وقد أورد ابن حجر الحديث في «الإصابة» في ترجمة عاتكة بنت نعيم.
قال: «جاءت ــ يعني عاتكة ــ رسول الله ﷺ، فقالت أنَّ ابنتها تُوُفِّي عنها زوجها فحدَّت عليه، فرمدت رمدًا شديدًا، وخشيت على بصرها، أفتكتحل؟ قال: لا، إنما هي أربعة أشهر وعشرًا، فقد كانت المرأة منكن تحدّ سنة ثم تخرج فترمي بالبعرة على رأس الحول»، ثم قال: أخرجه الطبراني، «الإصابة» (٤/ ٣٥٨).
* **قلت**: والحديث أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٤٧)، وهو في «الصحيحين» و «السنن» في كتاب الطلاق من رواية أم سلمة دون ذكر عاتكة.

(٢) **قلت**: زاد ابن حجر في «الصحابيات» من اسمهن عاتكة في القسم الأول منه (٤/ ٣٥٦ ــ ٣٥٨):
(أ) عاتكة بنت أبـي أزيهر.
(ب) عاتكة بنت أبـي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.
(ج) عاتكة بنت أبـي الصلت الثقفية. والله أعلم.

وقال مؤلِّفه: فرغ من تحرير هذه الأسطر مُهذبها العبد الفقير محمد مرتضى الحسيني في مجلسين، آخرهما في يوم الأحد لأربع مضين من ربيع الثاني سنة ١١٩٤هـ.

يقول ناسخها الفقير محمد أبو النصر هاشم الجعفري النابلسي: قد وقع الفراغ من نسخها في ١٦ جُمادى الثانية سنة ١٣٢١هـ بمصر القاهرة، برسم شيخنا ومولانا الحجَّة الثِّقة العلاَّمة الشَّيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي[1]، حفظه الله[2].



---

(١) **محمد محمود التركزي الشنقيطي**: علاَّمة عصره في اللُّغة والأدب، شاعر أمويّ النسب. وُلِد بشنقيط وتوفي بالقاهرة. له: «الحماسة السنية في الرحلة العلمية»، و «عذب المنهل» أرجوزة، و «تصحيح الأغاني». توفي سنة ١٣٢٢هـ. انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٧/ ٣١١).

(٢) قابلتُ منسوختي لمخطوطة هذا الكتاب النفيس مع مصوَّرة الأصل المخطوط والمهداة لي من الشيخ نظام يعقوبي حفظه الله، وذلك في يوم الجمعة وهو يوم عرفة من عام ١٤١٩هـ، بمسجد نمرة بعد انتهاء الإمام من خطبة يوم عرفة، والأصل المخطوط المصوَّر بيد الشيخ نظام يعقوبي حفظه الله ونفع به، وأنا أقرأ في منسوختي عليه مع تصحيحها من السَّقط والأخطاء.
كما تمَّت مقابلته ثانيًا في الحرم الشريف، في الصَّحن قبالة الكعبة المشرَّفة، وذلك يوم السابع والعشرين من رمضان عام ١٤٢٠هـ، مع أخي الشَّيخ رمزي دمشقيَّة وفَّقه الله.
والحمد لله ربِّ العالمين.

الفهـــرس

❑ ❑ ❑

لِقاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١٧ - ١٨)

إِخْلاصُ الوِدادِ

فِي

صِدْقِ المِيْعادِ

وَيَلِيهِ

مَا يَفْعَلُهُ الأَطِبَّاءُ وَالدَّاعُونَ

بِدَفْعِ شَرِّ الطَّاعُونِ

لِلْعَلَّامَةِ مَرْعِي بن يُوسُف الكَرْمِي المَقْدِسِي الحَنْبَلِيّ
توفي سنة ١٠٣٣ هـ رحمه الله تعالى

تَقْدِيم وتَعْلِيق
خالد بن العربي مُدْرِك

سَاهَمَ بِطَبْعِهِ بَعضُ أَهْلِ الخَيْرِ مِنَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّةِ

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/ ٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدّمة

الحمد لله ولي الصالحين، وخالق الخلق أجمعين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطاهرين، وصحابته الطيِّبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد تَشَرَّفْتُ بدعوة الأخ الوَدُود المُتَوَدِّد، بحَّاثة الكويت الشيخ محمد بن ناصر العجمي إلى المشاركة بقراءة بعض الرسائل المخطوطة بفِنَاءِ صَحْنِ المسجد الحرام المبارك؛ حيث اقترح بعض الأفاضل وفي مُقَدمتهم الشيخ الكريم، والباحث المتفنِّن، مُتَعَدِّد المواهب نظام محمد صالح يعقوبي البحريني، والأستاذ المجتهد المتقن الشيخ رمزي دمشقية، صاحب دار البشائر الإسلامية، منذ فترة، قراءة بعض المخطوطات اللطيفة الحجم والمحتوى في العشر الأواخر من رمضان بالمسجد الحرام، فاجتمع لهم بذلك شَرَفُ الزَّمَان، والمَكَان، والقَدْر.

وقد أَلْفَيْتُهَا طَرِيقَةً حَسَنَة، وَإِحْيَاءً لِعَادَةٍ لِلعُلَمَاءِ مَنْسِيَّة؛ إذ حرص عليها عُلَمَاء من المغرب والمشرق قديمًا، فيستحضرون الكتب والأجزاء

لقـراءتهـا داخـل المسجـد الحـرام لبـركـة المكـان؛ وذلـك إمـا علـى وجـه المذاكرة مع الأقران، أو الاستجازة من الشيوخ والمسندين.

فهـذا الحـافـظ ابـن خَيْـر الإشبيلـي (٥٧٥هـ) يـذكـر أنـه قـرأ كتـاب «التَّلْخِيص فِي القِرَاءَات الثَّمَان عَن القُرَّاء الثَّمَانِيَة المَشْهُورِين» لأبـي معشر الطبري على الشيخ أبـي جعفر أحمد بن شعبان الكلبـي المكي بقراءته على شيخه بالحرم المكي الشريف[١].

والحافظ المسند التُّجيبـي، قرأ كتاب صحيح الإمام البخاري على الشيخيـن فخـر الـدِّيـن أبـي عمـرو التَّـوْزَري المـالكـي، وظهيـر الـدِّيـن أبـي الفداء المصري الشافعي داخل الحرم الشريف تجاه الكعبة المعظَّمة، وسمع جزءًا فيه حديث الرحمة المسلسل بشرطه على شمس الدِّين أبـي عبد الله الجَيَّاني الأندلسي بالحرم الشريف تجاه الكعبة المشرَّفة بإزاء باب العمرة، وغيرها من الكتب والأجزاء التي تحصَّلت له بقراءته وسماعه من الشيوخ داخل الحرم المكي الشريف[٢].

ومن علماء المشرق الحافظ المحدِّث المتقن شمس الدِّين السخاوي (٩٠٢هـ)، الذي تحصل له من ذلك الكثير والكثير[٣].

وقد اخترت رسالتين لطيفتين للفقيه المتقن مَرْعِي الكَرمِي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، هما: **«إِخْلَاصُ الوِدَادِ فِي صِدْقِ المِيعَاد»**، ورسالة: **«مَا يَفْعَلُه الأَطِبَّاءُ وَالدَّاعُونَ بِدَفْعِ شَرِّ الطَّاعُون»**.

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٠.

(٢) برنامج التجيبـي ص ٦٨، ١٧١، ٢٣٩.

(٣) راجع لذلك كتابه الحافل في الترجمة لنفسه: «إِرْشَادُ الْغَاوِي بَل إِسْعَادُ الطَّالِبِ وَالرَّاوِي بِتَرْجَمَةِ السَّخَاوِي» (مخطوط ل/ ٢٧ أ وغيرها).

رسـالـة
«إِخْلَاصُ الوِدَادِ فِي صِدْقِ المِيعَاد»

صِدْقُ الوَعْدِ مِنَ الخِصَالِ الكريمة الفاضلة، التي اتَّصَفَ بها العرب في جاهليتهم قبل البعثة المحمدية، فمدحوا من يَصْدُقُ في وَعْدِه ويُوفي به، وذَمُّوا مَنْ يُخْلِفُه ولا يَحرِصُ عليه، يُصَدِّقُهم في ذلك قول عامر بن الطفيل:

وَإِنِّـــي وَإِنْ أَوْعَــدْتُــهُ أَوْ وَعَــدْتُــه لأخْلِـفُ إِيْعَـادِي وَأُنْجِـزُ مَـوْعِـدِي

ومع مجيء الإسلام أكَّدت النصوص الشرعية على الوفاء بالوعد وإنجازه، وجعله من كرائم الأخلاق التي يتَّصف بها المؤمنون، وفي مقابل ذلك ــ والعياذ بالله ــ الكذب في الوعد، وهو من الرَّذَائِل الخُلُقِية التي يَتَرَفَّع عنها المؤمن من عباد الله.

وقد اهتمَّ الفقهاء بالكلام على حُكْمِ الوَفَاء بالوعد لما يترتب عليه من أحكام فقهية وقضائية؛ فَتَنَاوَلُوها ضمن كتاب «الأَيمان والنذور»، ولم يُغفِل الحديث عنها علماء العقائد من أهل السنَّة عند التفصيل في قضية إنفاذ وعد الله ووعيده، والرد على مذهب المعتزلة في ذلك.

ومن العلماء الذين سَبَقُوا الشيخ مَرْعِي الكَرْمِي إلى التصنيف في

الوفاء بالوعد: الحافظُ المُتقِن شَمسُ الدِّين السخاوي (٩٠٢هـ) في كتابه المَوْسُوم: «الْتِمَاسُ السَّعْدِ في الوَفَاءِ بِالْوَعْدِ»[1]، وهو من الكتب التي صنَّفها لأجل السلطان الأشرف قَايِتْبَاي[2]، وقد أجاد السخاوي فيه وأفاد في عرض الأحاديث والآثار الواردة في الأمر بالوفاء بالوعد، والكلام على درجتها، ثم تطرَّق إلى بعض الفوائد والأحكام.

أما رسالة الشيخ الفقيه مرعي الكرمي «إخلَاصُ الوِدَاد» فقد جمع فيها فَوَائِد، وَاصْطَادَ لها فَرَائِد، وبناها على ضوء قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤].

وساق فيها كلام جماعة من المفسِّرين عل الآية الكريمة في كون الوفاء بالوعد من خُلُق الأنبياء، ومن صفات المؤمنين الأصفياء، وانتقل إلى وفاء إسماعيل عليه السلام بوعده، وصبره على الذبح، كما ساق بعض الأحاديث والآثار في صدق الوعد، والوفاء بالعهد، ثم ختمها بالكلام على حكم الوعد الفقهي، وهل يلزم من حيث الحكم القضائي؛ بحيث يلزم القاضي من أخلف وعده بأدائه والالتزام به؟

تناول كل ذلك نَاهِجًا فيه منهج الاختصار والإيجاز، البعيد عن الإخلال والانحياز.

* * *

---

(١) مطبوع بتحقيق د. عبد الله الخميس، عن مكتبة العبيكان.

(٢) أَلَّفَ الحافظ السخاوي مجموعة من الكتب والمصنفات بطلب من السلطان قايتباي حاكم مصر (٨٧٣ ــ ٩٠١هـ) وأهداها له، ويعتبر بعضها من أجود ما صُنِّف في بابه، وقد تكلَّمت عنها في دراسة أنجزتها عن تراث الحافظ السخاوي.

رسـالـة

«مَا يَفْعَلُه الأَطِبَّاءُ وَالدَّاعُونَ بِدَفْعِ شَرِّ الطَّاعُون»

عَرَّف المُتَقَدِّمُون الطَّاعُونَ بِتَعَارِيف مختلفة، بحسب ما تَوَفَّر لهم من مَعْلُومَاتٍ عَن هذا الوَبَاء في ذلك الوقت، وقد حَدَّهُ علماء الطب الحديث بقولهم: الطَّاعون سَبَبُه بَكتِرْيَا عُضْوِية عُنْقُودِية تَصْطَبِغ سَلْبًا بِصِبْغَة جرام، وتعتبر بَرَاغِيثُ الفِئْرَانِ النَّاقِلَ الأساسي لميكروب الطَّاعون، وتَتَغَذَّى هذه البَرَاغِيثُ عَلَى الدم[1].

والطَّـاعـون عنـد أهـل الطـب عـدة أنـواع بـالنظـر إلـى نـوعيتهـا وخطورتها[2]، ويعتبر بنو إسرائيل أول من أصيب به في القديم؛ إذ انتشر بينهم الفساد والزنا والربا، فعاقبهم الله عزَّ وجلّ بالطاعون ابْتِلاءً لَهُم وتَأْدِيبًا؛ وقد جعله الله تعالى سُنَّةً كَونِيَّةً، وَوَعِيدًا إِلٰهِيًّا لِلنَّاس إِذَا هُم عصوه جلَّ وعلا، وخالفوا أمره بِنَشر الفساد بينهم، ولهذا صَحَّ عن النبـي ﷺ أنه قال: «لَمْ تَظْهَر الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِم

(١) مقدمة د. محمد البار لكتاب ما رواه الواعون للسيوطي ص ٨، ٣٥.

(٢) نفس المرجع ص ٥٣.

الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ التي لَم تَكُنْ مَضَت في أَسْلاَفِهِم»[1].

ويمكن القول بأنَّ علماء المسلمين أَوْلَوا اهتمامًا كبيرًا بالحديث عن مرض الطَّاعون، وتفصيل الكلام عنه سواء كان ذلك ضمن شروحهم على كتب الحديث والسنن، أو بالتصنيف المستقل فيه؛ بل إنَّ النصوص التي وصلتنا من تراثنا الإسلامي عن الطَّاعون في كلام الفقهاء والمحدِّثين تَفُوقُ نُصُوصَ الأطبَّاء المتقدِّمين عنه؛ إذ لا نجد عند هؤلاء سِوَى إِشَارَاتٍ مُتَوَاضِعَة لا تُقَاسُ بِتَفْصِيل العلماء من أهل الفقه والحديث إطلاقًا.

وهكذا نجد أنَّ الإمام البخاري قد عَقَد تحت كتاب الطب بابين في الكلام عن الطَّاعون، وبَوَّبَ الإمام مسلم في صحيحه بابًا مُستَقِلاً، وكذا باقي كتب السنَّة النبويَّة، ويأتي بجانب ذلك كله مصنفات العلماء المستقلة عن الطَّاعون، والتي لا يزال تراثنا المجيد يزخر بنصيب وافر منها.

ويُعَد «كتاب الطواعين» لابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) أَوَّلَ مُصَنَّفٍ عن الطَّاعون، اعتمد عليه جَمْعٌ مِن الحفَّاظ الذين ألفوا بعده في هذا الموضوع كالحافظ ابن حجر، والسيوطي، وفقيهنا مرعي الكرمي، ثم توالت بعد ذلك المصنَّفات إلى غاية القرن الرابع عشر الهجري.

وفي محاولة لإحصاء هذه المصنَّفات بلغت قرابة سبعين كتابًا في

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن ح (٤٠١٩)، والدَّاني في السنن الواردة في الفتن ح (٣٢٦)، وإسناده صحيح.

الطَّاعون[1]، لا يزال أغلبها دفين قبور المخطوطات، ولم ير منها نور الطباعة سوى كتاب الحافظ ابن حجر، والسيوطي، وابن كمال باشا؛ مما يدعو الباحثين إلى محاولة النظر فيها، وانْتِقَاء ذَاتِ الأَصَالَةِ منها لتحقيقها، حتى يَتَسَنَّى بذلك لدارسي هذا الموضوع الإفادة من نصوص العلماء المتقدِّمين على ضوء نتائج علم الطب الحديث.

* * *

(١) انظر عن المصنفات في موضوع الطَّاعون: مقدمة الباحث أحمد عصام الكاتب، لكتاب بذل الماعون ص ٢٩، ٤١، و د. محمد البار في مقدمة ما رواه الواعون ص ٨١، ٩٩.

مَنْهَجُ الْفَقِيهِ مَرْعِي الكَرْمي فِي كِتَابِهِ

«مَا يَفْعَلُه الأَطِبَّاءُ وَالدَّاعُونَ»

اهتمَّ الفقيه مرعي الكرمي بموضوع الطَّاعون اهتمامًا بالغًا دفعه لتصنيف أكثر من كتاب فيه، فقد جمع في رسالته: «تَحْقِيق الظُّنُونِ بِأَخْبَارِ الطَّاعُون»[1]، عدَّة نصوص حول موضوع الطَّاعون، وجعله في عشرين فصلاً تناول في كل فصل منه مسألة من مسائله، وناقشها في ضوء كلام العلماء.

ويظهر جيِّدًا من خلال المقارنة الأولية لكتاب «تحقيق الظنون» مع رسالة «ما يفعله الأطبَّاء والدَّاعون»، أنَّ هذا الأخير يكاد يكون مختصرًا لكتابه الأصل تحقيق الظنون؛ إذ تحدَّث فيه عن قضيتين مهمَّتين، هما: جدوى الأدعية والأذكار في دفع الطَّاعون، والتساؤل عن دَوْرِ الطب في دفع الطَّاعون عن الناس. وقد وجدته يحيل في كتابه «ما يفعله الأطباء والداعون» على كتاب «تحقيق الظنون».

---

(١) مخطوط تحصَّلت على مصورة منه، تقع في ٤٠ ق.

ولم يكتف بتصنيف هذين الكتابين؛ بل عقد أبوابًا في كتابه: «سلوان المصاب بفرقة الأحباب»[1]، تكلَّم فيها عن الطَّاعون، ويكاد يكون ما ذكره في «سلوان المصاب» شبه تكرار لما تناوله في كتابيه السابقين.

ولم تذكر لنا المصادر سبب اهتمام شيخنا مرعي الكرمي بموضوع الطَّاعون، وهل كان ذلك استجابة لمن طلب منه جمع مسائل عن الطَّاعون كما صرَّح به في مقدمة «ما يفعله الأطبَّاء والدَّاعون»، أو لانشغال الناس في عصره بهذا الموضوع.

ويمكن تلخيص أهم معالم منهجه في هذه الرسالة في النقاط التالية:

* افتتح كتابه بالحديث عن اختلاف العلماء في جدوى التداوي للطاعون من جهة، وتساءل هل ينفع فيه ما ورد من الأدعية والأذكار؟ فنقل كلام العلماء في ذلك وخلافهم، واستأنس بكلام الحافظ ابن القيم والسيوطي، مع الاستشهاد ببعض النصوص عن ابن سينا في الطب.

* بيَّن حقيقة الطَّاعون عند المتقدمين والخلاف فيه، وكان الشيخ مرعي يتدخَّل بتوجيه ما يراه مناسبًا من النصوص، أو ردّ ما يستبعده فكره ورأيه.

* حاول ترجيح كلام أهل العلم والشرع على كلام الأطباء في مسألة وقت ظهور الطَّاعون، وتحديد الأطباء لذلك ببعض الفصول من

(١) نشر دار الحرمين بالقاهرة عام ١٤٢٠هـ.

السنة، وهي قضية واضحة لمن قارن بعض النصوص التراثية؛ إذ يجد بِكُلِّ جَلاءٍ أنَّ علماء الشرع كانوا أَدَقَّ في عدة قضايا عن الطَّاعون من الأطباء كابن سِينا، وَابْنِ النَّفِيس وغيرهم ممن تكلَّموا في مصنفاتهم الطبية عن الطَّاعون[1].

* أكَّد الشيخ مرعي الكرمي على أنَّ السبب الأكبر في ظهور الطَّاعون وتَفَشِّيه هو ما يقترفه الناس من ذنوب وفواحش، مستشهدًا في ذلك بالأدلة الواردة من السنَّة النبوية.

* استفاد من نُصُوص العلماء الذين سبقوه في التصنيف في الطَّاعون، كابن حجر في كتابه «بذل الماعون»، وخاصة أثناء الحديث عن الألفاظ المشكلة في بعض النصوص النبوية، والسيوطي، وزكريا الأنصاري.

* رَجَّحَ مَذْهَبَ جَمَاعَةٍ مِن العلماء في إفادة التداوي والعلاج من الطَّاعون، وإجراءاتهم في هذا الباب، وهي تدابير اشتهرت في تلك العصور.

* رَدَّ بعض الاعتقادات المنحرفة في اتِّقاء الطَّاعون، والتي سادت بين بعض النَّاس في عصره.

* أورد بعض الأدعية والأذكار التي تقال عند الابتلاء بوباء الطَّاعون من السنَّة النبوية، ومن كلام بعض العلماء، في بعضها مَقَالٌ نبَّهت عليه في موضعه.

---

(١) حاول د. محمد البار مقارنة بعض النصوص الواردة بخصوصها في مقدمته لكتاب السيوطي في الطَّاعون ص ٥١، ٥٧.

* خَتَم كِتَابَه بِإِبْطَالِ كَلام المُنَجِّمين، وتَوضِيح أَنَّ تَخَرُّصَاتِهم ضَرْبٌ من الرجم بالغيب، وأَكَّدَ عَلَى عَدَمِ جَوَاز تصديقهم في ما يَدَّعُونه وَيَتَقَوَّلُونَه، وذلك في ضوء الآيات والأحاديث الواردة في التأكيد على انفراد الرب جلَّ وعلا بعلم الغيب، وكذب من ادَّعاه لنفسه كائنًا مَن كان، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

* * *

ترجمة المؤلف[1]

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلاَّمة الفقيه مرعي بن يوسف بن أبـي بكر بن أحمد بن أبـي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي[2] المقدسي.

مولده ونشأته:

وُلِد رحمه الله في قرية طور كرم، وانتقل بعد ذلك إلى القدس، ثم ارتحل إلى القاهرة حيث توفي بها.

---

(١) انظر للمزيد عن حياة المؤلف: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٨٩، وخلاصة الأثر للمحبـي ٤/٣٥٨، وعنوان المجد ١/ ٣١، ومختصر طبقات الحنابلة ص ٩٩، والسحب الوابلة ٤/١١١٨، وكشف الظنون ١٩٤٨، وهـديـة العـارفيـن ٢/ ٤٢٦، وإيضـاح المكنـون ١/ ٧، ١٨، ٣٤، والأعـلام ٧/ ٢٠٣، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٢١٨، وتقدمة كتاب أقاويل الثقات للشيخ شعيب الأرنؤوط، وتقدمة كتاب تحقيق البرهان في شأن الدخان للأستاذ مشهور سلمان، وتقدمة كتاب الكواكب الدرِّيَّة في مناقب ابن تيمية للباحث نجم عبد الرحمن خلف.

(٢) نسبة لطور كرم في فلسطين.

عقيدته ومذهبه:

كان مرعي الكرمي رحمه الله ينهج في مسائل الاعتقاد منهج السلف في فهم نصوص الصفات، وذلك باعتقاد حقيقتها ومعناها، مع تفويض العلم بالكيفية إلى علم الله تعالى، يظهر ذلك جليًّا في كتابه «أَقَاوِيل الثِّقَاتِ فِي تَأْوِيلِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ».

أما عن مذهبه في الفروع، فقد كان حنبليًّا، مُخْلِصًا لمذهب الحنابلة؛ يدلُّ على ذلك قوله:

لَئِن قَلَّد النَّاسُ الأَئِمَّةَ إِنَّنِي | لَفِي مَذْهَبِ الحَبْرِ ابن حَنْبَلٍ رَاغِبُ
أُقَلِّدُ فَتْوَاهُ وَأَعْشَقُ قَوْلَهُ | وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

ثناء العلماء عليه وشيوخه:

اشتهر الشيخ الفقيه مرعي الكرمي عند العلماء باشتغاله الكلِّي بالعلم، وانهماكه التام في فنون المعرفة والتحصيل، مع الانصراف الكبير إلى التدريس والإقراء والإفتاء زمنًا طويلاً، وصفه المُحِبِّي بقوله: أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، كان إمامًا محدِّثًا، فقيهًا، ذا اطِّلاع واسع على نقول الفقه، ودقائق الحديث، ومعرفة تامَّة بالعلوم المتداولة[١].

وأثنى عليه ابن حميد النجدي فقال: العالم العلاَّمة، البحر الفهَّامة، المدقِّق المحقق، المفسِّر المحدِّث، الفقيه الأُصولي، النحوي، أحد أكابر علماء الحنابلة في عصره[٢].

---

(١) خلاصة الأثر ٤/٣٥٨.

(٢) السحب الوابلة ٣/١١١٨.

وذكره الأستاذ الزِّركلي بقوله: مؤرِّخ، أديب، من كبار الفقهاء[1].

وبالجملة فقد وصفه جميع من ترجم له بصفات عالية في العلم والجمع، والتحصيل والتأليف.

آثاره العلمية:

يعتبر الشيخ الفقيه مرعي الكرمي من المكثرين في التأليف والتصنيف؛ فالناظر في مصنفاته يَلفِتُ نَظَرَه تَنَوُّعُ العلوم والفنون التي صنف فيها من: توحيد، وفقه، وحديث، وتفسير، مما يدل على سَعَة حصيلة الرجل العلمية، وإن كان يغلب على أكثرها الاختصار، لكن ذلك لا يمنع من تمكُّنه في التصنيف، وخاصة ما تعلَّق منها بفقه الحنابلة؛ إذ يُعَدُّ مرجعًا معتمدًا عندهم، وقد لقيت قَبولاً عند أهل المذهب، ويصف المُحِبِّي ذلك بقوله: فسارت بتآليفه الركبان، ومع كثرة أضداده، وأعدائه، ما أمكن أن يطعن فيها أحد، ولا أن ينظر بعين الازدراء إليها[2].

وقد بلغ إحصاء بعض المترجمين له في عَدِّ مصنفاته زهاء سبعين مصنف كما أثبته المُحِبِّي[3]، وابن حميد النجدي[4]، والبغدادي[5]، والزِّركلي[6]، وانفرد الدكتور عبد الرحمن العثيمين بإيصالها إلى نحو مائة

---

(١) الأعلام ٧/ ٢٠٣.

(٢) خلاصة الأثر ٤/ ٣٥٨.

(٣) نفس المرجع ٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠.

(٤) السحب الوابلة ٣/ ١١١٩ ـ ١١٢١.

(٥) هدية العارفين ٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٦) الأعلام ٧/ ٢٠٣.

كتاب مصنف لمرعي الكرمي، اعتمد في إحصائه ــ حسب كلامه ــ على مكتبات خاصة وعامة غير مفهرسة، ولا ندري شيئًا عنها لأنه لم يُسَمِّهَا[1].

كما اجتهد الشيخ شعيب الأرنؤوط في تتبُّع المخطوط منها في خزائن العالم التراثية[2]، والباحث نجم عبد الرحمن خلف في مقدمة تحقيقه لكتابه: «الكواكب الدرِّيَّة»[3].

وفـاتـه:

وتوفِّي الشيخ مرعي الكرمي رحمه الله مُخَلِّفًا وراءه مكتبة زاخرة بالرسائل والتصانيف النفيسة في شهر ربيع الأول من عام ١٠٣٣هـ، ودُفن بتربة المجاورين بالقاهرة[4]، وأَرَّخ صاحب «السُّحب الوابلة» وَفَاته نقلاً عن ابن سلوم في ذي القعدة من عام ١٠٣٢هـ[5].



(١) في حاشية له على السحب الوابلة ٣/ ١١١٨.
(٢) مقدمة أقاويل الثقات ص ٣٢ ــ ٣٨.
(٣) مقدمة الكواكب الدرِّيَّة ص ٢١ ــ ٢٨.
(٤) خلاصة الأثر ٤/ ٣٦١، معجم المؤلفين ١٢/ ٢١٨.
(٥) السحب الوابلة ٣/ ١١٢٥.

وصف النسخ المعتَمَدة في إخراج الرِّسالتين

ـ **الرسالة الأولى: «إِخْلَاصُ الوِدَاد»**: اعتمدت على نسخة من ذخائر دار الكتب والوثائق المصرية، ضمن مجموع برقم: ١٧٨١ف، يضم عدة رسائل للشيخ مرعي الكرمي، وهي تشكِّل الرسالة الثالثة من المجموع، تقع في ورقتين، عدد أسطرها خمسة وعشرون سطرًا، بمعدل ثلاث عشرة كلمة في كل سطر، كُتِبت بخط مشرقي غير واضح في بعض الأحيان، بها إلحاقات ساقطة بالهوامش بنفس خط ناسخ الكتاب.

وقد ترجَّح لدي أنَّ الرسالة بخط المؤلف كما يظهر من مقدمة الكتاب، ويلاحظ عدم وجود ما يفيد انتهاء الرسالة من تصريح المؤلف كما حصل بالنسبة لباقي رسائله، ولعلَّ ذلك قد سقط منها، وهي النسخة الوحيدة ـ فيما أعلم ـ إذ لم أجد من أشار إلى وجود نسخة أخرى.

ـ **الرسالة الثانية: كتاب «ما يفعله الأطبَّاء والدَّاعون بدفع شرِّ الطَّاعون»**: نَشَرْتُه بناءً على نسخة دار الكتب المصرية ضمن مجموع برقم ١٧٨١ف، شكلت فيه الرسالة الثانية، تقع في أربع لوحات، كل لوحة تضم ورقتين، عدد أسطرها خمسة وعشرون سطرًا، في كل سطر ما يقرب من ثلاث عشرة كلمة، خطها مشرقي غير واضح في بعض المواضع، كتبت الرسالة بخط المؤلف، ولم تخل من السَّقْط الذي كان يلحقه في

كثير من الأحيان بالهامش، ورد في آخرها أنها نُسِخت بتاريخ حادي عشر ربيع الأول من عام إحدى وثلاثين وألف.

وينبغي التنبيه على أنَّ جميع المصادر التي نَسَبَت هذه الرسالة إلى الشيخ مرعي الكرمي، تذكرها بعنوان «ما يفعله الأطبَّاء والدَّاعون **لدفع** شرِّ الطَّاعون»، بينما الذي وجدته على غلاف الرسالة «**بدفع** شرِّ الطاعون»، وقد أَثْبَت ما وجدته على غلاف عنوان الكتاب، خاصة وأنَّ الرسالة بخط المؤلف، كما أنَّ لها توجيه من حيث اللغة، إذ يصح قَوْلُ القَائِل لُغَةً: «فعله به» كما نصَّ عليه صاحب «اللسان»[1].

وقد أجمعت المصادر التي ترجمت للشيخ على نسبة الرسالتين له.

كما حاولت أن أسلك مسلك التوسُّط في التعليق على النص، وعدم التوسُّع بإثقال الحواشي، وإنما يكون التعليق على الضروري، مع الحرص على تخريج الأحاديث من مصادرها، ونقل حكم الحفَّاظ على إسنادها.

هذا وأسأل الله العليّ القدير أن يوفِّقنا لحسن العمل، ويجنِّبنا الخطأ والزلل. وصلَّى الله على نبيِّه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وكتب

خالد بن العربي مُدْرِك العَرُوسي

الإدريسي الحسني

بجوار بيت الله الحرام في منتصف ليلة الخميس

غرَّة ربيع الأول من عام ١٤٢١هـ

---

(١) لسان العرب [مادة: دفع].

كتاب إخلاص الوداد في صدق الميعاد لمرعي الحنبلي المقدسي

بسم الله الرحمن الرحيم قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي

صورة أول رسالة «إخلاص الوداد»

حديث لا بأس بذكرها هنا ... عبد الرزاق والبيهقي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البر لا يبلى والاثم لا ينسى
والديان لا يموت فكن كما شئت كما تدين تدان . اما ما
احمد عن مالك بن دينار قال مكتوب في التوراة كما تدين تدان
وكما تزرع تحصد ... الديلمي في مسند الفردوس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال مكتوب في التوراة الانجيل كما تدين تدان
وبالكيل الذي تكيل يكال لك وفي هذا القدر كفاية وذكرى
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قال مؤلفه سامحه الله
فرغت من جمعه بعد عشا الاخرة ... عشر محرم سنة احدى وثلاثين والف

كتاب ما يفعله الاطبا والداعون
بدفع شر الطاعون

تصنيف مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
قال العبد الفقير الى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
الحمد لله النافع الضار خالق الداء والدواء والمنافع والمضار بيده النفع والضر
والخير والشر والنهي والامر الحكيم القهار والصلاة والسلام على اشرف المرسلين
وافضل المتوكلين المسلم للقضا والاقدار وعلى اله واصحابه اولي السماح والارباح
والتيقظ والاعتبار وبعد فقد سئلت في جمع ادعية واذكار تستعمل
للطاعون وهل ذلك يفيد وهل الطب له مدخل فيه فقد احببت ان اذكر
شيئا من ذلك مع زيادة فوايد وجمع فرايد طلبا للثواب و تعالى الاصحاب
... قول ... المستعان وعليه التكلان لا رب غيره ولا مأمول الا خيره
اعلم ان العلما اختلفوا هل يفيد التداوي للطاعون وهل ينفع فيه ما

ورد

صورة أول رسالة «ما يفعله الأطبّاء»

والرشيد فلما انتهى الخلافة الى الامين اخر من هذا الحكم ورجع القائل بقول
كذب المنجم في مقالته التي نطقت على بغداد بالبهتان
قتل الامين بها لعمري يقتضي تكذيبهم في سائر الحسبان
ثم مات بها الواثق بالله والمتوكل على الله والمعتمد بالله والمكتفي بالله والناصر لدين الله
وظهر لكل عاقل شناعة قول المنجمين وشنيع كذبهم واتفاقهم فيما اجمعوا عليه واما
ما اختلفوا فيه وقطع به بعضهم دون بعض فلو حكيناه عنهم على ما ذكره الامام
ابن الجوزي وغيره لكان امرا يمكن منه وما احسن قول القائل

أطلاب النجوم أحلفتمونا على علم أرق من الهباء
كنوز الارض لم تصلوا اليها فكيف وصلتم علم السماء

وقول البهاء زهير

وامنع متى شئت فالاوقات واحدة لا الريب يدفع مقدورا ولا العجل
لا ترقب النجم في امر تحاوله فالله يفعل لا جدي ولا حمل
مع السعادة ما للنجم من اثر فلا يضرك مريخ ولا زحل
الامر اعظم والافكار حائرة والشرع اصدق والانسان عجل

وفي هذا القدر كفاية للمعتبر وهداية للمستبصر والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل قال مولفه عمر بن يوسف الحنبلي
سامحه الله تعالى فرغت من رقم هذه الفوائد ليلة الاحد بعد العشاء الاخرة
بنحو اربعين درجة حادي عشر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين والف
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صورة الورقة الأخيرة من رسالة «ما يفعله الأطبَّاء»

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧)



للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي
توفي سنة ١٠٣٣هـ رحمه الله تعالى

تقديم وتعليق
خالد بن العربي مدرك

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي:

الحمدُ للّـه الذي جعَل الوَفاء بِالوَعدِ مِن أَوْصَافِ الكِرَام، وأَخْلاق الأَنْبِيَاء عَلَيْهِم الصَّلاةُ والسَّلام، فقال سبحانه يمدح إسماعيل بن إبراهيم الإِمَام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم: ٥٤]، يعني بالفِعْل المُصَدِّقِ لِلكَلام.

والصلاة والسلام على أَصْدَقِ الخَلْقِ كَلامًا، وأَوْفَاهُم بِالوَعدِ إمَامًا، وَأَعلاهُم في المَجْدِ مَقَامًا، الْمَبْعُوث رَحْمَةً لِكَافَّة الأَنَام، وَعَلَى آله وأَصْحَابِه الَّذِين كَانَت تَهُزُّهُم نَخْوَةُ الكِرَامِ، وَتُحَرِّكُهُم حَمِيَّةُ الإِسلام.

وبعد، فَقَد أَحْبَبْتُ أَن أذكر فَوَائِدَ حَسَنَة، وفَرَائِدَ مُسْتَحْسَنَة، تميل إليها طِبَاعُ الكِرَام، وأَرْبَابُ المناصب الفِخَام، وأَصْحَابُ السُّيُوفِ والأَقْلام، وأَهْل المُرُوءة والفُتُوَّة مِنَ الأَنَام، تَتَعَلَّق بِوَفَاءِ الوَعْد والعَهْد، ونِعمَ المُرَادُ بذلك القَصْد، وقوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ على سبيل التَّلْخِيص والاِخْتِصَار، وإلى ذلك مَيْلُ نُفُوسُ الأَخْيَار، وَسَمَّيْتُه: «**إِخْلاصُ الوِدَادِ فِي صِدْقِ المِيْعَادِ**».

قال اللّـه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾، أي

اذكر في الكتاب الذي أُنزِل عليك وهو القرآن العزيز، قِصَّةَ إسماعيل وخَبَرَه، وما كان فيه من صِدْقِ المواعيد والثَّبَات في كل موطن شديد[(١)].

وإِسْمَاعِيلُ مِنَ الأَسْمَاء الأَعْجَمِيَّة الممنُوعَة مِنَ الصَّرفِ[(٢)]، ويقَال: إسماعين بِالنُّونِ لُغَتَانِ لِلعَرَب[(٣)]، وإسمَاعِيلُ هذا قيل: هُو إسماعيل بْنُ حَزْقِيل عليهما السلام، حكاه القرطبي في تفسيره[(٤)].

والذي ذهب إليه جماهير العلماء والمفسِّرين أنه إسماعيل الذَّبِيح أبو العرب وابن إبراهيم خليل الرحمن عليهما الصلاة والسلام[(٥)].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ وخَصَّ الله تعالى إسماعيل بذكره بصدق الوعد ـ وإن كان صِدقُ الوَعدِ مَوجُودًا في غيره من الأنبياء عليه السلام ـ تشريفًا له، وتفخيمًا لشأنه، ولأنه المشهور المتعارف من خصاله ﷺ.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٨/ ٣٤٩، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ١٦٦، وأبو حيان في البحر المحيط ٦/ ١٨٨، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٢، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥١٦، والشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤١٨، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ١٦/ ١٢٩.

(٢) العُجْمَة والتَّعرِيفُ مِن دَوَاعِي مَنْعِ الاسْمِ مِنَ الصَّرْف؛ شَرْطَ كَوْنِهِ عَلَمًا في اللسان الأعجمي، وزائدًا على ثلاثة أحرف، نحو: إبراهيم وإسماعيل.
انظر: شرح ابن عقيل ٢/ ٣٠٤، وحاشية الصبان ٣/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

(٣) لسان العرب [مادة: أسم].

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٤.

(٥) نصَّ على ذلك البغوي في معالم التنزيل ٣/ ١٦٦، وأبو حيان في البحر المحيط ٦/ ١٨٨، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٢، والشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤١٨، ومحمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٩٩.

قال الإمام القرطبي في تفسيره: صِدقُ الوَعدِ مَحمُود، وهو من أخلاق النبيِّين والمرسلين[1].

وقال البيضاوي: ذَكَّرَه تعالى بذلك لأنه المشهور به، والمَوْصُوفُ بِأَشْيَاءَ في هذا الباب لم تُعهد من غيره، ونَاهِيكَ بِهِ أنه وعد الصَّبْرَ على الذبح، فقال لأبيه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ [الصافات]، فوفى بوعده[2].

وفي النَّهْرِ تفسير الإمام أبي حيان: وصِدْقُ وَعْدِه عليه السلام أنه كانت منه مَوَاعِيد للَّه تعالى وللناس فَوَفَّى بالجميع، فلذلك خُصَّ بصدق الوعد[3].

وفي تفسير القرطبي: واختلف العلماء في ذلك فقيل: لأنه وعده من نفسه بالصبر على الذبح، فصبر حتى فَدَاهُ الله ببركة صبره[4]، كما قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصافات].

وفي كَونِهِ هُو الذَّبِيحُ أو إسحاق خِلافٌ لَيسَ هذا موضعه.

وقيل: / إنه عليه السلام وعد رجلاً أن يلقاه في موضع، فجاء [١ب] إسماعيل وانتظر الرجل يومه وليلته، فلما كان من اليوم الآخر جاء، فقال

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٥.

(٢) تفسير البيضاوي ٤/ ١٠.

(٣) النهر الماد ٦/ ١٩٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٥.

له: ما زِلْتُ هنا في انتظارك منذ أَمْسِ.

وقيل: انتظره ثلاثة أيام، وقيل: فعل مثله نبينا ﷺ قبل بعثه، ذكره النَّقَّاش[1].

ورواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن أَبِـي الحَمسَاءِ قال: بايعت النبـي ﷺ قبل أن يُبْعَثَ وبقِيَت لَه بَقِيَّة، فوعدته أن آتيه في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو عليه السلام في مكانه فقال: يَا فَتَى، لَقَد شَقَقْتَ عَلَيَّ أنا هٰهنا منذ ثلاث[2].

وقيل: إنَّ إسماعيل انْتَظَر مَنْ وَعَدَه اثنين وعشرين يومًا، ذكره

---

(١) لابن النَّقَّاش الشافعي (٧٦٣هـ) تفسير «السابق واللاحق» وصفه الحافظ السخاوي بأنه تفسير مُطَوَّل الْتَزَم فيه بِأَلَّا يَنقُل حَرفًا واحدًا مِن تَفسيرٍ مُتَقَدِّم؛ ولكنه لم يكتمل. انظر: وجيز الكلام ١/ ١٢٤، ولا يزال في عداد المفقود من تراثنا، فلعل الزمن يكشف عنه في إحدى الخزائن التراثية من بلاد العالم.
وقد أورد هذه القصة عن إسماعيل عليه السلام من رواية مقاتل وابن جريج: الطبري في تفسيره ٨/ ٣٥١، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ١٦٦، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٢، وأورده القرطبـي في تفسيره ١١/ ١١٥، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥١٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ح (٤٩٩٦) كتاب الأدب، باب في العدة، وابن أبـي الدنيا في كتاب الصمت ح (٤٥٧) ص ٢٣٦، والخرائطي في مكارم الأخلاق ح (١٧٧) ١/ ١٩٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٩٨.
والحديث في إسناده ضعف؛ فيه عبد الله بن ميسرة، ضعَّفه ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة وغيره. انظر: الجرح والتعديل ٥/ ١٧٧، والتهذيب ٢/ ٤٤١.
وقال الحافظ السخاوي بعد إيراد إسناده: وفي إسناده خُلْفٌ. انظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢/ ٨٠٢، والتماس السَّعد للسخاوي ص ٦٧.

الماوردي[1]، وفي تفسير الزمخشري وابن عادل[2] أنه عليه السلام انتظره سنة[3]، ورُوِي ذلك عن ابن عباس[4].

قلت: ولَعَلَّ ذلك كان مع تَعَاطي مَصَالحه، ومُبَاشَرَة أَسبَابِه مع ملاحظة الانتظار، والتَّطَلُّب لمجيء من وعده.

وبالجملة، فإسماعيل ﷺ لم يَعِد شيئًا إلاّ وَفَّى به. قاله بعض المحقِّقين[5]، قال القرطبي: وهذا قول صحيح، وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية[6].

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ)، له تفسير أسماه: «النُّكَتُ وَالعُيُون»، يقع في ثلاثة مجلدات. ذكره الداودي في طبقاته ١/٤٢٨، وحاجي خليفة في الكشف ١/٤٥٨، ورمز له الزِّرِكْلي في الأعلام بكونه مخطوطًا ٤/٣٢٧.

وقد روى قصة انتظار إسماعيل عليه السلام من وعده اثنين وعشرين يومًا ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ح (٤٥٨) ص ٢٣٧، وذكرها القرطبي في تفسيره ١١/ ١١٥.

(٢) هو: عمر بن علي بن عادل أبو حفص سراج الدِّين الحنبلي الدِّمشقي، مات بعد عام ٨٨٠هـ، له تفسير كبير «اللُّبَابُ في عُلُوم الكِتَاب»، منه عدَّة نسخ خطية في الخزانة العامة بالرباط المحروسة، وفي خزانة كتاب سراي (نسخة سلطانية)، وفي دار الكتب المصرية وغيرها.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سفيان الثوري ٧/ ٢٤١١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥١٦.

(٥) قال به من أئمة التفسير كعب، ومجاهد، وابن جريج، ورواه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٥١، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ١٦٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥١٦.

(٦) تفسير القرطبي ١١/ ١١٥.

وفي تفسير ابن عادل سُئل الشعبي رحمه الله تعالى عن الرجل يَعِدُ صاحبه ميعادًا إلى أي وقت ينتظره؟ قال: إنْ واعده نهارًا فكل النهار، وإن واعده ليلاً فكل الليل.

وسُئِل إبراهيم بن زيد عن ذلك فقال: إذا وَعَدتَه في وَقْتِ الصَّلاةِ فَانْتَظِره إلى وقت صلاة أخرى[1].

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «العِدَةُ دَيْنٌ وَاجِبٌ»[2]، قال القرطبي: أي في أخلاق المؤمنين، وأوصاف الصدِّيقين[3].

وقال المحقِّقون من العلماء كما ذكرته في كتابي: «**غَايَةِ الْمُنْتَهَى**» في الفقه: إنَّ الوفاء بالوعد يلزم من حَيْثُ الوُجُوبُ، وإن كان لا يلزم من حَيْثُ الحكمُ به؛ بمعنى أنَّ من وَعَدَ أَحدًا بشيء وامتنع من الوفاء فإنه ليس للقاضي أن يُلزِمَه بذلك؛ لما يلزم عليه من الكذب، فيحرم خُلْفُ الوعد بلا استثناء. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤][4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ح (٤٦٠) ص ٢٣٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٣٥١٣) ٤/ ١٣١، وفي الصغير ح (٤٢٠) ص ١٧٩، والقضاعي في مسنده كما في فتح الوهاب ١/ ٢١ بلفظ: «العِدَة دَيْن»، وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ١٦٦: وفيه حمزة بن داود، ضعَّفه الدارقطني. وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ح (١٩٠) ١/ ٢٠٥ بلفظ: «العِدَّة عَطِية».

(٣) تفسير القرطبي ١١/ ١١٥.

(٤) اختلف العلماء في حُكْمِ الوَفَاءِ بِالوَعْدِ: فَذَهَبَت طَائِفَة إلى القول بوجوبه، وآخرون إلى عَدَمِ لُزُومِ الوَفَاء بِه، واحْتَجَّ القائِلُون بِالوُجُوب بظاهر الآيات =

والدليل على الوجوب قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء]، في آيات أُخَر وأحاديث ليس هذا محل ذكرها[1]. [2]

وفي تفسير القرطبي: والعرب تمدح الوفاء بالوعد، وكذلك سائر الأُمم.

وقد أحسن القائل حيث يقول:

مَتَى مَا يَقُل حُرٌّ لِصَاحِبِ حَاجَةٍ
نَعَم يَقْضِهَا وَالحُرُّ لِلْوَأْيِ[3] ضَامِنُ[4]

= الواردة في الباب، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] وغيرها، من الآيات الدالة بظاهرها على الوجوب. واستدلوا أيضًا بعدة أحاديث، منها حديث: «العِدَةُ دَيْنٌ»، وحديث: «العِدَةُ عَطِيَّةٌ»، وقد سبق الكلام على سندها.

وأما القائلون بعدم وجوب الالتزام بالوعد فاحتجوا بانعقاد إجماع العلماء على عدم لزوم الوفاء بالدين في حق من وعد رجلاً بمال فأفلس، فإنه لا يُضرَب للمَوعُود بالوعد مع الغرماء اتِّفاقًا، ولا ينزل منزلة ديون غرمائه عليه.

وقد رَجَّحَ جَمْعٌ مِن أَهْلِ الْعِلْمِ وُجُوب الوفاء بالوعد، وعدم جواز إخلافه، ولكن لا يُلزَم به جَبْرًا وإنما يؤمر به ولا يجبر عليه.

ولمزيد من البيان يُنظر: فتح الباري ٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٤، أضواء البيان ٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠٥.

(١) غاية المنتهى مع شرحه مطالب أولي النهى ٦/ ٤٣٥.

(٢) ساق الحافظ السخاوي جمعًا من الأدلة من السنَّة النبوية على وجوب الوفاء بالوعد، والالتزام بأدائه في رسالته الماتعة «التماس السعد» ص ٧٣ ـ ٩٦، فانظره إن شئت.

(٣) الوَأْيُ: وَأَى وَأْيًا وهو الوَعْد. انظر: لسان العرب [مادة: وأي].

(٤) تفسير القرطبي ١١/ ١١٥.

إِذَا قُلْتَ فِي شَيءٍ نَعَم فَأَتِمَّهُ
فَإِنَّ نَعَم دَيْنٌ عَلَى الحُرِّ وَاجِبُ

تَفُزْ بِجَزِيْلِ الأَجْرِ وَالْحَمْدِ وَالثَّنَا
فَبَادِرْ بِإِنْجَازٍ لِمَا أَنْتَ وَاهِبُ[1]

وقول الآخر:

تَحَنَّنْ عَلَيْنَا حِذَارَ الْمَلِيْكِ
فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالا

وَأَنْجِزْ لَنَا الْوَعْدَ يَا سَيِّدِي
فَإِنَّ لِكُلِّ سُؤَالٍ نَوَالا

وقول الآخر:

الوَفَاءُ بِالمَوَاعِيدِ مِنْ أَوْصَافِ الكِرَام
وصِدْقُ الوَعْدِ يُحَبِّبُ في المرءِ الأَنَامَ/[2] [٢أ]

---

(١) تُنْسَب هذه الأبيات لابن أبي حازم. انظر: العقد الفريد ١/ ٢٦٤.

(٢) أنهيتُ بحمد اللّه وفضله مقابلة آخر ما وجدت من رسالة: «إِخلاصُ الوِدَادِ في صِدقِ المِيعَاد»، مع فضيلة الأستاذ البحَّاثة محمد بن ناصر العجمي ببيت الله الحرام، تُجاه الكعبة المعظَّمة عصر الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٠هـ، ثم التَّعليقَ بعد ذلك على ما رَأَيْتُه لازِمًا، مُقتَدِيًا ومُصَلِّيًا ومُسَلِّمًا.

أفقر الورى إلى عفو ربه ورحمته
خالد بن العربي مُدْرِك العَرُوسِي
غفر الله له ولوالديه

لِقاءُ العشْرِ الأَواخِرِ
بالمسْجِدِ الحرامِ
(١٨)

مَا يفعلهُ الأطِبّاءُ والدَّاعُون بِدفْعِ شرِّ الطَّاعُونِ

لِلْعَلَّامَةِ مَرْعِي بن يُوسُف الكرْمي المَقْدِسِي الحَنْبَلِيّ
توفي سنة ١٠٣٣هـ رحمه الله تعالى

تقديم وتعليق
خالد بن العربي مُدرِك



[٤أ] / بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي:

الحمدُ للّه النَّافِع الضَّارّ، خَلَقَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَالمَنَافِعَ وَالمَضَارّ، بِيَدِهِ النَّفْعُ والضُّرّ، والخير والشرّ، والنَّهي والأَمر، الحكيم القهَّار.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وأفضل المتوكِّلين، المستسلم للقضاء والأَقدار، وعلى آله وأصحابه أولي السَّمَاح والرَّبَاح[1] والتَّيَقُّظ والاعتبار.

وبعد، فقد سُئِلتُ في جمع أدعية وأذكار تستعمل للطَّاعون، وهل ذلك يُفيد، وهل الطِّبُّ لَه مَدخَلٌ فيه ويَنفَع؟

وقَد أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ شَيئًا مِن ذلك مَعَ زِيَادَة فَوَائِد، وجَمعِ فَرَائِد، طَلَبًا للثَّوَابِ، وَنَفْعًا لِلأَصْحَابِ.

فأقول وبالله المستعان، وعليه التُّكلان، لا رَبَّ غَيره، ولا مَأْمُول إلاَّ خَيْرُه:

(١) الرَّبَاح: النَّمَاء في التَّجْر، والعرب تقول للرجل إذا دخل في التجارة: بالرَّبَاح والسَّمَاح. انظر: لسان العرب ٥/ ١٠٣، وتاج العروس ٤/ ٤٣ [مادة: ربح].

اعلم أنَّ العلماء اختلفوا هل يُفِيد التَّدَاوي لِلطَّاعُون، وهَل يَنْفَعُ فيه [٤ب] ما/ ورد من الأدعية والأذكار ونحوها؟

فذهب جماعة من العلماء إلى أنَّ التَّدَاوِي لا يُفِيد مَع الطَّاعُون شيئًا، وقالوا: إنَّ كل داء بسبب من الأسباب الطبيعية له دواء من الأدوية الطبيعية إلَّا الطَّاعون، فإنه قد أَعْيَىٰ الأَطبَّاء دواؤه.

قال العلَّامة ابن القيم: حتى سَلَّمَ حُذَّاقهم أنه لا دواء له، ولا دافع له، إلَّا الذي خلقه وقدَّره[١].

وقال الحافظ جلال السيوطي فيمن مات في الطاعون: وأَكْثَرَ أُنَاسٌ في الطاعون من أشياء لا تُغْنِيهِم، وَأُمُورٍ لا تَعْنِيهِم؛ من ذلك استعمال مأكولات وقَوَابِض، ومُخَفِّفَات وحَوَامِض، وتعليق فصوص، لها في كتب الطب نصوص، وهذا باب قد أعيـى الأَطبَّاء، واعترف بالعجز عن مداواته الألِبَّاء.

وأُنَاسٌ رَتَّبُوا أدعية لم يرد بها حديث ولا أثر، وابتدعوا أذكارًا من عند أنفسهم ونسوا أين المفر، وآخرون تحوَّلوا إلى البحر وشاطىء النهر، وما شعروا أنَّ مجاوزة البحر من أكبر الأسباب المُعِينَة للطاعون طِبًّا، والمُضِرة عند فساد الهواء جسمًا ولُبًّا، إنما يصلح سكن البحر لمن يشكو الغم، أو سُوءَ هَضْمٍ[٢].

قال: ولم أُعَوِّل على ذكر شيء مما ذكره الأَطبَّاء فيما يستعمل أيام الطَّاعون؛ لأنه شيء لا فائدة فيه، وهم إنما بَنَوْا ما ذكروه على ما قَرَّرُوه

(١) ذكر ابن القيم نحو ذلك في زاد المعاد ٤/ ٣٣.

(٢) ما رواه الواعون في أخبار الطَّاعون للسيوطي ص ٢١٧.

من أنَّ الطاعون ناشىء عن فساد الهواء، وقد تبيَّن فساد ما قالوه بمجيء الأحاديث النبوية بخلافه، فالأولى طرح ذلك، والتوكُّل على الله سبحانه وتعالى، انتهى[1].

وما أحسن قول بعضهم:

لِكُـــلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَـــبُّ بِـــهِ ... إلَّا الحَمَاقَةَ وَالطَّاعُونَ وَالْهَرَمَا[2]

وحقيقة الطَّاعون عند الأَطبَّاء ما قال ابن سينا[3] وغيره من الحُذَّاق: الطَّاعون مادة سُمِّيَّة تُحْدِث وَرَمًا قَتَّالاً يَحدث في المواضع الرخوة، والتغابن من البدن، وأغلب ما يكون تحت الإبط، وخلف الأذن[4].

وَقَرِيبٌ من ذلك قَولُ بعضهم: الطَّاعُون وَرَمٌ رَدِيءٌ قَتَّالٌ يَخْرُج مَعَهُ تَلَهُّبٌ شديد مؤلم جدًّا، ويُصَيِّرُ ما حوله في الغالب أَسْوَدَ أَوْ أَخْضَرَ، وَفِي الأَكْثَر يحدث في ثلاثة مواضع؛ في الإبط، وخلف الأُذن، وفي اللحوم الرَّخْوَة، وسَبَبُه دَمٌ رَدِيءٌ مَائِلٌ إلى العُفُونة والفساد، مُسْتَحِيلٌ إلى جوهر سُمِّيٍّ يُفْسِدُ العُضْوَ، ويُغَيِّر ما يَلِيه، وربما رَشَحَ دَمًا وصَدِيدًا ويُؤدِّي إلى القلب كيفية رَدِيَّة، فَيُحْدِثُ القَيْءَ والخَفَقَان والغَثَيَان، وأَرْدَؤُه ما حَدَثَ في

---

(١) ما رواه الواعون في أخبار الطَّاعون للسيوطي ص ١٧٢.

(٢) أورده السيوطي في المقامة الدرية (ضمن ما رواه الواعون) ص ٢١٧.

(٣) هو: الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البَلْخِي البخاري، الفيلسوف الطبيب. وُلِد سنة ٣٠٧هـ، صاحب المصنفات الشهيرة في الطب والفلسفة والمنطق، منها: «القانون»، و «الشفا». مات عام ٤٢٨هـ.
ترجمته في: الكامل في التاريخ ٧/ ٧٨٣، والملل والنِّحل ٣/ ٥٢٥، وعيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء ص ٤٣٧ ــ ٤٥٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٥٧.

(٤) القانون في الطب ٣/ ١٦٤.

الإبط، وخَلْفَ الأُذن، وأَسْلَمُه الأحمر ثم الأصفر، والذي إلى السواد فلا يفلت منه أحد[1].

وفَسَّر بعضهم الطَّاعُونَ بانْصِبَابِ الدَّم إلى عُضْوٍ.

وقال أكثرهم: إِنَّهُ هَيَجَانُ الدَّمِ وَانْتِفَاخُه.

واخْتَلَفُوا عَمَّاذا يَنْشَأُ هَذَا الدَّمُ، وَهـٰذَا الوَرَم، وبماذا تحصل هذه السُّمِّيَّة القَاتِلَة؟

فقال الأَطبَّاء: إنَّ سَبَبَه فَسَادُ جَوْهَرِ الهَوَاءِ..

قال ابن سينا: الوَبَاءُ فَسَاد جَوْهَر الهَوَاء الَّذِي هُو مَادَّةُ الرُّوحِ ومَدَدُه، ولذلك لا يمكن حياة شيء من الحيوان بدون استنشاقه، وقريب من ذلك قول بعضهم: الوباء ينشأ عن فساد يعرض لجوهر الهواء بأسباب خبيثة سماوية أو أرضية، كالشُّهب والرجوم في آخر الصيف، والماء الآسن[2]، والجيف الكثيرة.

وقال أهل الشرع: إنَّ كَلام الأطِبَّاء هٰذا بَاطِل مَردُودٌ؛ لأنَّ الطَّاعُون قد يَقَع في أَعْدَل الفُصُول، وفي أَفْسَحِ البِلاد، وأَطْيَبِهَا مَاءً، ولأنه لو كان من الهَوَاء لَعَمَّ جَمِيعَ النَّاس، وسَائِرَ الحَيَوَان، / [٥أ] وجَمِيعَ البَدَن!! ولَيسَ كَذٰلِك كَمَا هُوَ مُشَاهَد؛ فَإِنَّا نَجِد كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ والحَيَوَانِ يُصِيبُه الطَّاعُون، ويجانبه مِن جنسِهِ، ومَن يُشَابِه مِزَاجَه، وَلاَ يُصِيبُه، وقد يأخُذ أَهْلَ البيت من بَلَد بأجمعهم، ولا يَدخُل بَيْتًا مُجَاوِرهم أصلاً، أو يَدخُل بَيتًا ولا يُصِيب مِنه إلاَّ البَعْضَ[3].

---

(١) ذكره ابن القيم في الطب النبوي ص ١٤٥.

(٢) الماء الآسن: هو الذي لا يشربه أحد لِنَتَنِه، ومنه الآية: ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾. انظر: لسان العرب [مادة: أسن].

(٣) نَبَّه على ذلك العلاَّمة ابن القيم في الطب النبوي ص ١٤٧.

قال أهل الشَّرع: والحق أنَّ سَبَبَ الطَّاعُون هو ظُهُور الفَوَاحِش والمَعَاصِي؛ بَل كُلُّ مُصِيبَة حَدَثَت فَهِي مِن كَسْب ابن آدم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى].

وروى ابن ماجه والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَم تَظْهَر الفَاحِشَةُ في قَوم حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ الَّتِي لَم تَكُنْ مَضَت في أَسلافِهِم»[1].

ورَوَى أَبُو يَعْلَى والحَاكِم وصحَّحَهُ والبَيْهَقِي عن بُرَيدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ظَهَرَت الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إلاَّ سَلَّطَ اللَّه عَلَيْهِم الموتَ»[2].

وروى أبو يعلى والحاكم وصحَّحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا بُخِس المِكيَالُ حُبِسَ القَطرُ، وَإِذَا كَثُر الزِّنَا كَثُر القَتْلُ وَوَقَعَ الطَّاعُون»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ح (٤٠١٩) ٢/ ١٣٣٢، والداني في السنن الواردة في الفتن ح (٣٢٦) ٣/ ٣٩٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ١٩٧.
والحديث إسناده صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة برقم (١٠٦)، وصحيح سنن ابن ماجه ٣/ ٣١٦.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ح (٤٩٨٠) ٨/ ٣٩٦ بلفظ: (ما ظهر في قوم الزِّنى والرِّبا إلاَّ أحلّوا بأنفسهم عقاب الله) من حديث ابن مسعود مرفوعًا، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٣٦ من حديث بريدة مرفوعًا بهذا اللفظ، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٤٦، وفي شعب الإيمان ح (٣٣١٢) ٣/ ١٩٦ بنحوه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٠٣، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، =

والأحاديث في ذلك كثيرة، ومن أراد المزيد فليراجع كتابنا: **«تَحْقِيق الظُّنُون بِأَخْبَارِ الطَّاعُون»**[1].

قالوا: وهو مِن وَخْزِ[2] الجن، أي: طعنهم.

روى عبد الرزَّاق في مصنفه، وابن أبـي شيبة وأحمد بن حنبل في مسنديهما، وابن أبـي الدنيا، والبزار، وأبو يعلى، والطبراني، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وصحَّحه، والبيهقي في الدلائل من طرق عديدة عن أبـي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُون»، قِيلَ: يا رَسُول الله، هٰذَا الطَّعْنُ قَد عَرَفْنَاهُ، فَمَا الطَّاعُونُ؟ قال: «وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الجِنِّ، وفي كُلٍّ شَهَادَة»[3].

= والداني في السنن الواردة في الفتن ح (٣٢٥) ٣/ ٦٨٩ من حديث ابن مسعود موقوفًا.

(١) مخطوط ل/ ٣١ب ــ ٣٤ب ضمن مجموع عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس.

(٢) الوَخْزُ: طعن ليس بنافذ، ويقال أيضًا لكل شيء قليل: وَخْز. انظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ١٦٣، ولسان العرب [مادة: وخز].

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٩٥، والبزار في مسنده ح (٢٩٨٦) ٨/ ١٦، وأبو يعلى في مسنده ح (٧٢٢٦) ١٣/ ١٩٤، والطبراني في الأوسط ح (١٤١٨) ٢/ ١٠٩، والحاكم في المستدرك ح (١٥٨) ١/ ١١٤، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٣٨٤. قال الهيثمي في المجمع ٢/ ٣١١: رواه أحمد بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.
والحديث إسناده فيه ضعف، فيه جُبَارة بن المغلس، ضعَّفه ابن معين والبخاري وابن عدي. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٢٨٨.
ويشهد لِكَوْنِ الموت بالطَّاعون شَهَادَة حديث أنس الذي أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما يذكر في الطَّاعون ح (٥٧٣٢)، ولفظه: «الطَّاعون شهادة لكل مسلم»، وحديث عائشة ح (٥٧٣٤) بنحوه. وانظر في الكلام على =

وروى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبـي ﷺ قال في الطاعون: «وَخزٌ يُصِيبُ أُمَّتِي مِن أَعْدَائِهِم مِن الجِنِّ؛ غُدَّةٌ[1] كَغُدَّة الإِبلِ، مَن أَقَامَ عَلَيْهَا كَانَ مُرَابِطًا، وَمَن أُصِيبَ كَانَ شَهِيدًا»[2].

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: وهو الذي أوجب للأطبَّاء أن يقولوا ما قالوه؛ لأنَّ معرفة كون الطاعون من وخز الجن إنما يدرك بالتوقيف، وليس للعقل فيه مجال. ولما لم يكن عندهم في ذلك موقوف رأوا أنَّ أقرب ما يقال فيه إنه من فساد جوهر الهواء، ولما ورد الشرع وجاء نهر الله بطل نهر مَعْقِل[3].

وذهب جماعة من العلماء إلى أنَّ التداوي يفيد مع الطاعون، وينفع لعموم الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ الوارد في الأمر بالتداوي.

قال الإمام/ ابن حزم رحمه الله في الملل والنِّحل: صحَّ عن [٥ب] رسول الله ﷺ تصحيح الطب والأمر بالعلاج به، وأنه ﷺ قال: «تَدَاوَوا فَإِنَّ اللَّـهَ تَعَالى لَم يَخْلُق دَاءً إلاَّ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً إلاَّ السَّام»[4]، والسَّامُ: الموت.

= أسانيده: بذل الماعون لابن حجر ص ١٣٣ ــ ١٤٤.

(١) الغُدَّة: كل عُقدة في جَسَد الإنسان أَطَافَ بِهَا شَحْمٌ، وغدَّة الإبل: طاعون يصيب الإبل وقلَّما تسلم منه. انظر: النهاية لابن الأثير ٣/ ٣٤٣، ولسان العرب [مادة: غدد].

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ح (٤٤٠٨) ٧/ ٣٨٠، ح (٤٦٦٤) ٨/ ١٢٥.

(٣) فتح الباري ١٠/ ١٩١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٨٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٠٩، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح (٦٠٦٤) ١٣/ ٤٢٦.

قال: فاعترض قوم فقالوا: قد سبق في علم الله عزَّ وجلّ بنهاية أجل المرء، مدَّة صحَّته وسقمه، فأيّ معنى للعلاج؟

قال: فقلنا لهم: نسألكم هذا السؤال نفسه في جميع ما يتصرف فيه الناس من الأكل والشرب، واللباس لطرد البرد والحر، والسعي في المعاش بالحرث والغرس، والقيام على الماشية والحرفة بالتجارة والصناعة.

ونقول لهم: قد سبق علم الله تعالى بنهاية أجل المرء ومُدَّة صِحَّتِه، ومُدَّة سَقَمِه، فأيّ معنى لكل ما ذكرنا؟

فلا جواب لهم إلاَّ أن يقولوا: إنَّ علم الله تعالى أيضًا قد سبق بما يكون من كل ذلك، وبأنها أسباب إلى بلوغ نهاية العمر المقدَّرة.

فنقول لهم: وهكذا الطب، فقد سبق في علم الله تعالى أنَّ هذا العليل يتداوى، وأنَّ تداويه سبب إلى بلوغ نهاية أجله، فَالْعِلَلُ مُقَدَّرَةٌ، والزَّمانَة(١) مُقَدَّرَةٌ، والموت والعلاج مقدَّر، ولا مرد لحكم الله تعالى، ونافذ علمه في كل شيء من ذلك، لا إلـٰه إلاَّ هو. انتهى.

حيث علمت هذا فقد قال أئمة الطب كما نقله العلاَّمة ابن القيم في الهدي: إنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفَضْلِية، ويقلِّل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفّف من كل وجه إلاَّ الرياضة والحمام؛ فإنهما يجب أن يحذرا؛ لأنَّ البدن لا يخلو غالبًا من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، ويجب عند وقوع الطاعون

(١) الزَّمَانَة: العاهة، ورجل زَمِن، أي مُبْتَلَى بيِّن الزمانة. انظر: لسان العرب [مادة: زمن].

الدَّعة والسكون، وتسكين هَيَجَان الأخلاط[1].

وصرَّح رئيس الأَطبَّاء ابن سينا بأنَّ أول شيء يبدأ به في علاج الطَّاعون التشريط إن أمكن فيسيل ما فيه، ولا يترك حتى يجمد، فتزداد سُمِّيَّته.

قال: ويعالج الطَّاعون بما يَقْبِض ويبرد، وبالفَصْد[2]، وبِإِسْفِنْجَة مَغْمُوسة في خل وماء، ودهن وورد، ودُهن تُفَّاح، أو دهن آس. انتهى[3].

وقال شيخ الإسلام القاضي زكريا[4]: وقد أغفل الأَطبَّاء في عصرنا وما قبله هذا التدبير، فوقع التفريط الشديد من تواطئهم على عدم التعرُّض لصاحب الطَّاعون بإخراج الدم حتى شاع ذلك فيهم؛ حيث صار عامَّتهم يعتقد تحريم ذلك؛ مع أنَّ رئيسهم قال لمَّا ذكر العلاج بالشرط، أو بالفَصد: إنه واجب.

وذهب بعض الأَطبَّاء إلى المنع من الفصد مع أنَّ المرض دموي، وعلله بأنَّ الأبدان قد تخللها الوباء الهاوي، فَغَيَّر/ دِمَاءَهَا كلها فلا يفيد [٦أ] تنقيصها شيئًا؛ لأنها كلها فاسدة، ومتى استفرغها بجملتها هلك فلم يبق إلَّا التدبير الإِلٰهي بقلب المراد.

---

(١) زاد المعاد ٤/ ٣٥.

(٢) الفَصْد: شق العِرْق. انظر: لسان العرب [مادة: فصد].

(٣) القانون في الطب ٣/ ١٦٥.

(٤) له كتاب: «تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين»، مخطوط في مكتبة أسعد أفندي برقم (٣٥٦٧/ ٥)، اختصر به كتاب: «بذل الماعون في فضل الطَّاعون»، لابن حجر.

ولعلَّ الجمع بين هذا وبين كلام ابن سينا، أنَّ ذلك يعتبر باختلاف الأمزجة والأبدان، والبلدان، والأزمان، والطبيب الحاذق العارف لا يكاد يوجد في هذا الزمان وإنما الأدعياء.

فقد ذكر ابن أبي حاتم عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: لم أَرَ لِلوَبَاء أَنْفَع مِن البَنَفْسَج يُدَّهَن بِه، ويُشْرَب[1].

وزعم بعضهم أنَّ من تَخَتَّم باليَاقُوت، أَو عَلَّقَه عليه أَمِنَ شَرَّ الطَّاعُون!

وقال ابن سينا: قِشْرُ الأترج رائحته تصلح فساد الهواء والوباء، وسمن البقر إذا صُبَّ على الطواعين نفع منها، وشَرَاب الحَصْرَم[2] ينفع من الوباء شربًا. وعن بعضهم يترك على الفحم في زمن الوباء قشور الرمَّان والآس، ويرش عليها الخل.

قال السَّمَرْقَنْدي[3]: ويشرب كل غداة جِلابًا من شراب الحماض، أو الأترج، أو النارنج، أو الليمون، أو السفرجل، أو التفاح، أو الرمان

---

(١) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ص ٣٢٧، وأورد الخبر البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ١١٨.

(٢) يُسْتخرج من ورق العنب، ويستخدم لعلاج عدة أمراض. انظر: الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار ٢/ ٢٧٧.

(٣) هو: محمد بن علي بن عمر أبو حامد نجيب الدِّين السمرقندي، طبيب فاضل بارع، له في الطب تصانيف مشهورة، قتل بمدينة هراة إثر اجتياح التتر عام ٦١٩هـ.

ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص ٤٧٢، والوافي بالوفيات ٤/ ١٨٤، ومعجم المؤلفين ١١/ ٣١.

الحامض، من أَيِّها حُضِّر عشرة دراهم مع ماء الورد، أو ماء لسان الثور من كُلٍّ عشرة دراهم، ويُشَم الوَردُ والكَافُور والصَّنْدَل.

وقال بعضهم: الماء البارد شربه يمنع الوباء، ويطفىء الحرارة الحادثة عن الوباء، وفي كتاب: «**التِّبْيَان فِيمَا يُسْتَعْمَل مِنَ الأَغْذِيَةِ دَائِمًا أَيَّامَ الطَّاعُون**»: الخل والعدس والكَثَك، ويأكل القِثَّاء والخيار، وللترياق الأكبر في أيام الطَّاعون والوباء نَفْعٌ عظيم شربًا وطلاء، وبِعُشْرٍ يُدْفَع فَسَادُ الهواء أكلاً وشمًّا على الفطور، وبَزَر القطون ينفع للوباء بخورًا، وإذا بُخِّر به قطع كل رائحة عَفِنة من أي نوع كانت، وبخور [لايعة][1] ينفع الوباء بخورًا، ورائحته تقطع العفونة كيف كانت.

وأما الأذكار والأدعية، فقد ذكر العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: أنَّ الأرواح الشيطانية تتمكَّن من فعلها بالإنسان ما لم يدفعها دافع قوي من الذِّكر والدعاء والابتهال، والتضرُّع والصدقة وقراءة القرآن، وهذا يكون قبل استحكامها وتمكُّنها، فمن وفَّقه الله تعالى بادر عند إحساسه بأسباب الشرّ إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه، وهي له من أنفع الدواء.

وإذا أراد الله عزَّ وجلّ إنفاذ قضائه وقدره أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصوُّرها وإرادتها، فلا يَشْعُرُ بِهَا، وَلاَ يُرِيدُها، ليقضي الله فيه أمرًا كان مفعولاً[2]. وإذا وَقَعَ القَضَاءُ عَمِيَ البَصَر.

إذا علمت هذا، وعلمت أنَّ الطاعون من الجن، فقد وردت أحاديث بأذكار تحرس قائلها من كيد الجن، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل، اجتهدت في قراءتها.

(٢) زاد المعاد ٤/ ٣٣.

رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيطَانَ يَنْفِرُ مِن البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ»(١).

[٦ب] ورَوَى الحاكم عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ/ : «سُورَةُ البَقَرَةِ فِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ، لا تُقْرَأُ في بَيْتٍ وَفِيهِ شَيْطَانٌ إلاَّ خَرَجَ مِنْهُ؛ آيةُ الكُرْسِي»(٢).

وروى البَزَّار أنه ﷺ قال لعبد الله الأسلمي: «تَعَوَّذ بِقُل هُوَ اللَّـهُ أَحَد، وقُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق، وقُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، فَمَا تَعَوَّذَ العِبَادُ بِمِثْلِهِنَّ»(٣).

وَرَوَى الترمذي: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوِّذتان، فلما نزلتا أخذ بهما، وترك ما سواهما(٤).

وفي الصحيحين عن النبـي ﷺ: «مَنْ قَالَ لاَ إِلـهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ح (١٨٢١) كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ح (٢٨٧٨) كتاب فضائل القرآن ٥/ ١٤٥، والحاكم في المستدرك ح (٣٠٢٦) ٢/ ٢٨٥، وإسناده ضعيف فيه حكيم بن جُبير. قال أحمد: ضعيف الحديث، مضطرب. وقال الجوزقاني: كذاب. وضعفه ابن معين، وشعبة، والنسائي، وغيرهم. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٤٧٢.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ح (٧٨٤٥) ٤/ ٤٣٩، وقال الهيثمي في المجمع: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ٧/ ١٤٩.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ح (٢٠٨٥) ٤/ ٣٤٥، والنسائي في الكبرى ح (٧٩٣٠) ٤/ ٤٥٨، وابن ماجه في السنن ح (٣٥١١) ٢/ ١١٦١، وإسناده صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ٣/ ١٧٦.

شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، مِائَةَ مَرَّة كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَان يَوْمَه ذٰلِكَ حَتَّى يُمْسِي»[1].

وفي رواية للترمذي: «مَنْ قَالَ دُبُرَ صَلاَةِ الفَجْرِ وهُوَ ثَانِي رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّم: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّه، فَذَكَرَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّه لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَه في حِرْزٍ مِن كُلِّ مَكْرُوهٍ، وحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَان»[2].

ورَوَى مُسْلِم عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَال: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَق لَم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلْ»[3].

وفي بعض النسخ من الحلية عن الشافعي: «أَحْسَنُ مَا يُدَاوَى بِهِ الطَّاعُون التَّسْبِيحُ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ح (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده من حديث أبي هريرة، ومسلم في صحيحه ح (٦٧٨٣) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ١٧/ ١٩.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ح (٣٤٧٤) كتاب الدعوات، باب ٦٣ بنحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، والطبراني في الدعاء ح (٧٠٦) ٢/ ١١٢٢، وفي الكبير ٢٠/ ٦٥، وابن السني في عمل اليوم والليلة ح (١٤٢) ص ١٢٥ بنحوه.

قال الحافظ ابن حجر: «هذا حديث حسن غريب». نتائج الأفكار ٢/ ٣٠٥، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٠٩: «رواه الطبراني من طريق عاصم بن منصور، ولم أجد من وثقه ولا ضعفه، وبقية رجاله ثقات».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ح (٦٨١٧) كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوُّذ من سوء القضاء...

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٣٦.

ووجهه أنَّ الذكر يدفع العقوبة والعذاب. قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، وقال كعب: سبحان الله تمنع العذاب.

وقال بعض العارفين: دعاء يونس عليه السلام من ذكره في أيام الطاعون مائة وستًّا وثلاثين مرة حفظه الله تعالى من الوباء والطَّاعون، وهو لا إلـٰه إلَّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين؛ وهو اسم الله الأعظم[(١)].

وذكر الزركشي أنَّ بعض السلف كان يدعو عقب صلاته للنازلة: اللَّـٰهُمَّ إنَّا نعوذ بك من عظيم البلاء في النفس والأهل، والمال والولد، الله أكبر الله أكبر الله أكبر مما نخاف ونحذر، الله أكبر عدد ذنوبنا حتى تُغفر، اللَّـٰهُمَّ كما شَفَّعْتَ فِينَا نَبِيَّنَا محمدًا ﷺ فَأَمْهِلْنَا، وَعَمِّرْ بِنَا مَنَازِلَنَا، ولا تؤاخذنا بسوء أفعالنا، ولا تهلكنا بخطايانا يا رب العالمين.

وعن بعضهم مما ينفع للوباء: يا حيّ يا قيُّوم، ربَّنا اكشف عنَّا العذاب إنَّا مؤمنون، بسم الله ذي الشأن العظيم البرهان، الشَّديد السلطان، ما شاء الله كان، اللَّـٰهُمَّ إنِّي أعوذ بك من الطعن، والطَّاعون والوباء، اللَّـٰهُمَّ إنِّي أعوذ بك من موت الفجأة، وسوء القضاء، وجهد البلاء.

---

(١) نُصُوص الشَّارع الواردة في فضل الدعاء باسم الله الأعظم غير صريحة في تحديد هذا الاسم، وكذا الوارد من آثار عن الصحابة والتابعين.
انظر: شأن الدعاء للخطابي ص ٢٥، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٠، وأضواء البيان ٤/ ٤٥٠، والنهج الأسمى للحمود ١/ ٦٣ وما بعدها، واسم الله الأعظم د. عبد الله الدميجي ص ١١٣ ــ ١٢٨.

وعن بعضهم لدفع الوباء يُكتب ويُعلق على الشخص[1]: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، اللَّـهُمَّ سَكِّن هَيْبَةَ صَدْمَةِ قَهْرَمَان الجَبَرُوت بألطافك/ الخَفِيَّة الوَارِدَة النَّازِلَة [٧أ] من باب الملكوت حتى نَتَشَبَّثَ بِلُطْفِك، ونَعْتَصِم عَن إِنْزَال قُدْرَتِك، يا ذا القدرة الكاملة، والرحمة الشاملة، يا ذا الجلال والإكرام.

وذكر بعض العارفين نحوًا من الأسماء أنَّ اسمه تعالى **المؤمن**: مَنْ ذَكَره كل يوم مائة وستًّا وثلاثين مرة أَمِن شر الطَّاعون. **الحكيم**: مَنْ ذَكَره في أيام الوباء كل يوم ثمانيًا وثمانين مرة أمن شر العلَّة الوبائية. **الحفيظ**: مَنْ ذَكَره كل يوم ثمانمائة وتسعين مرة كان محفوظًا من الوباء والطاعون. **الرقيب**: مَنْ ذَكَره أيام الوباء كل يوم ثلاثمائة مرة، واثني عشر مرة عصمه الله في سائر حركاته وسكناته من علَّة الطعن والطاعون.

وعن بعضهم من قال في أيام الوباء: اللَّـهُمَّ يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير، مائة وستًّا وثلاثين مرة أَمَّنَهُ اللَّـه مِن وَخْزِ الطَّاعون، وآفات البلاء[2].

---

(١) تَعْلِيقُ التَّمَائِمِ الْمُشْتَمِلَة على آيٍ من الكتاب العزيز، وأدعية من السنَّة النبوية مسألة اختلف العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في جوازها؛ وممن ذهب إلى جوازها ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها وأبـي جعفر الباقر، وأحمد بن حنبل في بعض الروايات عنه، وهو ظاهر اختيار الإمام ابن تيمية والحافظ ابن القيم.

راجع إن شئت: زاد المعاد ٤/ ٢٧٢ وما بعدها، تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧ وما بعدها.

(٢) التَّقَيُّد في الأدعية والأذكار بعدد معين، أو وصف خاص، أو الالتزام بمكان =

بهذا، اعلم أيَّدك الله أنَّ كلام المنجِّمين في الإخبار بالطاعون وغيره من الحوادث كَذِبٌ وبُهْتَانٌ، وَظَنٌّ وَحُسْبَانٌ، ولا يجوز تصديقهم في ذلك، والمُصَدِّقُ لَهُم أَحْمَق، أو ذُو تَغْفِيل مُحَقَّق، كيف لا والله سبحانه يقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، ويقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَه بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَر بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد»[1].

وروى مسلم عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَن شَيْءٍ لَم

= محدد مع ترتيب الفضل على المداومة عليه في حال من الأحوال يحتاج إلى ثبوت نَصٍّ من الشَّارِع، فيه حَفْزُ النَّاس على الالتزام به؛ لتحصيل ثواب، أو رفع بلاء.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن يَسُن للناس نوعًا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس». انظر: مجموع الفتاوى ٢٢/ ٥١١، تصحيح الدعاء ص ٤٢ وما بعدها.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٢٩، والترمذي في جامعه ح (١٣٥) ١/ ٢٤٢ بنحوه، وابن ماجه في السنن ح (٦٣٩) ١/ ٢٠٩، والحاكم في المستدرك ح (١٥) ١/ ٤٩، والدارمي في سننه ح (١١٢٤) ١/ ٢٧٣، وأبو يعلى في مسنده ح (٥٤٨) ٩/ ٢٨٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٥، وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ١١٨: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خَلا هبيرة بن مريم، وهو ثقة.

تُقْبَلْ صَلاَتُهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَة»[1].

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُوم اقْتَبَس شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ»[2].

وروى الإمام أحمد من حديث سمرة رضي الله عنه أنَّ النبـي ﷺ قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رِجَالاً يَزْعُمُونِ أَنَّ كُسُوف هٰذِهِ الشَّمْسَ، وكُسُوفَ هٰذَا القَمَر، وزَوَالَ هٰذِهِ النُّجُوم عَن مَطَالِعِهَا لِمَوْتِ رِجَالِ عُظَمَاء مِن أَهْلِ الأَرْضِ، وَإِنَّهُم قَد كَذَبُوا، وَلٰكِنَّهَا آيَاتٌ يَعتَبِر بِهَا عِبَادُه لِيَنْظُر مَنْ يُحدث لَه مِنْهُم تَوْبَة»[3].

ومما يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ المُنَجِّمين إجماعُهُم عندما تَمَّ بِنَاءُ بغداد أن لا يموت بها خليفة، وشاع ذلك الأمر حتى هَنَّأ الشُّعَرَاء الخليفة المنصور[4] بذلك، ثم قوي هذا الظن لما مات المنصور بطريق مكة، ثم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ح (٥٧٨٢) كتاب الطب، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٢٢٧، وأبو داود في السنن ح (٣٩٠٥) ٤/ ٢٢٦ كتاب الطب، وابن ماجه في السنن ح (٣٧٢٦) ٢/ ١٢٢٨ كتاب الأدب، وابن أبـي شيبة في مصنفه ٥/ ٢٣٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٦، وابن خزيمة في صحيحه ح (١٣٩٧) ٢/ ٣٢٥، والطبراني في الكبير ح (٦٧٩٧) ٧/ ١٨٨، وإسناده فيه ضعف لجهالة ثعلبة بن عباد، ذكره ابن المديني في المجاهيل الذين يروي عنهم الأسود بن قيس، وكذا قال ابن حزم، وتبعه ابن القطان. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٢٧٢.

(٤) هو: عبد الله بن محمد بن علي أبو جعفر المنصور، الخليفة العباسي، بويع له =

[٧ب] قوي لما مات المهدي خارجًا عنها، وكذلك الهادي،/ والرشيد، فلما قتل بها الخليفة الأمين انخرم هذا الحكم، ورجع القائل يقول:

كَذَبَ المُنَجِّمُ فِي مَقَالَتِهِ الَّتِي نَطَقَت عَلَى بَغْدَادَ بِالْبُهْتَانِ
قُتِلَ الأَمِينُ بِهَا لَعَمْرِي يَقْتَضِي تَكْذِيبُهُم فِي سَائِرِ الحُسْبَانِ

ثُمَّ مات بها الواثق بالله، والمتوكِّل على الله، والمعتمد بالله، والمكتفي بالله، والناصر لدين الله، وظَهَرَ لِكُلِّ عَاقِلٍ تَنَاقُضُ قَولِ المُنَجِّمِين، وشَنِيعُ كذبهم، وافترائهم فيما أجمعوا عليه.

وأمَّا مَا اختَلَفُوا فيه وقَطَع به بَعضُهُم دون بعض فلو حكيناه عنهم على ما ذكره الإمام ابن الجوزي وغيره لكان أمرًا يُضحك منه.

وما أحسن قول القائل:

أَطُلَّابَ النُّجُومِ أَحَلْتُمُونَا عَلَى عِلْمٍ أَرَقَّ مِنَ الهَبَا
كُنُوزُ الأرضِ لم تَصِلُوا إِلَيْهَا فَكَيْفَ وَصَلْتُمُ عِلْمَ السَّمَا

وقول البهاء زهير[1]:

وَاعْزِم مَتَى شِئْتَ فَالأَوْقَاتُ وَاحِدَةٌ لا الرَّيْبُ يَدفَعُ مَقْدُورًا وَلاَ العَجَلُ

= بالخلافة عام ١٣٦هـ، ودامت ولايته اثنين وعشرين سنة، عُرف بقيامه على أحوال الناس، على ظُلم اعتراه في ذلك منه لهم، وثِقَةٍ بالمنجمين. مات عام ١٥٨هـ.

ترجمته في: تاريخ بغداد ١/ ٦٣ وما بعدها، المنتظم ٨/ ١٩٩، البداية والنهاية ١٠/ ٩٩.

(١) زهير بن محمد بن علي بهاء الدين المهلبي العتكي. وُلِد سنة ٥٨١هـ، شاعر كاتب عند الملك الصالح أيوب، له ديوان شعر مطبوع. مات عام ٦٥٦هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٢.

لَا تَرْقُبِ النَّجْمَ فِي أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ ... فاللّٰه يَفْعَلُ لَا جَدْيٌ وَلَا حَمَلُ
مَعَ السَّعَادَةِ مَا لِلنَّجْمِ مِنْ أَثَرِ ... فَلَا يَضُرُّكَ مَرِّيخٌ وَلَا زُحَلُ
الأَمْرُ أَعْظَمُ وَالأَفْكَارُ حَائِرَةٌ ... وَالشَّرْعُ أَصْدَقُ والإِنْسَانُ يَمْتَثِلُ

وفي هذا القدر كفاية للمعتبر، وهداية للمستبصر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال مؤلفه مَرعِي بن يُوسُف الحَنْبَلِي سامحه الله تعالى: فَرَغتُ مِن رَقْمِ هٰذه الفوائد ليلة الأحد بعد العشاء الآخرة بِنَحوِ أَرْبَعِينَ دَرَجَة حادي عشر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وألف، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم[1].

* * *

(١) أنهيتُ بحمد اللّٰه وفضله قراءة رسالة: **«ما يفعله الأَطبَّاء والدَّاعون بدفع شرِّ الطَّاعون»**، والتعليق على نَصِّهَا، مُجْتَنِبًا الإطالة وإثقال الحواشي، عَشِيَّةَ يوم السبت غرَّة شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ.

قاله أفقر الورى إلى عفو ربه ورحمته
خالد بن العربي مُدْرِك العَرُوسي
غفر الله له ولوالديه

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رسالة «إخلاص الوداد»

الموضوع	الصفحة

رسالة «ما يفعله الأطبَّاء والدَّاعون»

• • •

لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(١٩)

القَوْلُ المَعْرُوف
فِي فَضْلِ ٱلمَعْرُوفِ

لِلْعَلَّامَةِ مَرْعِي بن يُوسُف ٱلكَرْمِي ٱلمَقْدِسِيّ ٱلحَنْبَلِيّ
توفي سنة ١٠٣٣هـ رحمه الله تعالى

اعتنى به وخرّج أحاديثه
مُحَمَّد أَبُو بَكْر عَبْد ٱللّٰه بَاذِيب

عن نسخة أصليّة بخطّ مصنّفه

ساهم بِطَبْعِهِ بَعض أَهلِ الخيرِ من الحرمينِ الشَّرِيفَينِ ومحبّيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

في رحاب المسجد الحرام، وفي أجواء العشر الأواخر من الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، في تلك الأجواء الإيمانية البديعة، تجتمع نخبة من أهل الفضل والعلم[1]، تتباحث في مسائل العلم وأحوال التراث الإسلامي الذي لا يزال مغمورًا في بحار النسيان، وكل منهم يدلي بدلوه في هذا المضمار، فينقِّب عن تلك الكنوز، ويبحث في أعماق الفهارس عن درر تلك المصنفات التي تشبه بالدرر في باطن الأصداف. وهذا من العمل المبرور والسعي المشكور، جزا الله من يقوم عليه خير الجزاء.

وقد أسعدني الحظّ بتعرُّفي على هؤلاء الإخوة والشيوخ الكرام أهل العلم والفضل، فرحَّبوا بـي أيَّما ترحيب، وحدثتهم عن هذه الرسالة وعن

(١) وهم: الشيخ الفاضل نظام محمد صالح يعقوبـي من علماء البحرين؛ والبحاثة الأخ العزيز الشيخ محمد بن ناصر العجمي، الكويتي، صاحب المصنفات الممتعة؛ والأستاذ الفاضل رمزي سعد الدين دمشقية، صاحب «دار البشائر الإسلامية»، الذي ما فتىء ينشر العلم ويخرج الكتب النافعة في أبهى الحلل؛ وأستاذي العزيز، صاحب الأفضال الكثيرة عليَّ، الشيخ أبو أحمد مجد بن أحمد مكي الحلبـي، الذي يعتبر منزله في جدة نافذة للاتِّصال والاجتماع بأهل العلم والفضل من أنحاء العالم الإسلامي، وهو الواسطة في تعرُّفي بمن ذكرت، فله مني أجلّ تقدير واحترام.

النسخة التي لدي، وكانوا قد عزموا على نشرها اعتمادًا على النسخة المصرية، وكلَّفوا بذلك العمل بعضَ الإخوة، ولكوني قد قمت بالعمل في هذا الكتاب وخرَّجت أحاديثه، فحرصًا منهم على حفظ الجهود وعدم تكرر العمل: أوعزوا إليَّ بإتمام عملي فيه.. فقمتُ بذلك وأتممته على الوجه الذي يراه القارىء الكريم، فأرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وأرجو أن يكون عملي خالصًا لوجه الله الكريم.

ولهذه النخبة مني كل شكر وتقدير على ترحيبي بينهم، أعانانا الله وإياهم، ووفَّقنا لخدمة ديننا الحنيف، وخدمة تراثنا الإسلامي وعلوم أسلافنا الصالحين، آمين اللَّـهُمَّ آمين.

محمد أبو بكر باذيب

جُدة، غرة شوال ١٤٢٠هـ

تمهيد

من معاني المعروف ومدلولاته

قال ابن منظور[١]: (والمعروف: ضد المنكر، والعُرف والمعروف: الجود، وقيل: اسم ما تبذله وتسديه، وقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، أي: مصاحبًا معروفًا، قال الزجاج: المعروف هنا: ما يستحسن من الأفعال.

وقد تكرر ذكر المعروف في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات، وهو من الصفات الغالبة، أي: أمر معروف بين الناس، إذا رأوه لا ينكرونه. . .)[٢].

وقال ابن العربي[٣]: (حقيقة المعروف: المعلوم، لكنه أطلق في العربية على خير منفعة يستحمدها جميع الناس مما يجب على المرء فعله أو يستحب، ومعنى تسميته بذلك: أنه أمر لا يجهل، ومعنًى لا يختلف فيه كل أحد). انتهى[٤].

---

(١) ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري (٦٣٠ ـ ٧١١) صاحب لسان العرب، ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة.

(٢) انظر مادة (عرف) من اللسان.

(٣) القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي: محمد بن عبد الله المعافري (٤٦٨ ـ ٥٤٣)، صاحب «أحكام القرآن». الأعلام ٦/ ٢٣٠.

(٤) فيض القدير ٢/ ٤٤١ حديث (٢٢٤٥).

وللقصري[1] ـ رحمه الله ـ معنى لطيف وتعبير رائق عن المعروف، كتبه بقلم الحكيم العارف، فقال رحمه الله تعالى: (المنكر والمعروف ضدان، كالليل والنهار، إذا ظهر هذا غاب هذا، وفي ذلك حكمة عظيمة لمن تفطن لها، فإن المعروف مأخوذ من (العُرف) الذي هو: العادة التي عرفها الناس، والمنكر: هو الذي أنكرته العقول والقلوب عند رؤيته، فالمنكر لا أصل له فإنه مجهول ومنكور في أصل الخلقة.

فإن المعروف الحقَّ الذي لم يزل ولا يزال: هو اللّـٰهُ. ومخلوقاتُه في الملك والملكوت والعرش والجبروت لم تعرفْ إلاَّ إيَّاه ربًّا، ولم تعرفْ طاعةً إلاَّ طاعته، فكان التعبد له والقيام بحقه هو المعروف فقط.

فلما خُلق آدم عليه السلام وخلق إبليس وذريتهما وحدثت المعاصي عند الثقلين، صار العصيان منكرًا، أي: أنكره العقل؛ لأنه لم يألفه ولم يعهده، وليس له أصل في العرف المتقدِّم.

ولهذا.. إذا كان المنكر مخفيًّا غير ظاهر لا يضر غير صاحبه الذي ظهر على قلبه وجوارحه فقط؛ لأنه شبيه بأصله لم يعرفه أحد، فإذا ظهر وفشى: وجب تغييره وردّه إلى أصله بإنكار النفس واللسان واليد، حتى لا يبقى إلاَّ المعروف الذي لم يزل معروفًا قديمًا وحديثًا). انتهى[2].

هـذا نـزر مـن معـانـي المعـروف ومـدلـولات هـذه الكلمـة الحـاويـة لأصناف وأنواع البر والخير والإحسان، ومن أراد التوسع فعليه بمعاجم اللغة وقواميسها يجد فيها الكثير والكثير.

* * *

(١) القصري: فتح بن موسى الجزيري المصري، توفي سنة ٦٦٣، الأعلام.

(٢) فيض القدير ٢/ ٤٤١، شرح الحديث رقم (٢٢٤٥).

ترجمة المصنف[1]: الشيخ مرعي الكرمي
(٠٠٠ ـ ١٠٣٣هـ = ٠٠٠ ـ ١٦٢٤م)

مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف الكرمي ثم المقدسي ثم المصري الحنبلي.

قال المحبِّي: كان فقيهًا محدِّثًا ذا اطِّلاع واسع على نقول الفقه ودقائقه، ومعرفة تامَّة بالعلوم النقلية والعقلية، وجميع العلوم المتداولة له فيها اليد الطولى.

والكرمي: نسبة لطور كرم[2] قرية بقرب نابلس، ولد بها، ولم يذكر كل من ترجم له سنة مولده.

---

(١) اعتمدت فيما نقلته على: السحب الوابلة لابن حميد النجدي ط: مكتبة الإمام أحمد ١٤٠٩هـ: ٢٦٣ ـ ٢٦٧، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٠٣، ومقدمة كتاب إرشاد ذوي العرفان للمصنف، لبسام الجابي، ونقل فيها الترجمة التي وضعها الشيخ شعيب الأرنؤوط للمصنف ونشرت في مجلة البصائر (العدد الخامس) وفيها تفصيل ذكر مؤلفاته ما طبع وما هو مخطوط منها مع ذكر أماكن وجودها.

(٢) وهي المعروفة اليوم بـ (طول كرم)، باللام، تقع شمال غرب نابلس، بينها وبين البحر سهول خصبة، كانت تسمَّى في عهد صلاح الدين الأيوبي «الطراز الأخضر». بسام الجابي، مقدمة إرشاد ذوي العرفان.

مـذهـبـه:

كان رحمه الله يقلد في الفروع مذهب إمام أهل السنَّة أحمد بن حنبل، لا يكاد يخرج عنه قِيد شعرة، وكان محققًا للمسائل، عارفًا بالمذهب، عاشقًا له، وفي ذلك يقول:

لئن قلد الناس الأئمة إنني ... لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغب
أقلد فتواه وأعشق قوله ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

قال في «النعت الأكمل»: وكان الشيخ في الاعتقاد على مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم من التسليم المطلق للنصوص، وعدم تأويلها وصرفها عن ظاهرها كما يظهر جليًّا في كتابه: «أقاويل الثقات».

شيوخه ومنصبه:

أخذ عن عدد من الشيوخ ببيت المقدس، منهم:

١ ـ الشيخ محمد المرداوي.

٢ ـ والقاضي يحيى الحجاوي.

ودخل مصر واستوطنها وأخذ بها عن:

١ ـ الشيخ محمد حجازي الواعظ (**٩٥٧ ـ ١٠٣٥**).

٢ ـ والشيخ المحقق محمد الغنيمي.

وعن كثير من الشيوخ المصريين، وكلهم أجازوه، وتصدَّر للإقراء والتدريس بجامع الأزهر، ثم تولَّى المشيخة بجامع السلطان حسن.

مؤلفاته:

قال في السُّحُب: كان منهمكًا على تحصيل العلوم انهماكًا كليًا،

فقطع زمانه بالإفتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف، فسارت بتآليفه الركبان، ومع كثرة أعدائه وأضداده ما أمكن أحدًا أن يطعن فيها ولا أن ينظر بعين الازدراء إليها.

وعدد في السُّحُب نحو سبعين كتابًا من تآليفه، وميَّز الأستاذ شعيب الأرنؤوط في ترجمته للمصنف ما طبع منها مما لا يزال مخطوطًا، وما له وجود مما لم يوجد في المكتبات العالمية.

(أ) فممَّا طبع منها:

١ ــ غاية المنتهى، في الفقه، متن جمع فيه من المسائل أقصاها وأدناها، مشى فيه على سنن المجتهدين في التصحيح والاختيار والترجيح. طبع في دمشق ١٩٥٩م، في ثلاثة أجزاء، صادرًا عن دار السلام.

٢ ــ دليل الطالب، في الفقه، اختصره من «منتهى الإرادات» لابن النجار الحنبلي، نشره المكتب الإسلامي سنة ١٩٦١م بتعليقات الشيخ محمد بن مانع.

٣ ــ أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات المتشابهات، نشرته مؤسسة الرسالة بتحقيق الأستاذ شعيب الأرنؤوط[١].

٤ ــ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، نشرته دار الرسالة بتحقيق نجم عبد الرحمن خلف.

---

(١) علمت من بعض الإخوة أن بعض الباحثين قام بتحقيق هذا الكتاب وقدمه كرسالة علمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأن فيه ترجمة موسعة للمصنف، ولم أقف عليه بعد.

٥ ــ إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان. طبع مرة بتحقيق مشهور سلمان، وأخرى بتحقيق بسام الجابـي، وصدر عن دار ابن حزم ١٤١٤هـ.

٦ ــ الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق محمد الصباغ، ط: المكتب الإسلامي ١٩٧٧م.

وقد طبع له مؤلفات أخرى، لا أطيل بذكرها.

(ب) ومما لا يزال مخطوطًا:

١ ــ تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، منه نسخة في باريس ١٠٢٦، وفي (باتنة) ٢/ ٤٢٨.

٢ ــ تشويق الأنام إلى حج بيت الله الحرام، منه نسخة في لايبزغ (ألمانيا الشرقية) ٢٧٧.

٣ ــ إحكام الأساس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٦٩]. منه نسخة في دار الكتب المصرية، فهرست الخديوية ٣/ ٢٧٠.

٤ ــ رسالة فيما وقع في كلام الصوفيين من ألفاظ موهمة للتكفير، منه بدار الكتب المصرية، فهرست الخديوية ٧/ ٥٤٦.

٥ ــ قلائد العقيان في فضائل سلاطين آل عثمان. فرغ منه سنة ١٠٣١، منه نسخة في (فيينا) ٩٧٩ و ٩٨٠، وفي باريس ١٦٢٤ و ٤٩٢٦، وبالهند والرباط والموصل.

هذا، وفي ترجمة المصنف في مجلة البصائر (العدد الخامس)

تفصيل لا بأس به لمصنفاته المطبوعة والمخطوطة ومواضع وجودها في المكتبات، فليرجع إليها من أراد التوسع.

وفـاتـه:

توفي رحمه الله بمصر، في ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف (١٠٣٣هـ) من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم وتحية.

قال فيه صاحب النعت الأكمل:

سقـى الله تـربًـا ضمَّـه وابـل الحيـا   بجنـات عـدن آمنًـا مـن مخـاوف
ولا زال رضـوان الإلـه مبـارِكًـا   ثرى ضمَّه ما حنَّ بيت لطائف

* * *

هذا الكتاب

عبارة عن أربعين حديثًا جمعها مصنفها في فَضل عمل المعروف ومساعدة الآخرين، غالبها من الجامع الصغير للسيوطي وقليل منها لم ترد فيه.

وهذه الأربعين الحديث مفيدةٌ في بابها، وإن كان المصنف قد سبق في هذا المضمار من علماء متقدِّمين، وحفَّاظ كبار قد جمعوا هذه الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع في أجزاء حديثية مستقلة، وفيما يلي ذكرهم.

ذكر من صنف في الموضوع:

لعل أول من صنف كتابًا في أحاديث المعروف وفضل قضاء الحوائج: هو الإمام المحدث الشهير أبو بكر بن أبي الدنيا (توفي حدود ٢٨٠) في كتابه (قضاء الحوائج) وفيه ١١٧ ما بين حديث وأثر في الموضوع، وقد طبع بتحقيق مجدي السيِّد إبراهيم، وصدر عن مكتبة القرآن بمصر، ولم يعتن المحقق بالتخريج كل العنثية.

وهناك الحافظ أبو الغنائم محمد بن علي النرسي (ت ٥١٠) في جزء حديثي سمَّاه: «ثواب قضاء حوائج الإخوان»، طبع بتحقيق الدكتور عامر

حسن صبري، وصدر عن دار البشائر الإسلامية ١٤١٤هـ، ضمن سلسلة الأجزاء الحديثية ، ويظهر جليًا جهد المحقق في التخريج والعزو.

هذا ما وقفت عليه من المصنفات في هذا الموضوع، أما موضوع «مكارم الأخلاق» وهو عام يشمل ما نحن بصدده وغيره فالكتب فيه كثيرة، وقد تكفل الدكتور فاروق حمادة باستعراض عدد منها في مقدمة تحقيقه لمكارم الأخلاق للحافظ الطبراني، الصادر عن دار الثقافة بالمغرب (الدار البيضاء).

وصف النسخة الخطية :

عثرت على نسخة أصلية للكتاب وهي بخط المصنف، بمنزل جدي لأمي المرحوم عوض بن معروف باذيب(١) في مكتبته الخاصة ببلدنا (شبام حضرموت)، إحدى أقدم وأشهر البلدان الحضرمية الواقعة في (جنوب اليمن).

---

(١) هو جدي لأمي الشيخ الفاضل أحد العقلاء وأهل الرأي والمشورة ببلده: عوض بن معروف بن محمد باذيب الشَبَامي. مولده بشبام حضرموت سنة ١٣١٤ للهجرة، وبها وفاته سنة ١٤٠٢ رحمه الله تعالى.
وهذه الرسالة وجدته" ضمن ما تبقَّى من كتب المذكور التي ورثها عن آبائه، إذ أحرقت الكثير والكثير من كتب أهل حضرموت في عهد الشيوعية المظلم ــ الذي انتهى وزال قبل عشر سنوات من اليوم ــ فقد٢كان الناس آنذاك ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، وقد زال هذا الكابوس بحمد الله وتنفَّس أهل حضرموت الصعداء بعد أن كتمت أنفاسهم طوال ربع قرن مضى، فالحمد لله ثم الحمد لله.
وقد وضعت فهرسًا لما وقفتُ عليه من المخطوطات في بلدتي المذكورة لا يزال في طَوْر الإعداد، يسَّر الله إتمامه.

تقع النسخة في ٣٤ صفحة من القطع المتوسط، مسطرتها بين ٩ و ١٠ أسطر، بخط نسخي واضح، كتبها جامعها سنة ١٠٣١ هجرية، أي قبل وفاته بسنتين بالجامع الأزهر، كتب على صفحة العنوان ما مثاله:

كتاب القول المعروف في فضل المعروف

رقمه بخطه مصنفه

برسم سيدنا شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام، فخر الموالي العظام، مفرد الزمان إلَّا أنه قائم مقام الجمع، والمستغرق لأوصاف الإنسان عند كل منطق وسمع، الحبر الذي فاق بصفاته الأوائل، والبحر المشتمل بذاته على جواهر الفضائل، مولانا صدر الدين زاده، لا زال ممن إذا مد يراع قلمه أفرغ فرائد من البحور، وجعلها بعزائم هممه قلائد بيض النحور).

ويظهر من هذا أنَّ المصنف ألفه وأهداه لمن ذكر، ولكني لم أحظ بترجمة لـ (صدر الدين زاده) هذا، ويظهر أنه من العلماء لتلقيبه له بـ (شيخ الإسلام).

وفي آخر النسخة:

(تم بخط المؤلف مرعي الحنبلي المقدسي خادم الفقراء بالجامع الأزهر، في أوائل ذي الحجة من شهور سنة إحدى وثلاثين وألف)

وذيَّلها بفائدة في نحو ستة عشر سطرًا، تدور حول الموضوع، وقد جعلتها في الحاشية ولم أحذف منها شيئًا.

وتوجد نسخة أخرى من الكتاب بدار الكتب المصرية، الخزانة التيمورية ٢٧٢ مجاميع، وتقع في خمس ورقات بخط نسخي معتاد، وعدد

مسطرتها ٢٥ سطرًا، ولم يكتب اسم الناسخ ولا سنة النسخ، ولا يوجد بينها وبين نسخة الأصل فروق جوهرية[1].

عملي في الكتاب:

قمتُ بنسخ الأحاديث، وضبطها، ورجعتُ إلى الكتب الحديثية لعزوها وتخريجها، وذكرت ما قاله المحدِّثون وأهل الجرح والتعديل في إسناد كل حديث غالبًا، من كلام على الرجال ونحو ذلك، وذلك باختصار بقدر الإمكان.

وعلَّقت بعض الفوائد على بعض الأحاديث نقلاً عن «فيض القدير» للعلاَّمة المناوي على الجامع الصغير للسيوطي، حيث إن معظم الأحاديث وردت فيه.

ولم أترجم للصحابة الرواة لشهرتهم، ولتوفر مصادر تراجمهم كالإصابة وغيرها، كذلك لم أترجم لشيوخ المصنف واكتفيت بالعزو إلى المصادر.

وقدَّمت لهذا العمل بمقدمة مختصرة، وترجمت للمصنف، ووصفت النسخة الخطية التي حصلت عليها، وعملت في آخر الكتاب فهارس للأحاديث الشريفة الواردة مرتبًا لها هجائيًا، يتلوه فهرس المراجع، ثم الفهرس العام.

وإني لأرجو بعملي هذا أن أدخل في بركة الحديث الشريف وأهله، وشرف المنتسبين إليه، وما قمت به إنما هو جهد المقِل، وأستغفر الله من كل خطأ وتقصيره لي ولوالدي ولشيوخي وكافة المسلمين.

---

(١) وقد أتحفني بمصورة منها الأخ الباحث خالد مدرك المغربي، فجزاه المولى عني خير الجزاء.

سندي إلى المصنف:

أروي هذا الكتاب عن الشيخ العالم الفاضل نظام بن محمد صالح يعقوبي البحريني قراءة، وإجازة، وهو يرويها عن مسند العصر الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي رحمه الله، عن الفقيه الشيخ محمود السيِّد الدومي الحنبلي الدمشقي، عن شيخه الشيخ مصطفى الشطي، عن أبيه الشيخ أحمد الشطي، عن أبيه حسن بن عمر الشطي، عن مصطفى الرحيباني، عن الشيخ أحمد البعلي الحنبلي، عن العلاَّمة الشيخ عبد القادر التغلبي الحنبلي، عن العلاَّمة المسند عبد الباقي البعلي الحنبلي الدمشقي، عن الشيخ المصنف، رحمهم الله أجمعين.

وبهذا السند أروي هذا الكتاب وسائر تصانيف الشيخ مرعي الكرمي[1].

وللشيخ ياسين الفاداني أسانيد وطرق أخرى لا أطيل بذكرها، ومن أرادها فليراجع مصنفاته المطبوعة، وهي كثيرة وشهيرة.

وصلَّى الله على أشرف خلقه وأكرم عبيده سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

سبحان ربك ربِّ العزَّة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد للّٰه رب العالمين.

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب الحضرمي

جُدة يوم الجمعة ثاني أيام عيد الفطر المبارك

من عام ١٤٢٠ للهجرة

---

(١) انظر (إتحاف المستفيد بغرر الأسانيد)، للشيخ محمد ياسين الفاداني (توفي ١٤١٠هـ)، ط: دار البصائر.

صورة أول مخطوطة المصنف

صورة آخر مخطوطة المصنف



القول المعروف

في فضائل المعروف

تصنيف أحقر الورى وأذل الفقراء

مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي

عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع إليه معروف

فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء رواه الترمذي

وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم من أعطي عطاء

رواه الترمذي

كتبت السواد لمقلتي فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

صورة أول مخطوط دار الكتب

... الناس بذكر ما هنا ... عبد الرزاق والبيهقي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البر لا يبلى والإثم لا ينسى
والديان لا يموت فكن كما شئت كما تدين تدان ... إمامنا
أحمد عن مالك بن دينار قال مكتوب في التوراة كما تدين تدان
وكما تزرع تحصد و... الديلمي في مسند الفردوس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال مكتوب في التوراة الإنجيل كما تدين تدان
وبالكيل الذي تكيل يكال لك وفي هذا القدر كفاية وذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قال مؤلفه سامحه الله
فرغت من جمعه بعد عشاء الآخرة سادس عشر محرم سنة إحدى وثلاثين

كتاب ما يفعله الأطباء والداعون
بدفع شر الطاعون

تصنيف مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
قال العبد الفقير إلى الله الغفار مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
الحمد لله النافع الضار خالق الداء والدواء والنافع والمضار بيده النفع والضر
والخير والشر والنهي والأمر الحكيم القهار والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وأفضل المتوكلين المستسلم للقضاء والأقدار وعلى آله وأصحابه أولي السماح والربح
والتيقظ والاعتبار وبعد فقد سئلت في جمع أدعية وأذكار تستعمل
للطاعون وهل ذلك يفيد وهل الطب له مدخل فيه أم لا وقد أحببت أن أذكر
شيئا من ذلك مع زيادة فوائد وجمع فرائد طلبا للثواب ونفعا للأصحاب
فأقول وبالله المستعان وعليه التكلان لا رب غيره ولا مأمول إلا خيره
اعلم أن العلماء اختلفوا هل يفيد التداوي للطاعون وهل ينفع فيه ما

ورد

صورة آخر مخطوط دار الكتب

لِقاءُ العشْرِ الأواخِرِ
بِالمسْجِدِ الحَرامِ
(١٩)



لِلْعلَّامَةِ مَرْعي بن يُوسُف الكَرْمي المَقْدسِي الحَنْبليّ
توفي سنة ١٠٣٣هـ رحمه الله تعالى

اعتنى به وخرّج أحاديثه
مُحَمَّد أَبُو بَكر عَبْد الله بَاذِيب

عن نسخة أصليّة بخطّ مصنِّفه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقـدِمَة المؤلف

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي لطف الله به آمين:

الحمد لله الآمر بالمعروف، الغافر الموصوف، الباعث رسله بمكارم الأخلاق والمعجزات الألوف، الذي يحب المحسنين ويحب المتصدقين، ومن هو بالمساكين برٌّ عطوف.

والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد خير آلف ومألوف، القائل: «**إن الله تعالى يحب إغاثة الملهوف**»[1]، وعلى آله وصحبه الذين كل منهم رحيم رؤوف.

وبعد، فقد أحببت أن أجمع بعض أحاديث تتعلق بفضل المعروف وإغاثة الملهوف تسر الناظر والخاطر وتقرُّ بها العين الباصرة بقصد الترغيب في فعل المعروف والتحبيب في إغاثة الملهوف، وسميته:

---

(١) قوله: «إن الله يحب إغاثة الملهوف»، لم يرد حديث بهذا اللفظ، وإنما هو: «إغاثة اللهفان»، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي هريرة، انظر الحديث السادس عشر من هذا الكتاب.

وجعلته أربعين حديثًا اقتداء بمن صنَّف في ذلك من الأئمة قديمًا وحديثًا، ورجاء أن يكون لي نصيب من قوله ﷺ: «**من حَفِظَ على أُمَّتي أَرْبعينَ حدِيثًا مِن سُنَّتي أدخلتُه يومَ القيامةِ في شَفَاعتي**»[1]، رواه ابن النجار عن أبـي سعيد رضي الله عنه، وقوله ﷺ: «**مَنْ حَمل من أُمَّتي أَربعينَ حديثًا بعثَه اللّـه يومَ القيامةِ فَقِيهًا عالمًا**»[2]، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه.

* * *

---

(١) **الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم (٨٦٤٠) ورمز له بالصحة**، قال المُناوي في الفيض في شرحه للحديث: (قال ابن حجر: حديث «من حفظ» ورد في رواية ثلاثة عشر صحابيًّا خرَّجها ابن الجوزي في العلل، بيَّن ضعفها كلها، وأفرده المنذري بجزء، ولخصت القول فيه في الإملاء، ثم جمعت طرقه في جزء، ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة). اهـ.

(٢) **تـنـبـيـه**: حديث: «من حمل...»، أخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم (٨٦٤٩)، ورمز له بـ(عد) أي عند ابن عدي، وليس كما ذكر المصنف من رواية الأربعة له، ولعل الأمر اشتبه عليه، فظن أن رمز (عد) المعني به ابن عدي، هو رمز (ع) أي الأربعة كما هو اصطلاح السيوطي في جامعه الصغير، والله أعلم.

والحاصل: أن الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل من رواية أنس رضي الله عنه ٥/ ١٧١٢ من طريق عمر بن شاكر، قال ابن عدي: (وأحاديثه ـ أي عمر هذا ـ غير محفوظة). انتهى. وقال الذهبـي في الميزان ٣/ ٢٠٣، (٦١٣٥): (بصري واه، له عن أنس نحو عشرين حديثًا مناكير). انتهى.

الحديث الأول

عن عائشة وابن عباس وابن عمر وأبـي هريرة وأنس بن مالك رضـي الله عنهـم، عـن النبـي ﷺ قـال: «اطْلُبـوا الخيـرَ عِنْدَ حِسَـانِ الوُجُوه»[1]، رواه البخاري في التاريخ وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وغيرهم[2].

---

(١) الحديث حسن لغيره لكثرة طرقه، إذ رواه نحو عشرة من الصحابة، وأخرجه كثير من الحفاظ من عدة طرق لا تسلم من علة، وقد أفرد بعض الحفاظ هذا الحديث بتأليف مستقل، منهم السيِّد أحمد الصديق الغماري في جزء سمَّاه: «بلوغ الطالب ما يرجوه»، حكم فيه بحسنه لغيره كما ذكر الدكتور خلدون الأحدب في كتابه: «زوائد تاريخ بغداد»: ٢: ٥٦٠ ــ ٥٧٤، وقد خرَّجه في نحو أربع عشرة صفحة.

(٢) **رواية السيِّدة عائشة**: أخرجها البخاري في التاريخ الكبير ١/ ١/ ١٥٧، في ترجمة محمد بن عبد الرحمن (أبو غرارة) القرشي، زوج جبرة، ترجمة (٤٦٨). وأخـرجهـا البيهقـي فـي «الشعـب»: ٣/ ٢٧٨، حـديـث (٣٥٤١) و (٣٥٤٢)، وأخرجها أبو يعلى في مسنده، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٩٥: (وفيه من لم أعرفهم). انتهى.

رواية ابن عباس: أخرجها الطبراني الكبير ١١/ ٦٧، برقم (١١١١٠)، قال الحافظ في «المجمع» ٨/ ١٩٥: (رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن خراش بن =

وهذا لأنَّ حُسْنَ الصورة يدل على حُسْنِ السَّريرة في الغالب، وما أحسنَ قول القائل:

لقــد قــال الــرَّسُــولُ وقــال حقًّــا   وخيــرُ القــولِ مــا قــالَ الــرسُــولُ
إذا الحــاجــاتُ جَــاءَتْ فــاطْلبُــوهَــا   إلــى مَــنْ وَجْهُــه حســنٌ جميــلُ[1]

= حوشب، وثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات). انتهى.
وأخرجه البيهقي في «الشعب»: ٣/ ٢٧٨، حديث (٣٥٤٣)، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٦٧) في ترجمة سليم بن مسلم الخشاب الجمحي، قال فيه ابن عدي: (هو جهمي خبيث متروك الحديث). اهـ. منه.
وقد أورد الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٩٤ روايات أخرى ضعيفة.
وللتوسُّع في تخريج الحديث: راجع كتاب «زوائد تاريخ بغداد»، للدكتور الأحدب، حديث (٥٧١)، ففيه ما يكفي إن شاء الله.
* **معنى الحديث:**
(الوجه الجميل مَظنَّة لفعل الجميل، وبين الخَلق والخُلُق تناسبٌ قريب غالبًا، فإنه قلَّ صورة حسنة يتبعها نفس رديئة. . . وقيل: أراد حسن الوجه عند طلب الحاجة بدليل أنه قيل (للحبر)، أي ابن عباس: كم من رجل قبيح الوجه قضَّاء للحوائج، قال: إنما نعني حسن الوجه عند طلب الحاجة، أي بشاشته عند سؤاله، وحُسْن الاعتذار عند نواله)، عن «فيض القدير» شرح الحديث (١١٠٧).

(١) هذا البيت للحسين بن عبد الرحمن، كما في «مكارم الأخلاق) لابن أبـي الدنيا ٦٠، واسمه الحسين بن عبد الرحمن الفزاري الاحتياطي يروي عن ابن عيينة، ذكره في الميزان (١٨٨٠): ١/ ٥٠٢. ولحسان أو ابن رواحة رضي الله عنهما في المعنى:
قــــد سمعنـــــا نبينـــــا قــــــال قــــولاً   هــو لمــن يطلــب الحــوائــج راحــهْ
اغتــدوا فــاطلبــوا الحــوائــج ممــن   زيـــن الله وجهــــه بصبـــاحـــــهْ
أخرجه ابن أبـي الدنيا بسنده في (الحوائج) (٥٧): ٥٩.

الحديث الثاني

عن علي بن أبـي طالب كرَّم الله وجهه، عن النبـي ﷺ قال: «**اطْلُبُوا المعْروفَ من رُحَماء أُمَّتي تَعيشُوا في أكْنَافِهِم، ولا تَطْلُبُوه مِنَ القَاسِيةِ قُلُوبُهم فإنَّ اللعنةَ تَنْزِلُ عَلَيهِم.**

يا عليُّ، إنَّ الله تَعَالى خَلَقَ المعرُوفَ وخَلَقَ لهُ أهْلاً فحبَّبه إليهِم وحَبَّبَ إلَيْهِم فِعَالَه، وَوَجَّه إلَيْهِمْ طِلاَبَه كَمَا وجَّه المَاءَ في الأَرْضِ الجدبة لتَحْيَـى بِه ويَحْيَـى بِه أَهْلُها، إنَّ أَهْلَ المَعْرُوفِ في الدُّنيا هُمْ أَهْلُ المعرُوفِ في الآخرة»، رواه الحاكم في المستدرك[1].

---

(١) الحديث عند الحاكم في المستدرك ٤ : ٣٢١، وقال: «**هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه**». وتعقبه الذهبـي في التلخيص بقوله: «الأصبغ بن نباتة واه، وحبان ضعفوه».

وأما آخر الحديث من قوله: «إن أهل المعروف. . .» إلخ، فسيأتي تخريجه في الحديث الرابع والخامس من هذا الكتاب.

*** معنى الحديث:**

قوله: «فإن اللعنة تنزل عليهم»: «قال ابن تيمية: والمراد بهم هنا: اليهود، بقرينـة تصـريحـهم بـأن المـراد هـم فـي آيـة: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وقسـوة القلب من ثمرات المعاصي، وقد وصـف الله اليهـود بهـا فـي غيـر مـوضـع منهـا»، مـن «فيـض القـديـر» حـديـث (١١١٥).

وقوله: «هم أهل المعروف في الآخرة»: «يعني: من بذل المعروف للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة. . .». اهـ. فيض القدير.

الحديث الثالث

عن أبـي سعيد رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ قال: **«إنَّ الله تَعالى جَعَل للمَعْروفِ وجُوهًا مِنْ خَلْقه حَبَّبَ إليهِمْ المعروفَ، وحُبِّبَ إليهم فِعَالُه، وَوَجَّه طُلاَّبَ المعروفِ إليهِم، ويَسَّر عَلَيْهِمْ إعطَاءَهُ كَمَا يسَّر الغَيْثَ إلى الأَرْضِ الجَدْبَةِ لِيُحْيِيَها ويُحيِـيَ به أَهْلَها. وإنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ للمعْرُوفِ أعْداءً مِنْ خَلْقِه، بغَّضَ إليهِم المعْروف، وبغَّضَ إليهم فِعَالَه، وحَظَر عليهم إعطاءَه، كَمَا يَحْظُر الغَيثَ عن الأرْضِ الجَدْبَةِ لِيُهْلِكَها ويُهْلِكَ بِها أهلَهَا»**، رواه ابن أبـي الدنيا[1].

---

(١) **ضعيف**، أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٤)، وفيه أبو هارون العبدي عمارة بن جوين الراوي عن أبي سعيد، قال في الميزان (٦٠١٨): «تابعي ليِّن بمرة، وقال ابن حبان، كان يروي عن أبـي سعيد ما ليس من حديثه». انتهى ٣/ ١٧٣. ورواه الدارقطني في «المستجاد» من رواية أبـي هارون عنه، والحاكم من حديث علي وصححه. انظر: فيض القدير حديث (١٧١٣).

*** من فوائد الحديث:**

(يستفاد منه: أن الله تعالى جعل هذه القلوب أوعية، فخيرها: أوعاها للخير والرشاد، وشرها: أوعاها للبغي والفساد. وقد جعل الله النفس مبدأ كل شيء أبداه في ذات ذي النفس، فإنه تعالى يعطي الخير بواسطة وبغير واسطة، ولا يجري الشر إلاَّ بواسطة نفس ليكون في ذلك حجة لله على خلقه). اهـ. من الفيض.

زاد في نسخة «الحوائج» و «الجامع الصغير» قوله: «**وما يعفو أكثر**»، «أي ومع ذلك فالذي يغفره الله لهم أكثر وأعظم مما يؤاخذهم عليه، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ ». انتهى منه.

الحديث الرابع

عن أبـي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ المعْروفِ في الدُّنيا هُمْ أَهْلُ المعروفِ في الآخِرَةِ، وإِنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الجنةِ دُخُولاً الجنةَ أهلُ المعرُوفِ**»، رواه الطبراني[1].

الحديث الخامس

عن علي وأبـي هريرة وابن عباس وسلمان رضي الله عنهم، عن النبـي ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ المعرُوفِ في الدُّنيا أَهْلُ المعروفِ فِي الآخِرَة، وإِنَّ أَهْلَ المنْكَرِ في الدُّنيا أَهْلُ المنْكَرِ فِي الآخِرَةِ**»، رواه الطبراني وأبو نُعيم والخطيب[2].

---

(١) الحديث عند الطبراني في المعجم الكبير ٨:٢٦١، حديث رقم (٨٠١٥)، قال الحافظ الهيثمي في المجمع ٧:٢٦٣: (رواه الطبراني، وفيهم من لم أعرفهم). انتهى.

* **معنى الحديث:**

قوله: «إن أول أهل الجنة دخولاً»، أي: من أولهم دخولاً. مناوي.

لطيفة: روي أن قومًا من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر، فخرج الإذن لبلال وسلمان وصهيب، فشق على أبـي سفيان وأضرابه، فقال سهيل بن عمرو ــ وكان أعقلهم ــ: إنما أُتينا من قِبَلِكم، دُعوا ودعينا، فأسرعوا وأبطأنا، وهذا باب عمر، فكيف التفاوت في الآخرة! ولئن حسدتموهم على باب عمر... لما أعد لهم في الجنة أكثر. اهـ. مناوي حديث (٢٢٤٥).

(٢) **حديث صحيح لغيره**، لكثرة شواهده وطرقه.

فأما رواية الإمام علي كرم الله وجهه: فهي عند الخطيب في التاريخ ٢:٢٤٤، في ترجمة محمد بن الحسين بن عمران البغدادي، قال الخطيب: (قال فيه أبو سعيد =

. . . .

= الإدريسي: لعله لم يخلف مثله من الكذابين)، ورواه أيضًا في ترجمة علي بن أحمد بن عمر السَّرَخْسي ١١ :٣٢٦، وإسناده تالف.

وأما رواية أبـي هريرة: فهي عند الطبراني في مكارم الأخلاق (١١٤) وفي الأوسـط والصغيـر ١ :٢٦٢ تـرجمـة (الفضـل بـن جعفـر)، قـال فـي المجمـع ٧ :١٦٣: (رواه الطبراني في الصغير والأوسط بإسنادين في أحدهما يحيـى بن خالد بن حيان الرقي، ولم أعرفه ولا ولده أحمد، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي الآخر: المسيب بن واضح؛ قال أبو حاتم: يخطىء كثيرًا، فإذا قيل له ارجع لم يرجع). انتهى. وهي في مسند الشهاب ١/ ١٩٩، وأخرجه الحافظ النرسي (١١) بسند ضعيف.

وأما رواية سَلمان رضي الله عنه: فهي عند الطبراني في الكبير ٦ :٢٤٦ حديث رقم (٦١١٢) وفيه هشام بن لاحق تركه أحمد وقواه النسائي، وبقية رجاله ثقات. مجمع ٧/ ٢٦٣.. وأخرجها الإمام البخاري في الأدب المفرد (٢٢٣)؛ والبيهقي في الشعب ٧/ ٥١٧ برقم (١١١٨١)؛ والعقيلي في «الضعفاء» ٤/ ٣٣٧ وقال نقلاً عن البخاري: هشام بن لاحق المدائني مضطرب الحديث، عنده مناكير، أنكر شبابة أحاديثه.

وأما رواية ابن عباس رضي الله عنهما: فهي عند الطبراني في الكبير ١١ :٥٩ برقم (١١٠٧٨) و ١١ :١٥٣ برقم (١١٤٦٠) وضعفها في «المجمع» ٧/ ٢٦٣.

وللحديث طرق أخرى غير ما ذكر، منها: **رواية أبـي الدرداء** رضي الله عنه عند الخطيب ١٠ :٤٢٠، في ترجمة عبد الملك بن زيد البزاز المدني. **ورواية قبيصة بن بُرْمة الأسدي** رضي الله عنه، عند الطبراني والبزار، والبخاري في الأدب المفـرد (٢٢١). **وروايـة ابـن عمـر** رضـي الله عنهمـا، عنـد البـزار، وفيـه حازم بن محمد قال فيه ابن أبـي حاتم: مجهول، مجمع ٧ :٢٦٢، وعند ابن أبـي الدنيا في قضاء الحوائج (١١٦)، والخطيب في «موضِّح أوهام الجمع والتفريق» ٢ :٦٩. **ورواية أبـي موسى** رضي الله عنه عند الطبراني في الصغير =

الحديث السادس

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صَنَائِعُ المعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، والآفَاتِ والهَلَكاتِ، وأَهْلُ المعْرُوفِ في الدُّنيا هُمْ أَهْلُ المعرُوفِ في الآخِرَة**»، رواه الحاكم(١).

= برجال وثقوا ١:٧٤، ترجمة أحمد بن إبراهيم. **وللمزيد يراجع زوائد تاريخ بغداد للدكتور الأحدب ٢:٩٦ ـ ٩٧**. وهو صحيح عند الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٢٧).

وتمام الحديث عند أبي الدنيا من رواية ابن عمر (١١٦): (. . . **إنَّ الله ليبعث المعروف يوم القيامة في صورة الرجل المسلم فيأتي صاحبه إذا انشقَّ عنه قبره فيمسح عن وجهه التراب ويقول: أبْشر يا وليَّ الله بأمانِ اللّـهِ وكرامته، ولا يهولنَّك ما ترى من أهوال يوم القيامة، فلا يزال يقول له: احذر هذا، واتق هذا، يسكِّن بذلك رَوْعَه، حتى يجاوز به الصراط، فإذا جَاوَزَ به الصراط عَدَلَ وليُّ الله إلى منازله في الجنة، ثم ينثني عنه المعروف، فيتعلَّق به فيقول: يا عبد الله من أنت؟ خذلني الخلائق في أهوال القيامة غيرك، فمن أنت؟ فيقول: أما تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا المعروف الذي عملته في الدنيا، بعثني الله خلقًا لأجازيك به يوم القيامة**). انتهى ص ٩٨.

(١) الحديث عند الحاكم في المستدرك ١:١٢٤ بلفظ: «صنائع المعروف إلى الناس تقي صاحبها مصارع السوء. . .» الحديث، قال الحاكم: «سمعت أبا علي الحافظ يقول: هذا الحديث لم أكتبه إلاَّ عن أبي عبد الله الصفار، ومحمد بن إسحاق وابنه من البصريين لم **نعرفهما** بجرح». انتهى. وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: «وبهذا وبما قبله انحطت رتبة هذا المصنف المسمَّى بالصحيح». انتهى.

والحديث يروى مقطَّعًا عند كثير من المحدثين، فآخره تقدم في الأحاديث السابقة، وهو قوله: «أهل المعروف. . . إلخ»، وأما أوله: فرواه الطبراني من =

الحديث السابع

عن أبـي سعيد رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ قال: «**إنَّ أَحَبَّ عِبادِ اللَّـهِ إِلَى اللَّـهِ مَنْ حُبِّبَ إليهِ المعروف، وحُبِّبَ إليه فِعَالُهُ**»، رواه ابن أبـي الدنيا وأبو الشيخ[1].

= طرق، منها: **حديث أبـي أمامة** بلفظ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السرِّ تطفىء غضبَ الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر». الطبراني في الكبير ٨:٨٦، برقم (٨٠١٤)، قال الهيثمي في المجمع: (إسناده حسن) ٣:١١٥، ورواه الحافظ النَّرسي في ثواب قضاء الحوائج (٧) بسند ضعيف، ومنها: **حديث أمِّ سلمة** رضي الله عنها، رواه الطبراني في المعجم الأوسط. **ويروى عن ابن عباس** عند ابن أبـي الدنيا (٦) رمز لها السيوطي بالصحة في الجامع (٥٠٤٠)، **وعن أبـي سعيد**: عند ابن أبـي الدنيا (٣) والقضاعي ١/٩٣، والنرسي (٤) وإسناده متروك.

*** معنى الحديث:**

يستفاد من الحديث: (تنويهٌ عظيم بفضل المعروف وأهله. . . قال الماوردي: فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يعجله حذرًا من فَوْتِهِ، ويبادر به خيفةَ عَجْزه، ويعتقد أنه من فرص زمانه وغنائم إمكانه، ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه؛ فكم من واثق بقدرة فاتت فأعقبت ندمًا، وقيل: من أضاع الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها). انتهى من فيض القدير ٤/٢٠٦ (٥٠٤٠).

(١) **ضعيف**، وهو عند ابن أبـي الدنيا في الحوائج (٢)، وفيه الوليد ابن شجاع قال في الميزان ٤/٣٣٩ (٩٣٧٤): (صدوق، وقال ابن معين: لا بأس به، وقال ابن حبان: لا يحتج به)، انتهى.

ورمز له السيوطي بالضعف (٢١٧٢)، وأخرجه ابن النجار أيضًا، وأورده الألباني في الضعيفة (٢٨٤٩).

الحديث الثامن

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ للخَيْرِ مَغَالِيقَ للشَّرِّ، وإنَّ مِنَ النَّاسِ ناسًا مَفاتيحَ للشَّرِّ مَغَالِيقَ للخَيرِ، فطُوبىٰ لمنْ جَعَلَ اللَّـهُ مفاتيحَ الخيرِ على يَدَيه، وَوَيْلٌ لِمنْ جَعَلَ اللَّـهُ مَفَاتيحَ الشرِّ عَلَى يَدَيه**»، رواه ابن ماجَهْ[١].

الحديث التاسع

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا اللَّـه قَدَّرتُ الخيرَ والشَّرَّ، فَطُوبَى لِمنْ جَعَلْتُ مَفَاتِيحَ الخيرِ عَلَى يَدَيْه، وَوَيلٌ لِمنْ جَعَلتُ مَفَاتيحَ الشَّرِّ على يديه**»، رواه الطبراني[٢].

---

(١) ابن ماجه ١:٨٦، حديث رقم (٢٣٧). وفيه محمد بن أبي حميد: قال المناوي ٢:٥٢٨: (ومحمد بن أبي حميد هذا قال في الكاشف: ضعفوه، وقال السخاوي: ابن أبي حميد منكر الحديث، وله شاهد مرسل ضعيف). وهو عند الطيالسي، ص ٢٧٧ (٢٠٨٢) من طريقه كذلك.

* **من فوائد الحديث:**

قال الحكيم: فالخير مرضاة الله والشر مسخطة، فإذا رضي الله عن عبد فعلامة رضاه: أن يجعله مفتاحًا للخير، فإذا رؤي ذكر الخير برؤيته، وإن حضر حضر الخير معه، والآخر يتقلب في شر ويعمل شرًا... فهو مفتاح الشر، فصحبة الأول دواء، والثاني داء. فيض القدير ٥٢٨/٢ حديث (٢٤٦٥)، والحكيم هو الترمذي، صاحب نوادر الأصول.

(٢) أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق (٨٤)، قال الحافظ في «المجمع» ٣:١١٥: (رواه الطبراني، وفيه مالك بن يحيى النكري، وهو ضعيف). انتهى. قال في الميزان ٤٢٩/٣ (٧٠٣٣): (تكلم فيه ابن حبان وقال البخاري: في حديثه نظر). انتهى.

الحديث العاشر

عن أُبـي بن كعب رضي الله عنه قال: مرَّ بـي رسول الله ﷺ ومعي رجـل فقـال: «**يَـا أُبـيُّ مَـنْ هـذا الرَّجُـلُ مَعَـك؟**»، قلـت: غريم لي فأنـا ألازمـه، قـال: «فَأَحْسِنْ إليه يَـا أُبـيُّ»، ثـم مضى رسول الله ﷺ لحاجته، ثـم انصـرف علـيَّ وليـس معـي الـرجـل، فقـال: «**مـا فَعَـل غـريمُـك ــ أو أَخُوكَ؟**».

قلت: وما عسى أن يفعل يا رسول الله، تركتُ ثلث مالي عليه لله، وتركت الثلث الثاني لرسول الله، وتركت الباقي لمساعدته إيايَّ على وحدانيته تعالى، فقال ﷺ: «**رحِمَكَ اللّـٰهُ يا أبـيُّ** ــ ثلاث مرات ــ **بِهَذا أُمِرْنَا يَا أُبـي. إنَّ اللّـٰه تَعَالَى جَعَلَ للمعْرُوفِ وُجُوهًا مِنْ خَلْقِهِ حَبَّبَ إليهِم المعروفَ وحَبَّبَ إليهِم فِعالَه، ويَسَّرَ على طُلَّابِ المعرُوفِ طَلَبَهُ إليهِم، ويَسَّرَ عَلَيهِمْ إعْطَاءَه، فَهُمْ كَالغَيثِ يُرْسِلُهُ اللّـٰهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلى الأَرْضِ الجَدْبةِ فَيُحْيِيْها ويُحْيِـيْ بِهِ أهْلَها. وإنَّ اللّـٰهَ جَعَلَ لِلمعْرُوفِ أعداءً مِنْ خَلْقِهِ، بغَّضَ إليهِم المعرُوفَ، وبَغَّضَ إِلَيْهِمْ فِعَاله، وحَظَرَ عَلَى طُلَّابِ المعروفِ طَلَبَهُ إليهِم، وحَظَر عَلَيهِم إعْطَاءَه إياهُم، فَهُم كَالْغَيثِ يَحْبِسُهُ اللّـٰهُ عَزَّ وجَلَّ عَنِ الأرضِ الجدْبةِ، فيُهلِك اللّـٰهُ عزَّ وجلّ الأرضَ وأهلها**»، رواه الطبراني وغيره[1].

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق (١١٨) من طريق حفص بن عمر الحبطي، قال في الميزان (٢١٣٣)، ١/ ٥٦٢: قال يحيـى: ليس بشيء، وقال الأزدي: متروك). انتهى.
وأورده أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» ٢/ ٢٨١ ــ ٢٨٢.

الحديث الحادي عشر

عن جابر رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ قال: «**كلُّ معروفٍ صدقةٌ، وما أَنْفَقَ المسلمُ من نفقةٍ على نفسِه وأهلِه كُتِب له بها صدقةٌ، [وما وقى به عرضَهُ فهو له صدقة]**[1]**، وكُلّ نفقةٍ أنفقها المسلمُ فَعَلى الله خلفُها، واللّـٰهُ ضامنٌ، إلاَّ نفقة في بنيانٍ أو معصيةٍ**»، رواه الحاكم والدارقطني[2].

وقيل لمحمد بن المنكدر: ما وقى به الرجل عرضه، ما معناه؟ قال: أن يعطي الشاعر وذا اللسان المُتَّقى[3].

الحديث الثاني عشر

عـن أبـي مسعـود رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**كـل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة**»، رواه الطبراني[4].

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، والمثبت من نسخة دار الكتب والمصادر المخرِّجة له.

(٢) الحديث في المستدرك ٢: ٥٠، وقال عقبه: «هذا حديث صحيح ولم يخرِّجاه». انتهى. وتعقبه الذهبـي بقوله: «عبد الحميد ضعفوه». انتهى. عبد الحميد هذا؛ هو ابن الحسن الهلالي، قال عنه الحافظ في التقريب (٣٧٥٨): (أبو عمر أو أبو أمية، كوفي سكن الري، صدوق يخطىء). انتهى. وفي الميزان (٤٧٦٩): (ضعفه ابن المديني وأبو زرعة والدارقطني). انتهى. وهو عند الدارقطني ٣: ٢٨، ولم يزد الشيخ شمس الحق العظيم أبادي أن قال في تعليقه عليه: (والحديث له شواهد كثيرة). انتهى.
ومن شواهده: حديث جابر في الأدب المفرد (٢٢٤)، وفي مسند القضاعي ٨٨/١، وأخرج روايته أحمد ٣: ٣٤٤، والترمذي ٤: ٣٤٧ (١٩٧٠) وابن أبـي شيبة، وعند أبـي يعلى (٢٠٨٥).

(٣) أي الذي يُتَّقَى لسانه، وانظر: الترغيب والترهيب للمنذري ٣: ٦٣.

(٤) الحديث عند الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (١١٢) ولفظه فيه: (كل معروف =

الحديث الثالث عشر

عن أبـي ذر رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ قال: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، رواه مسلم[1].

= صدقة، إلى غني أو فقير).

وفيه: صدقة بن موسى الدقيقي، قال الحافظ الذهبـي في الميزان ٢/٣١٢ (٣٨٧٩): (ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه وليس بالقوي). انتهى. وأخرجه كذلك ــ أي الطبراني ــ في المعجم الصغير ١/٣٠، ٢٤٠. أولاهما عن نبيط بن شريط والأخرى عن جابر. وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى (الجامع في آداب المحدث والسامع) للخطيب البغدادي، برقم (٦٣٥٢) من الجامع.

* **من فوائد الحديث:**

(تسمية هذا صدقة من مجاز المشابهة، أي: لهذه الأشياء أجر كأجر الصدقة في الجنس؛ لأن الجمع صادر عن رضا الله مكافأة على طاعته إما في القدر أو الصفة، فيتفاوت بتفاوت مقادير الأعمال وصفاتها وغاياتها. وقيل: معناه أنها صدقة على نفسه.

واستدلَّ بظاهر هذه الأحاديث الكعبـيُّ على أنه ليس في الشرع شيء يباح، بل إما أجر وإما وزر، فمن اشتغل بشيء عن المعصية أجر. قال ابن التين: والجماعة على خلافه). انتهى من فيض القدير شرح الحديث رقم (٦٣٥٢).

(١) الحديث في صحيح مسلم برقم (٢٥٣٩) و (٢٦٢٦).

وهو بهذا اللفظ عند الترمذي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٣٣٦٢)، والحاكم ٤/١٦٦ من حديث أبـي جري الهُجيمي.

فائدة: قال الإمام أبو العباس القرطبـي في المفهم (٦: ٦١٢): (قوله: «ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»، يروى بكسر اللام وياء بعدها، وطلق الوجه: بتسكين اللام بغير ياء، وهما لغتان. يقال: رجل طلق الوجه، وطليق الوجه، وهو =

الحديث الرابع عشر

عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم لا تَسَعون الناسَ بأموالِكم ولكنْ ليسَعْهم منكم بسْطُ الوجه وحُسْنُ الخُلق»** رواه الحاكم والبيهقي[1].

= منبسط الوجه سمْحَه، يقال: طلق وجهه، بضم اللام، وطلُق طلاقة). انتهى.

وفي حديث أبـي جري الهجيمي: قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية، فعلِّمنا شيئًا ينفعنا الله به، فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإيَّاك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة ولا يحبها الله، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه، فإن أجره لك، ووباله على من قاله». رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. انظر: فتح الوهاب للسيِّد أحمد الغماري ٢/١٢٨.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١:١٢٤، وفيه عبد الله بن سعيد المقبري، وهَّاه الذهبـي في «التلخيص»، ورواه الطبراني في المكارم (١٨)، والبيهقي في الشعب برقم (٨٠٥٤) من طريق الطبراني. ورواه أبو يعلى (٦٥٥٠)، **وإسناده ضعيف جدًا**.

*** معنى الحديث:**

أي: لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسِّعوا أخلاقكم لصحبتهم، أخرج العشري في (الأفعال) عن الصولي قال: لو وزنت كلمات المصطفى ـ ﷺ ـ بأحسن كلام الناس لرجحت على ذلك، وهي قوله: (إنكم...) إلخ، وكان العارف إبراهيم بن أدهم يقول: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه ما لا يدركه بماله؛ لأن المال عليه فيه زكاة وصلة أرحام وأشياء أخر، وخلقه ليس عليه فيه شيء. انتهى. فيض القدير ٢/٥٥٧، حديث (٢٠٤٥).

الحديث الخامس عشر

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ معروف صدقة، والدالُّ على الخير كفاعله، والله تعالى يحبُّ إغاثة اللهفان**»، رواه الدارقطني، وابن أبـي الدنيا[1].

---

(١) الحديث عند ابن أبـي الدنيا في قضاء الحوائج برقم (١٤)، وليس فيه (والدال على الخير. . .) إلخ، وهي عنده مستقلة في حديث آخر برقم (٢٧) من حديث أنس بن مالك.
وقد رمز السيوطي في الجامع الصغير لحديث ابن عباس بالضعف، ورقمه (٦٣٥٤) وعزاه للبيهقي، وهو عنده في الشعب برقم (٧٦٥٧)، بنفس اللفظ الذي أورده المصنف. قال المناوي في فيض القدير: (وفيه طلحة بن عمرو، أورده الذهبـي في الضعفاء، وقال: قال أحمد: متروك، وقال الحافظ العراقي: رواه الطبراني في المستجاد من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. والحجاج ضعيف، وقد جاء مفرقًا في أخبار أخر). انتهى من شرح حديث رقم (٦٣٥٤).
وقد أخرج الإمام البخاري أوله في صحيحه برقم (٦٠٢١) باب الأدب من حديث جابر، وكذا الإمام مسلم في الزكاة.
* **معنى الحديث:**
(اللهفان): المتحير في أمره.
فائدة: قال الإمام الماوردي: المعروف نوعان: قول وعمل، فالقول: طيب الكلام وحسن البشر، والتودُّد بجميل القول. والباعث عليه: حسن الخلق ورقة الطبع، لكن لا يسرف فيه فيكون ملقًا مذمومًا، وإن توسط واقتصد فهو به محمود، وفي منثور الحكم: من قلَّ حياؤه قلَّ أحبَّاؤه.
والعمل: بذل الجاه، والإسعاف بالنفس، والمعونة في النائبة، والباعث عليه: حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف ولا لغايتها =

الحديث السادس عشر

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب إغاثة اللهفان**»، رواه البزار وأبو يعلى والطبراني[1].

الحديث السابع عشر

عن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أغاثَ ملهوفًا كَتَبَ الله تعالى له ثلاثًا وسبعين حسنة، واحدة منها يُصْلِحُ الله بها آخرته ودنياه، والباقي في الدرجات**»، رواه أبو يعلى والبزار.

= حد. بخلاف الأولى، فإنها [أي: الأفعال ـ الثانية]، وإن كثرت: أفعال تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر وجميل الذكر، ونفع على المُعان بها في التخفيف والمساعدة، فلذلك سمَّاه هنا «صدقة». انتهى من فيض القدير شرح الحديث رقم (٦٣٥٤).

(١) رواه البزار (كشف الأستار ١٩٥١)، وقال المنذري في الترغيب ١: ١٢٠، رواه البزار من رواية زياد النميري، وقد وثق، وله شواهد. ورواه الطبراني في المكام (٩٥)، وفي إسناده زياد بن ميمون، روى عن أنس ولم يلقه، ذكره الذهبي في الميزان (٢٩٦٧). ورواه أبو يعلى (٤٢٨٠)، بزيادة «الدال على الخير كفاعله»، وفيه زياد بن عبد الله النميري ضعيف. التقريب (٢٠٨٧). ورواه أبو نعيم في «الحلية» ٣: ٤٢ من حديث أبي هريرة، وقال: غريب من حديث ابن عون عن أبي هريرة.

* **معنى الحديث:**

قال المناوي: اللهفان: أي المكروب، وورد في فضل إعانته أخبار وآثار تحمل من له أدنى عقل على بذل الوسع في استفراغ الجهد في المحافظة عليها. انتهى حديث (١٨٦٣).

وزواه البخاري في التاريخ والبيهقي: «**من أغاث ملهوفًا كتب الله له ثلاثًا وسبعين مغفرة، واحدة منها صلاح أمره كله، واثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة**»[1].

الحديث الثامن عشر

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عزَّ وجل خَلقًا خَلقَهم لحوائج الناس، يَفْزَعُ إليهم الناسُ في حوائجهم، أولئك الآمنون غدًا من عذابِ اللّهِ تعالى**»، رواه أبو نُعيم والقضاعي[2].

---

(١) الحديث عند البزار (كشف الأستار ١٩٥٠)، وعند أبي يعلى (٤٢٥٠)، قال في المجمع ٨/ ١٩١): رواه أبو يعلى والبزار، وفي إسنادهما زياد بن أبي حسان وهو متروك). انتهى. ورواية البخاري في الكبير ١/ ٢/ ٣٥٠، والبيهقي برقم (٢٧٦٧٠)، قال المناوي: (قضية تصرُّف المصنف أنَّ البخاري خرَّجه ساكتًا عليه، والأمر بخلافه، فإنه خرَّجه في ترجمة عباس بن عبد الصمد، وقال: هو منكر الحديث. وفي الميزان: وهاه ابن حبان، وقال: حدث عن أنس بنسخة أكثرها موضوع، ثم ساق منها هذا الخبر، وحكم ابن الجوزي بوضعه، وتعقبه المصنف ـ أي السيوطي ـ بأن له شاهدًا). انتهى. فيض القدير حديث (٨٤٨٥).

* **معنى الحديث:**

فيه ترغيب عظيم في الإعانة والإغاثة، قال بعضهم: فضائل الإغاثة لا تسع بيانه الطروس، فإنه يطلق في سائر الأحوال والأزمان والقضايا. انتهى فيض ٦/ ٧٦.

(٢) الحديث في «حلية الأولياء» ٣: ٢٢٥، وقال: هذا حديث غريب من حديث زيد عن ابن عمر لم يروه عنه إلاَّ ابنه عبد الرحمن، في مسند الشهاب (١٠٠٧)، وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري، قال في الميزان ٢/ ٣٨٨ (٤١٩٠): يدلسونه لوهنه، نسبه ابن حبان إلى أنه يضع الحديث. انتهى. ورواه الطبراني في الكبير ١٢: ٣٥٨ (١٣٣٣٤)، قال في المجمع ٨/ ١٩١: فيه شخص ضعفه الجمهور، =

الحديث التاسع عشر

عن ابن عمر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عبادًا استخصَّهم لنفسه لقضاء حوائج الناس وآلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة أجلسوا على منابر من نور يحادثون الله تعالى والناس في الحساب**»، رواه الطبراني وأبو نعيم[1].

= وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

ونقل الغماري في فتح الوهاب ٢/ ١٧٠ عن المنذري قوله: (لو قيل بتحسين سنده لكان ممكنًا، ورواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب من طريق الجهم بن عثمان. . . قال أبو حاتم: مجهول، وله طرق وشواهد). انتهى منه.

وأخرجه ابن أبـي الدنيا (٤٩)، والطبراني في المكارم (٨٢) بسندين ضعيفين.

وللحديث شواهد يتقوى بها، منها: ما أخرجه الحافظ النرسي (٣٠) عن ابن عباس، والخطيب في الموضح ٢/ ٢٥٣ عن السيدة عائشة، والنرسي أيضًا (٤٢) عن علي موقوفًا، ورفعه الخطيب في الموضح وحسنه.

*** معنى الحديث:**

إضافة الحق سبحانه هؤلاء العباد إليه إضافة اختصاص؛ لأنه (خصهم بالنيابة عنه في خلقه، وجعلهم خزائن نعمه الدينية والدنيوية لينفقوا على المحتاجين، فيجب شكر هذه النعمة، ومن شكرها: بذلها للطالبين، وإغاثة الملهوفين لتحفظ أصول النعم، وتثمر الزيادة من المنعم)، فيض القدير ٢/ ٤٧٧ حديث (٢٣٥٠).

(١) رواية الطبراني في الأوسط برقم (٥١٥٨)، وأما رواية أبـي نعيم فليس في الحلية إلاَّ الرواية السابقة برقم (١٨).

وفي إسناده عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي، ولفظ حديث الطبراني كالسابق، ولم أجد لفظ هذا الحديث في معاجم الطبراني الثلاثة ولا في الحلية.

وقريب من لفظ الحديث ما أخرجه في الكبير من حديث أبـي أمامة (٧٥٢٧)، ولفظه: «إن لله عبادًا يجلسهم الله يوم القيامة على منابر من نور، ويغشى =

الحديث العشرون

عن نافع عن ابن عمر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قضى لأخيه حاجة كنتُ واقفًا عند ميزانه، فإن رجح وإلاَّ شفعت**»، رواه أبو نعيم في الحلية[1].

الحديث الحادي والعشرون

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفَّر عنه سبعين سيئة، فإن قُضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإن مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب**»، رواه أبو بكر الخرائطي[2].

= وجوههم النور حتى يفرغ الله من حساب الخلائق». قال في مجمع الزوائد ١٠ :٢٧٧: (رواه الطبراني وإسناده جيد). انتهى. وفي مجمع الزوائد (باب المتحابين في الله عزَّ وجلّ) ج (١٠) أحاديث كثيرة بمعنى الحديث الوارد، لكن في فضل المحبة في الله لا في قضاء الحوائج، والله أعلم.

(١) حلية الأولياء ٦ :٣٥٣، وابن أبـي الدنيا في (قضاء الحوائج) برقم (٢٥)، والمنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي برقم (٤٤).
وفيه: علي بن إبراهيم بن الهيثم البلدي، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١١ :٣٣٦، ترجمة رقم (١٦٧١)، وساق حديثًا بسنده وقال عقبه: (هذا الحديث منكر جدًا، ورجال إسناده كلهم مشهورون بالثقة سوى أبـي الحسن البلدي). انتهى. ولذلك قال الحافظ في اللسان (٥٧١٢): (اتهمه الخطيب).

(٢) الحديث عند أبـي يعلى برقم (٢٧٨٩)، والطبراني في الأوسط (٣٣٧٦).
قال الحافظ الهيثمي في المجمع ٨ :١٩١ (رواه أبو يعلى عن أنس، وفيه: عبد الرحيم بن زيد العمي وهو متروك، وعنه أيضًا أخرج الطبراني أوله في الأوسط ٣ :٢٤٤ (٦٣٣)، وفيه عبد الرحيم المذكور). انتهى. =

الحديث الثاني والعشرون

عن أنس أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «**من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن حج واعتمر**»، رواه الخطيب[1].

الحديث الثالث والعشرون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق، ما بين الخندق والخندق ما بين السماء والأرض**»، رواه أبو نعيم وابن أبي الدنيا[2].

= وهو في مكارم الأخلاق للطبراني (٩٣)، ولم أجده في المطبوع من «المنتقى من مكارم الأخلاق» للخرائطي.

(١) أخرجه الخطيب في التاريخ ٥/٣٣٩ بسند فيه علي بن الحسن الطرسوسي الصوفي، قال في اللسان ٤/٢٥٣ (٥٧٨٦): (وضع حكاية عن الإمام أحمد في تحسين حال الصوفية)، وعده الخطيب من المجهولين. انتهى منه.
وأوره السيوطي في الجامع برقم (٨٩٦٠)، ورمز له بالضعف.
فائدة: (قال حجة الإسلام: وقضاء حوائج الناس له فضل عظيم، والعبد في حقوق الخلق له ثلاث درجات؛ الأولى: أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة، وهو أن يسعى في أغراضهم رفقًا بهم وإدخالاً للسرور عليهم. الثانية: أن ينزل منزلة البهائم والجمادات في حقهم فلا ينلهم خيره لكن يكف عنهم شره. الثالثة: أن ينزل منزلة العقارب والحيات والسباع الضارية، لا يرجى خيره ويتّقى شره، فإن لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة، فاحذر أن تنزل عن درجة الجمادات إلى مراتب العقارب والحيات، فإن رضيت النزول من أعلا عليين فلا ترضَ بالهوي في أسفل سافلين، فلعلك تنجو كفافًا لا لك ولا عليك). انتهى من فيض القدير، حديث (٨٩٦٠).

(٢) رواية أبي نعيم في الحلية ٨/٢٠٠، ورواية ابن أبي الدنيا في الحوائج برقم =

الحديث الرابع والعشرون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قضى لأخيه حاجة كان كمن عبد الله عُمْرهُ»**، رواه البخاري في التاريخ(١).

الحديث الخامس والعشرون

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان وصلةً**

= (٣٥)، وفي إسناد الحديث: عبد العزيز بن أبـي رواد، ذكره الذهبـي في الميزان برقم (٥١٠١)، وأنه ممن يقول بالإرجاء.

وروى الطبراني في الأوسط برقم (٧٣٢٢) حديث: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين»، قال في المجمع ٨/ ١٩١: (وإسناده جيد). انتهى.

(١) التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٢/ ٤٣: (٢٠٨٩) من طريق حميد بن العلاء عن أنس به، قال الحافظ في لسان الميزان (٣٠٢٠) ٢/ ٤٤٥: (حميد بن العلاء عن أنس رضي الله عنه، وعنه: المتوكل بن يحيـى من رواية بقية عنه: لا يصح حديثه، قاله «الأزدي». انتهى. وأنا أخشى أن يكون «الجنيد» تصحف). انتهى.

والحديث عند الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (٨٨) من طريق بقية بن الوليد، وابن أبـي الدنيا في الحوائج برقم (٢٥)، والخطيب في التاريخ ٣/ ٣٣٠، كلهم من طريق بقية هذا، قال في الميزان (١٢٥٠): مدلس.

ورواه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٥٥ من طريق محمد بن الحسن الدهقان، ومن طريقه أيضًا رواه الخطيب في التاريخ ٥/ ٣٣٨، والدهقان هذا قال عنه في لسان الميزان (٧٨٩٠) ٥/ ٣٧٧: (لا يعرف وأتى بخبر موضوع)، وساق هذا الحديث.

ورمز له السيوطي في الجامع بالضعف (٨٩٦١)، قال المناوي: (وأورده ابن الجوزي في الموضوع).

لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في منفعة بر أو تيسير عُسر أعانه الله على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام»، رواه أبو طاهر المقدسي[1].

(١) حديث ابن عمر هذا رواه العقيلي في الضعفاء، وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ٢٩، وفيه عبد الوهاب بن هشام، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلاَّ به.

ويروى من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عند: الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (٣٢)، وفي المعجم الصغير له: ١/ ١٦١، وفي الأوسط برقم (٣٦٠١)، قال الحافظ الهيثمي في المجمع ٨/ ١٩١: (وفيه إبراهيم بن هشام النسائي [كذا في المطبوع من مجمع الزوائد وصوابه، الغسَّاني كما في لسان الميزان رقم (٣٧٣)]، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره). انتهى.

ومن حديث أبي الدرداء عند الطبراني في الأوسط برقم (٣٤٠١)، والبزار في مسنده.

وينظر للاستزادة: فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب للسيد أحمد الغماري ١/ ٤٠٠، وتعليق حمدي السلفي.

ملحوظة: قول المصنف: (رواه أبو طاهر المقدسي)، لعلها زلة قلم، فلا يعرف أحد بهذا الاسم، وإنما هو: أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، توفي سنة ٥٠٧هـ، عالم وإمام شهير، مترجم في كتب الرجال والطبقات، وذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، ٥/ ٢٣٥ برقم (٧٥١١)، وقال عنه: (ليس بالقوي فإنه له أوهام كثيرة في تآليفه)، وعد منها: أطراف الكتب الستة، ونقل عن ابن عساكر قوله: (وقد أخطأ في مواضع منه خطأ فاحشًا). انتهى.

وفي تعليق حمدي السلفي على (فتح الوهاب) للغماري ١/ ٤٠١، على رواية أبي الدرداء عند الطبراني في الكبير والأوسط قال: (وأبو الفضل بن طاهر في الكلام على أحاديث الشهاب). انتهى منه.

الحديث السادس والعشرون

عن مَسْلَمة بن مخلد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن فكَّ عن مكروب كربة فكَّ الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»، رواه الطبراني[1].

---

(١) حديث مسلمة عند الطبراني في الأوسط (٨١٢٩)، قال الهيثمي ٨/ ١٩٣: (وفيه عبد الله بن زحر، وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون، وبقية رجاله ثقات). انتهى، وأوله عنده: (من ستر على مؤمن).

بل الحديث في صحيحي البخاري ومسلم، البخاري برقم (٢٤٤٢) و (٦٩٥١)، ومسلم (٦٥٢١). وقد انتقد المناوي الحافظ السيوطي في جامعه الصغير حيث أورد الحديث (٨٧٤١) وعزاه للطبراني فقط كما فعل المصنف، فقال: (وقضية تصرف المصنف أن ذا مما لم يخرج في أحد الصحيحين ليس كذلك، بل هو في البخاري في المظالم والإكراه، ومسلم في الأدب، وممن رواه أيضًا من الستة: الترمذي في الحدود عن أبي هريرة مرفوعًا، وكذا أبو داود، والنسائي في الرجم). انتهى. حديث (٨٧٤١) من فيض القدير.

* **من فوائد الحديث:**

قال الإمام النووي رحمه الله: (وأما الستر المندوب إليه هنا، فالمراد به: الستر الزائد على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد... فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعدُ متلبس بها: فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها، فإن عجز: لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة). انتهى المراد من شرح مسلم للإمام النووي ٨/ ٣٥١، وفيه فوائد أخرى فلتنظر فيه.

الحديث السابع والعشرون

عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من فرَّج عن أخيه المؤمن كُربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله عزَّ وجلّ في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»**، رواه مسلم[1].

الحديث الثامن والعشرون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله عبادًا اختصَّهم بالنِّعَمِ لِمنافع العباد يقرُّها فيهم ما بَذَلوها، فإذا منعوها حوَّلها منهم وجعلها في غيرهم»**، رواه أبو نعيم والطبراني[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٧٩٣) ولفظ الحديث عنده: **«من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...»**، الحديث.

وباللفظ الذي أورده المصنف رواه القضاعي في مسنده الشهاب برقم (٤٧٦) من حديث أبـي هريرة، انظر: فتح الوهاب للغماري ١/ ٣٨٣. ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الشيخين: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...»، الحديث. البخاري (٢٤٤٢ و ٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠). وله طرق وشواهد كثيرة.

*** من فوائد الحديث:**

قال الإمام النووي: وهو حديث عظيم جامع لأنواع العلوم والقواعد والآداب، ومعنى «نفس كربة»: أزالها. وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك. انتهى من شرح مسلم ٨/ ٢٣.

(٢) الحديث في الحلية ١٠/ ٢١٥، وعند الطبراني في الكبير (١٣٣٣٤)، وفي =

الحديث التاسع والعشرون

عن سَمُرة بن جُندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصدقة صدقة اللسان**».

قيل: يا رسول الله؛ وما صدقة اللسان؟

قال: «**الشفاعة، تفك بها الأسير، وتحقن بها الدم، وتجر بها المعروف إلى أخيك، وتدفع عنه كريهته**»، رواه الطبراني والبيهقي.[1].

= الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٥١٥٨) و (٨٣٤٦)، قال في مجمع الزوائد ٨/ ١٩٢: (وفيه محمد بن حسان السمين، وثقه ابن معين وفيه لين، ولكن شيخه أبو عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي). انتهى.
وهو عند ابن أبـي الدنيا برقم (٥) في قضاء الحوائج، ورمز له السيوطي بالحسن في الجامع الصغير، برقم (٢٣٥٢).

* **من فوائد الحديث:**

قوله: «حوَّلها في غيرهم»: أي لمنعهم الإعطاء للمستحق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فالعاقل الحازم من يستديم النعمة ويداوم على الشكر. من فيض القدير ٢/ ٤٨٧، حديث (٢٣٥٢).

(١) الطبراني في مكارم الأخلاق (١٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٦٨٢) و (٧٦٨٣)، وهو من طريق الحسن عن سمرة، والخلاف في سماع الحسن منه مشهور.
قال في مجمع الزوائد ٨/ ١٩٤: (وفي أبو بكر الهذلي وهو ضعيف). انتهى.
وقال المناوي في الفيض ٢/ ٩٣: (وأقول أيضًا: عند البيهقي: مروان بن جعفر السمري أورده الذهبـي في الضعفاء وقال: قال الأزدي: تكلموا فيه). انتهى.
والحديث في المعجم الكبير للطبراني برقم (٦٩٦٢)، وفي مسند الشهاب للقضاعي برقم (١٢٧٩).
ومعناه واضح.

الحديث الثلاثون

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك، إشباع جوعته، وتنفيس كربته**»، رواه الحارث بن [أبي] أسامة في مسنده[1].

الحديث الحادي والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ قال: «**أن تُدخل على أخيك المسلم سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا**»، رواه الطبراني في مكارم الأخلاق[2].

ورواه أيضًا عن الحسن بن علي ولفظه: «**إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم**».

---

(١) ورواه كذلك الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (١٥٧)، ولفظه: «إن من موجبات المغفرة: إطعام المسلم السغبان، قال الله عزَّ وجل: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ [البلد: ١٤]). انتهى.

وهو عند الحاكم في المستدرك، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي ٢/ ٥٤٢، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج رقم (٣٤) من حديث أنس، ورمز له السيوطي بالضعف، حديث (٢٥٠٠) الجامع الصغير.

(٢) حديث أبي هريرة عند الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (٩١).

وحديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عند الطبراني في الأوسط (٨٢٤١)، والكبير (٢٧٣٨) ولفظه فيه: «**إن من واجب المغفرة**». قال الهيثمي في المجمع ٨/ ١٩٢: (وفيه الجهم بن عثمان ضعَّفوه). انتهى. وهو من حديث عبد الله بن حسين بن الحسن، عن أبيه عن جده الإمام الحسن، قال الهيثمي ٨/ ١٩٣: (وعبد الله هذا من أئمة أهل البيت وعبادهم، روى عن عبد الله بن جعفر وكبار التابعين، وعنه مالك والزهري، وأثنى عليه الكبار). انتهى.

الحديث الثاني والثلاثون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يضعُ الله الرحمة إلاَّ على رحيم**»، قلنا: يا رسول الله؛ كلنا رحيم، قال: «**ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصة، ولكن الذي يرحم المسلمين**»، رواه أبو يعلى والطبراني[1].

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبـي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عزَّ وجلّ: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي**»، رواه ابن عدي في الكامل[2].

الحديث الرابع والثلاثون

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم[3].

---

(١) الحديث عند أبـي يعلى (٤٢٤٢)، باختلاف يسير، وعند الطبراني في مكارم الأخلاق (٤٠)، قال في المجمع ٨/١٧٨: (رواية أبـي يعلى رجالها رجال الثقات، إلاَّ أن ابن إسحاق مدلس، وهو معروف من رواية أبـي نعيم والحلبـي عن خالد بن عمرو، وأظن أنَّ أبان سرقه من أبـي نعيم). انتهى. وهو عند الحكيم في نوادر الأصول ٣٩٤.

(٢) الحديث عند ابن عدي في الكامل ٦ : ١٢٨٩، في ترجمة محمد بن الوليد القلانسي، قال ابن عدي: (وهذا لا أعلم رواه عن الليث غير خالد بن عمرو). انتهى منه، وقال في الميزان (٢٤٤٨): كذبه الفريابـي، ووهاه ابن عدي وغيره. انتهى.

(٣) هذا الحديث هو المشهور عند جماهير المحدثين بحديث الرحمة المسلسل =

الحديث الخامس والثلاثون

عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يَرحم لا يُرحم، ومن لا يَغفر لا يُغفر له**»، رواه الطبراني[1].

= بالأولية، قال الترمذي (٢٩٤٤): حسن صحيح، وأخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٦٠، وأبو داود (٤٩٤١) والحاكم وصححه وأقره الذهبي ٤/ ١٥٩، وجزم ابن العراقي بصحته.

قال السيد عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس ١/ ٩٣: (تداولته الأمة، واعتنى به أهل الصناعة، فقدموه في الرواية على غيره ليتم لهم بذلك التسلسل).

وإني أرويه بحمد الله عن عدد من الأكابر منهم بشرطة، منهم: شيخنا العلّامة الكبير عبد الفتاح أبو غدة، وسيدي الإمام أبي الحسن الندوي، رحمهما الله تعالى، وعن جمع من علماء العصر ومسنديه، وأسانيدهم مفصّلة في أثباتهم كـ(إمداد الفتاح) ثبت سيدي الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وهو كتاب محرَّر ونفيس في فنه طُبِع مؤخرًا، جمعه أخونا الفاضل البحاثة المسند المؤرخ الأستاذ محمد بن عبد الله الرشيد.

وقد أفرده عدد من الحفاظ بأجزاء مستقلة، منهم الحافظ مرتضى الزبيدي بجزء سماه (العروس المجلية)، يقوم بتحقيقه الأخ الفاضل البحاثة الشيخ محمد بن ناصر العجمي، وسيطبع ضمن هذه السلسلة.

(١) الحديث عند الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (٤٤)، والمعجم الكبير برقم (٢٤٧٥) بنفس الإسناد، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بنفس اللفظ برقم (١٩١٤١)، ووثق الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رواية أحمد وسكت عن رواية الطبراني، مجمع ١٠/ ١٩٣، وقال: (رجال أحمد رجال الصحيح). انتهى. وهذا ما جعل المناوي يقول في فيض القدير: (فأفهم ــ أي صنيع الهيثمي ــ أن رجال الطبراني ليسوا كذلك، وقد يقال: لا مانع من كونه صحيحًا =

. . . .

= مع كون رجاله غير رجال الصحيح وقال المنذري: إسناده صحيح). انتهى. شرح الحديث رقم (٩٠٩٤) من الجامع الصغير.

وأوله في صحيح الإمام البخاري في كتاب الأدب برقم (٦٠١٣)، وعند الإمام مسلم في الفضائل ـ باب رحمة النبي الصبيان والعيال برقم (٥٩٨٢)، والترمذي في البر باب رحمة الولد (١٩١١) وكذا أبو داود في الأدب (٥٢١٨) بألفاظ متقاربة. وزاد في المعجم الكبير للطبراني: «ومن لم يتب لا يُتب عليه» رقم (٢٤٧٥).

*** من فوائد الحديث:**

قال الإمام؛ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: (ولا يفهم من هذا أن الرحمة التي وصف الحقُّ بها نفسه هي: رقة وحنوّ كما هي في حقنا؛ لأن ذلك تغير يوجب للمتصف به الحدوث، والله تعالى منزه ومقدس عن ذلك وعن نقيضه الذي هو القسوة والغلظ، وإنما ذلك راجع في حقنا إلى ثمرة تلك الرأفة وفائدتها، وهي: اللطف بالمبتلى والضعيف، والإحسان إليه، وكشف ما هو فيه من البلاء، فإذًا هي في حقه سبحانه وتعالى من صفات الفعل لا من صفات الذات، وهذا كما تقدم في غضبه تعالى ورضاه في غير موطن.

وإذا تقرر هذا، فمن خلق الله تعالى في قلبه هذه الرحمة الحاملة له على الرفق وكَشْف ضر المبتلى فقد رحمه الله تعالى بذلك في الحال، وجعل ذلك علامة على رحمته إياه في المآل، ومن سلب الله ذلك المعنى منه وابتلاه بنقيض ذلك من القسوة والغلظ ولم يلطف بضعيف، ولا أشفق على مبتلى فقد أشقاه الله في الحال وجعل ذلك علمًا على شقوته في المآل، نعوذ بالله من ذلك). انتهى المراد من «المفهم بشرح صحيح مسلم»، للإمام القرطبي، وفيه كلام نفيس فلينظر: ٦/١٠٨، وما بعدها في شرح الحديث رقم (٢٢٢٨ ـ ٢٢٢٩) بترقيم الكتاب.

الحديث السادس والثلاثون

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخلق عيال الله فأحبُّهم إلى اللّـهِ أنفعُهُم لعيالِه**»، رواه أبو يعلى والبزار[1].

الحديث السابع والثلاثون

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**»، رواه القضاعي[2].

---

(١) الحديث عند أبي يعلى (٣٣١٥)، وعند البزار (١٩٤٩)، وفيه يوسف بن عطية أبو سهل الصفار، قال في الميزان (٩٨٧٧): مجمع على ضعفه... وكناه البخاري أبا سهل، وقال: منكر الحديث)، وساق هذا الخبر من مناكيره. ورواه الطبراني في المكارم (٨٧) من طريقه، وكذلك ابن أبي الدنيا في الحوائج (٢٤)، والطبراني في المكارم (٢١٠).

قال في المجمع ٨/ ١٩١: (ويروى عن ابن مسعود بنفس اللفظ عند الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عمير وهو أبو هارون القرشي متروك). انتهى.

* **معنى الحديث:**

قوله: (الخلق عيال الله): أي فقراؤه، وهو الذي يعولهم، قال العسكري: هذا على المجاز والتوسع، فإنه تعالى لما كان المتضمن لأرزاق العباد الكافل بها كان الخلق كعياله، والعادة أن السيد يحب الإحسان إلى عبيده وحاشيته ويجازي عليه. وفيه حث على فضل قضاء حوائج الخلق ونفعهم بما تيسر. انتهى من فيض القدير حديث (٤١٣٥).

وفي المعنى يقول أبو العتاهية:

عيال الله أكرمهم عليه ... أبثهم المكارم في عياله
ولم تر مثنيًا في ذي فعال ... عليه قط أفصح من فعاله

أوردها في الفيض، وفي كشف الخفاء (١٢٢٠).

(٢) الحديث في مسند الشهاب (١٢٣٤)، وفيه عمرو بن بكر السكسكي، قال في =

الحديث الثامن والثلاثون

عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلاَّ بضُعَفَائِكُم بِدَعْوَتِهِمْ وإخْلاَصِهِمْ**»، رواه أبو نعيم في الحلية.

وزاد النسائي: «**بِدَعْوتِهمْ وصَلاَتِهمْ وإخْلاَصِهِمْ**»[1].

= الميزان (٦٣٣٧): (واه، قال ابن حبان: يروي عن الثقات الطامات)، ثم ساق له هذا الحديث. وهو عند الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦)، والصغير ٢/ ٣٥، وفي الأوسط (٥٧٨٣)، وأورده السيوطي في الجامع ورمز له بالحسن (٤٠٤٤).

*** معنى الحديث:**

قال بعضهم: هذا يفيد أن الإمام العادل خير الناس، أي بعد الأنبياء لأن الأمور التي يعم نفعها ويعظم وقعها لا يقوم بها غيره، وبه نفع العباد والبلاد. من فيض القدير ٣/ ٤٨، شرح حديث رقم (٤٠٤٤).

(١) الحديث في الحلية ٨/ ٢٩٠، وسنن النسائي ٦/ ٤٥، وأوله: «إنما ينصر الله هذه الأمة...» الحديث ورواية أخرى عنده من حديث أبـي الدرداء رضي الله عنه في نفس الموضع.

بل الحديث في صحيح الإمام البخاري في كتاب الجهاد برقم (٢٨٩٦) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه، ولم يصرح بالسماع من أبيه عند البخاري فهو مرسل عنده.

لكن ذكر الإمام النووي في رياض الصالحين أن الحافظ البرقاني روى الحديث في صحيحه المستخرج على البخاري متصلاً عن مصعب عن أبيه، وذكر الإمام النووي أن له رواية عند أبـي داود من حديث أبـي الدرداء، رياض الصالحين ١٨٤، حديث (٢٧١).

*** من فوائد الحديث:**

الاستفهام للتقرير، أي ليس النصر وإدرار الرزق لا ببركتهم، فأبرزه في صورة الاستفهام ليدل على مزيد التقرير والتوبيخ، وذلك لأنهم ـ أي الضعفاء ـ أشد =

الحديث التاسع والثلاثون

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى**»، رواه الشيخان البخاري ومسلم.

وفي لفظ لمسلم: «**المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله**»[1].

الحديث الأربعون

عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمِنُ مِرْآةُ المؤمن، المؤمنُ أَخو المؤمنِ حيثُ لَقِيهُ يَكُفُّ عَلَيه ضَيْعتَه ويحفظُه من وَرَائِه ويحُوطُه**»، رواه الطبراني[2].

= إخلاصً في الدعاء وأكثر خضوعًا في العبادة؛ لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا مما يقطع عن الله، فجعلوا همهم واحدًا، فتركت أعمالهم وأجيب دعاؤهم، واستدل الشافعية على ندب إخراج الشيوخ والصبيان في الاستسقاء.
وبين قوله «بدعوتهم»: أنه لا يلزم من الضعف والصعلكة عدم القوة في البدن، ولا عدم القوة في القيام بالأوامر الإلـٰهية، فلا يعارض الأحاديث التي مدح فيها الأقوياء، ولا خبر: «**إن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف**». انتهى من فيض القدير شرح الحديث رقم (٩٥٩١).

(١) حديث النعمان بن بشير عند البخاري، ومسلم (٢٥٨٦) باب تراجم المؤمنين، والرواية الأخرى عند مسلم (٢٥٨٦/ ٦٧).

(٢) الحديث عند الطبراني في مكارم الأخلاق (٩٢) وفيه عبد العزيز بن محمد الدراوردي، قال في الميزان (٥١٢٥): (صدوق من علماء المدينة، وقال أبو حاتم: لا يحتج به). انتهى. وقال الزين العراقي: إسناده جيد، عن فيض =

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلومًا**»، فقال رجل: يا رسول الله؛ أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «**تَحجِزُه أو تَمْنعُه من الظُّلمِ فإنَّ ذَلِك نَصْرُه**»، وفي لفظ: كيف أنصره؟ قال: «**تَأْخُذُ فَوقَ يَدِه**»[1].

* * *

= القدير ٦/ ٢٥٢، وأخرجه أبو داود عن أبـي هريرة في الأدب (باب في النصيحة)، والبزار والقضاعي وابن المبارك في البر. مقاصد (١٢٢٨).

*** معنى الحديث:**

قوله: (مرآة المؤمن. . . إلخ) كل إنسان مشهده عائد عليه، ومن ثم قالوا: من مشهدك يأتيك روح مددك، قال بعض العارفين: كن رداء وقميصًا لأخيك المؤمن، وحطه من ورائه واحفظه في نفسه وعرضه وأهله، فإنك أخوه بالنص القرآني، فاجعله مرآة ترى فيها نفسك، فكما يزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرآة، فأزل عنه كل أذى به عن نفسه. من فيض القدير ٦/ ٢٥٢.

(١) حديث أنس عند البخاري في باب اللقطة (٢٤٤٣) و (٢٤٤٤)، وفي باب الإكراه (٦٩٥٢)، قال الحافظ: قوله: «لا تأخذ فوق يديه» كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكن بالقول، وعبر بالفوقية: إشارة إلى الأخذ والاستعلاء والقوة. . . قال ابن بطال: النصر عند العرب: الإعانة، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم: من تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة. قال ابن المنير: فيه إشارة إلى أن الترك كالفعل في باب الضمان وتحته فروع كثيرة.

لطيفة: ذكر المفضل الضبـي في كتابه «الفاخر»: أن أول من قال (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا) جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، وأراد بذلك ظاهره، وهو ما اعتاده من حمية الجاهلية، لا على ما فسره النبـي ﷺ، وفي ذلك يقول شاعرهم:

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم ... على القوم لم أنصر أخي حين يظلم

انتهى، من فتح الباري ٥/ ٣٨٨.

خَاتِمَة

لا بأس بذكرها هنا تناسب المقام:

روى عبد الرزاق والبيهقي، عن النبي ﷺ قال: «**البِرُّ لا يَبْلَى، والإِثْمُ لا يُنسَى، والدَّيَّانُ لا يموت، فَكُن كما شِئتَ، كَمَا تدينُ تُدانُ**»[1].

وروى إمامنا أحمد عن مالك بن دينار قال: (**مكتوب في التوراة: كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد**)[2].

---

(١) الحديث رواه البيهقي في الشعب برقم (١٠٦٦٤) من حديث أبي الدرداء، والسيوطي في الجامع برقم (٣١٩٩) ورمز له بالحسن.
وقال المناوي: (ووصله أحمد، فرواه في الزهد من هذا الوجه بإثبات أبي الدرداء من قوله، وهو منقطع على وقفه. ورواه أبو نعيم والديلمي مسندًا عن ابن عمر يرفعه، وفيه محمد بن عبد الملك الأنصاري: ضعيف، وحينئذٍ فاقتصار المصنف على رواية إرساله قصور أو تقصير). انتهى.
وقال ابن حجر: له شاهد مرسل خرجه عبد الرزاق عن أبي قلاب يرفعه، قال: ورجاله ثقات. ورواه أحمد في الزهد عن أبي قلابة قال: قال أبو الدرداء فذكره. انتهى من الفيض، حديث (٣١٩٩).

(٢) الزهد للإمام أحمد: ١٥٤، وفي المقاصد: أخرجه البيهقي في الكلام على (الديان) من الأسماء والصفات، وفي الزهد كلاهما له من جهة عبد الرزاق، =

وروى الديلمي في مسند الفردوس، عن النبي ﷺ قال: «**مكتوبٌ في الإنجيلِ: كما تَدينُ تُدانُ، وبالكيلِ الَّذي تكِيلُ بِهِ يُكالُ لك**»[1].

* * *

وفي هذا القدر كفاية وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد، نسأله سبحانه أن يجعلنا ممَّن سمع الموعظة فوعاها بقلب حاضر وعقل سديد، وأن يرزقنا من فضله وإحسانه المزيد، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا، وأن لا يسلِّط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، وأن يقبضنا قبل ظهور الفتن، وأن يرزقنا كل خُلق حسن، مع مزيد فضل ومنن، آمين.

تمَّ بخط مؤلِّفه مرعي الحنبلي المقدسي، خادم الفقراء بالجامع الأزهر في أوائل ذي الحجة من شهور سنة إحدى وثلاثين وألف[2]

* * *

= وكذلك هو في جامعه عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة رفعه به مرسلاً، ووصله أحمد فرواه في الزهد له من هذا الوجه بإثبات أبي الدرداء وجعله من قوله وهو منقطع مع وقفه. انتهى.

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم (٨١٩٨)، وعزاه للديلمي ولفظه: «وبالكيل الذي تكيل به تكتال»، وذكر أنه من حديث فضالة بن عبيد.
قال المناوي: (ظاهر صنيع المصنف أن الديلمي أسنده في مسند الفردوس، وليس كذلك، بل ذكره بغير سند وبيض له). انتهى من الفيض.

(٢) أي قبل وفاته بسنتين.
وزاد رحمه الله العبارة الآتية بخطه: (روى الإمام الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «**تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس أحد عامل عليها خيرًا أو شرًّا إلاَّ** =

= وهي **مخبرة به**» [الطبراني في المعجم الكبير برقم (٢٥٩٦)، من حديث ربيعة الجرشي، وأوله: «**استقيموا ونعمًا إن استقمتم**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٤١: (وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف). انتهى].

هذا، وقد دل العقل والنقل والفطر وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب الأرباب، وطلب مرضاته، **والإحسان إلى خلقه**: من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير. وأضدادها: من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر. فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه.

وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة، وحصول السرور في الدنيا والآخرة في كتابه العزيز على الأعمال، ترتب الجزاء على الشرط، والعلة على المعلول، والمسبب على السبب فقال سبحانه: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات].

وبالجملة فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر، والأحكام الشرعية على الأسباب، بل أحكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما مرتبة على الأسباب والأعمال، **ومن فَقِه هذه المسألة وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع**.

اللَّـهُمَّ انفعنا بما علَّمتنا، ووفِّقنا لما به أمرتنا، واكفنا ما أهمنا، وتوفَّنا على الإسلام وأنت راض عنا، آمين). انتهى ما وجد بخط المصنف.

يقول المعتني غفر الله له:

❑ فرغت من تبييض هذا التخريج في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٢٠ للهجرة بمدينة تريم الغناء مهد العلماء والصالحين بوادي حضرموت من الديار =

= اليمنية، أثناء الدراسة بكلية الشريعة (جامعة الأحقاف)، وأعدت النظر فيها بثغر جُدة تحت نظر أستاذنا الفاضل الشيخ مجد مكي الحلبـي وفقه الله.

❑ وفرغت من مقابلة منسوخة الكتاب على مصورة الأصل الذي بخط المصنف في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة بصحن المطاف، ليلة ٢٨ من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٠ للهجرة النبوية بقراءتي على عالم البحرين شيخنا الفاضل نظام بن محمد صالح يعقوبـي نفع الله به.

❑ كما قام الأخوين الكريمين الشيخ محمد بن ناصر العجمي والشيخ رمزي دمشقية بمقابلة مخطوطة دار الكتب المصرية على نسخة المؤلف في بيروت فجزاهما الله كل خير.

والحمد للّه أوّلاً وآخرًا

وصلّى اللّه على سيّدنا وشفيعنا وقرّة أعيننا محمد ﷺ

وعلى آله الطيّبين الطّاهرين وصحابته والتّابعين

فهرس الأحاديث والآثار

● ● ●

المحتوى

❏ ❏ ❏

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٢٠ - ٢١)

وصية تقي الدين السبكي
لولده محمد

ويليه

مسائل تحليل الحائض
من الإحرام

إملاء

القاضي الإمام شرف الدين أبي القاسم هبة الله ابن البارزي
(المتوفى ٧٣٨ هـ)

اعتنى بهما

نظام محمد صالح يعقوبي

ساهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ بيروت - لبنان

لِقَاءُ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٢٠)

وَصِيَّةُ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ لِوَلَدِهِ مُحَمَّد

بِعِنَايَة
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه تعالى القائل في محكم كتابه وآيات تنزيله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1]، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الأمين القائل: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيَّته»؛ **أما بعد:**

فإنَّ أدب الوصية من الآباء للأبناء من أبواب التأليف والتصنيف المعروفة في تُراث سلفنا رضي الله تعالى عنهم ــ سواء الابن الحقيقي، أو الابن المعنوي وهو التلميذ ــ ومن ذلك وصية الإمام ابن الجوزي لابنه المعروفة باسم «لفتة الكبد في نصيحة الولد»، ووصية أبي الوليد الباجي لِوَلَدَيْهِ، ووصية الإلبيري لولده نظمًا، وهذا من النوع الأول وأعني به وصية الوالد لولده الحقيقي. وأما النوع الثاني ــ أعني وصية الشيخ لتلميذه ــ فيصعب حصره ويشق استقصاؤه لكثرته في تراثنا الخالد، وأشهرها وصية الإمام أبي حامد الغزالي المشهورة بعنوان: «أيها الولد»، ووصية السَّلامي للإمام الذهبي، وغيرها كثير.

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٣.

ومن الوصايا النفيسة ـ من النوع الأول ـ وصية الإمام العلاَّمة تقيّ الدِّين السبكي لولده محمد؛ لمَّا توجَّه قاضيًا للركب وناظرًا له، وضمنها نصائح جليلة وفوائد عزيزة؛ نقدِّمها اليوم ضمن هذه السلسلة، سائلين الله تعالى أن ينفع بها.

تنبيه: تحتوي هذه الوصية على أبيات فيها توسُّلات بالنبي ﷺ على مذهب الإمام تقيّ الدِّين السبكي في جواز ذلك، تبدأ بالبيت **٣٥** وما يليه.

ولا يخفى ما كان بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى من ذلك وتصنيفه كتاب «شفاء السقام».

ومع أننا لا نوافق المصنف رحمه الله تعالى في مذهبه هذا إلاَّ أننا آثرنا أن نبقي الأبيات كما هي للأمانة العلمية والمحافظة على نص المؤلف دون تدخُّل، ولأنَّ العبث بكتب التراث خيانة تفقد الثقة بكتب أئمَّتنا وعلمائنا رحمهم الله تعالى، غفر الله للجميع. آمين.

وصف المخطوطة:

اعتمدتُ في إخراج نَصِّ الوصية على نسخة مخطوطة محفوظة ضمن مجموع في مكتبة جامعة برنستون بأمريكا (مجموعة يهودا)[١].

(١) ذكر هذه الوصية تاج الدين السُّبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» ١٠/ ١٧٧ ـ ١٧٨، وأورد منها تسعة عشر بيتًا فقط على ترتيب مختلف عن نسق المخطوط المعتمد.

وأتقدَّم بشكري الجزيل لإدارة المكتبة لتيسيرها تصوير المخطوطة كعادتهم في حسن المعاملة دائمًا؛ وكذلك السماح بنشرها.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

الفقير إلى الله تعالى

نظام محمد صالح يعقوبي

تجاه الكعبة المشرَّفة بالمسجد الحرام

٢١ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ

ترجمة الناظم
الشيخ تقي الدين السبكي

قال الشيخ جمال الدِّين الإسنوي في كتابه «طبقات الشافعية» مترجمًا لشيخه تقيّ الدِّين السبكي ٢/ ٧٥ ــ ٧٦، ما نصّه:

شيخنا تقيّ الدِّين أبو الحسن، علي بن عبد الكافي بن علي السُّبكي.

كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلامًا في الأشياء الدقيقة، وأجلَدهم على ذلك. إن هطل درّ المقال فهو سَحَابُه، أو اضطرم نار الجدل فهو شِهَابُه، وكان شاعرًا، أديبًا، حسن الخط، وفي غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث، ولو على لسان أحد المستفيدين منه، خيِّرًا، مواظبًا على وظائف العبادات، كثير المروءة، مراعيًا لأرباب البيوت، محافظًا على ترتيب الأيتام في وظائف آبائهم.

وُلِد بسبْك، من أعمال المنوفية، في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وبحث في الفقه على رجل أعمى بسنباط لأنَّ والده كان قاضيًا بها في ذلك الوقت، ثم رحل في صباه إلى القاهرة، فسمع من جماعة كثيرين، وأخذ العلم عن كبار مشايخ أهل الفن.

ثم رحل إلى الإسكندرية، سنة أربع وسبعمائة، ثم إلى الشام في

سنة سبع، ثم استقرَّ بالقاهرة، ودرَّس بالمدرسة المنصورية وغيرها، وتولَّى مشيخة الميعاد بالجامع الطولوني، ولازم الاشتغال والإشغال والتصنيف والإفتاء، وتخرَّج به فضلاء عصره، ولم يزل كذلك إلى العشر الأخير من جمادى الآخرة سنةَ تسع وثلاثين، فتولَّى قضاء الشام عند شغوره بموت الجلال القزويني، فباشر ذلك على ما يليق به، إلاَّ أنه كان يعاب عليه حرصه على جمع الوظائف له ولأهله، «وحبّك للشيء يعمي ويُصمّ».

واستمرَّ إلى سنة ست وخمسين، فمرض بالشام، وسأل استقرار ولده مكانه، فاستقرَّ به، وعاد هو إلى الديار المصرية مريضًا، فسكن على شاطىء النيل قريبًا من جزيرة الفيل، ومات هناك، يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة من السَّنة المذكورة، ودُفِن بمقابر الصوفية خارج باب النصر.

* * *

ترجمة ابن الناظم

محمد بن علي بن عبد الكافي السبكي

هو أبو بكر محمد أكبر أولاد الشيخ تقيّ الدِّين السبكي، لكنه مات قبل أن يكون له شأن، ولم نقف على شيء من أخباره سوى ما جاء في طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ١٧٧ في ترجمة والده علي من أنَّ محمَّدًا هذا كان أكبر أبناء أبيه، وأنَّ أباه خاطبه بقصيدة فيها نصح وإرشاد إلى ما يجب عليه من العناية بالدراسة العلمية[١]، ثم أورد التاج في الطبقات بضعة أبيات من هذه القصيدة.

* * *

(١) البيت السبكي، محمد الصادق حسين، ص ٦٥ ــ ٦٦.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم النبيين محمد وعلى إخوانه والملائكة والآل والصحب أجمعين وبعد فهذه وصية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي لولده محمد حين توجه قاضي وناظر الركب المصري إلى الحجاز سنة عشر وسبعمائة قال

أبنيّ لا تهمل نصيحتي التي ... أوصيك واسمع من مقالي ترشد

احفظ كتاب الله والسنن التي ... صحت وفقه الشافعي محمد

واعلم أصول الفقه علما محكما ... يهديك للبحث الصحيح الأيد

وتعلم النحو الذي يدني الفتى ... من كل فهم في القرآن مسدد

واقصد العلوم بهمة وتفطن ... وقريحة سمحا ذات توقد

واستنبط المكنون من أسرارها ... وابحث عن المعنى الأسد الأرشد

وعليك أرباب العلوم فلا تكن ... في ضبط ما يلقونه بمفند

والزم كتابك دائبا سنعها ... واهجر منامك في طلاب السؤدد

واسلك سبيل الشافعي ومالك ... وأبي حنيفة في العلوم وأحمد

واقصد بعلمك وجه ربك طالبا ... تظفر بنيل الصالحين وتسعد

وتجنب اللهو الذي يزري الفتى ... وذر الخلاعة والمجون مع الردي

واتبع صراط المصطفى في كل ما ... يأتي به من كل أمر تسعد

واخش المهيمن وائتمر بأوامره ... وانته عما نهى وتزهد

وعليك بالورع الصحيح ولا تحم ... حول الحمى واقنت لربك واسجد

وصن اللسان عن الخنا واحم الفؤاد عن الحرام ... وكف عن ظلم اليد

صورة الورقة الأولى من المخطوط

بلد به ازكى البقاع وحيها جدث ليفوح بطيبة الند الندي
جدث يرى في ارض طيبة ثاويا ويحله عند الرفيق الاسعد
جدث ليقوت المادحين بوصفه سعي لكل موجز ومقصد
فيبثوا في كل المنا وبطيبه زال العنا بحلول ذاك المسجد
من ذا يوما يمدح ارضها تدم تعالى فوق اعلا الفرقد
حسبي وحسب المادحين ابانها ولذا الغاية كل مدح كل مجود
الى اجل المصطفى عن مدح الذي والكرم اهلا ذا المشهد
لا يستطيع بلوغ عشر مديحه بشر ولو كل الى بمنصد
يكفيك منه ان يجل الهه عم احتكم بها ثناء تعدد
صلى عليه الله منه تحية يرضى الاله بها لهذا السيد
صلى عليه الله انه ساعة من كل وقت منقض وتجدد
صلى عليه الله خير تحية وابو هاشم راجح او مغتد

تمت الوصية المباركة [illegible] على المؤمنين
وعدد [illegible]
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله
وصحبه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط



لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
(٢٠)

وَصِيَّةُ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ
لِوَلَدِهِ مُحَمَّد

بِعِنَايَة
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على خاتم النبيين محمد، وعلى إخْوانِهِ والملائكةِ والآلِ والصَّحْبِ أجمعين.

وبعد،

فهذه وَصِيَّةُ شيخِنا الإمام العلَّامةِ تقيِّ الدِّين، أبي الحسن علي بن عبد الكافي السُّبكيِّ الشافعيِّ، لِوَلَدِه مُحَمَّدٍ حين تَوَجَّهَ قاضيَ وناظرَ الرَّكْبِ المصريّ إلى الحجاز سنة ست عشرة وسبعمائة فقال:

١ ــ بُنَيَّ لا تُهْمِلْ نصيحتي التي	أوصيكَ واسْمَعْ من مقَالِي تَرْشُدِ
٢ ــ احْفَظْ كتابَ الله والسُّنَنَ الَّتي	صَحَّتْ وفِقْهَ الشافعيِّ مُحَمَّدِ
٣ ــ واعْلَمْ أصُولَ الفِقْهِ عِلْمًا مُحْكمًا	يَهْديكَ لِلْبحْثِ الصَّحيحِ الأَيِّدِ
٤ ــ وَتَعلَّم النَّحْوَ الَّذي يُدْني الفتىٰ	مِنْ كُلِّ فَهْمٍ في القُرانِ مُسَدَّدِ
٥ ــ وخُذِ العُلُومَ بِهِمَّةٍ وتَفَطُّنٍ	وقَريحةٍ سَمْحَاءَ ذاتِ تَوَقُّدِ
٦ ــ واسْتَنْبِطَ المكْنُونَ مِنْ أَسْرارِها	وابْحَثْ عن المعنى الأَسَدِّ الأَرْشدِ
٧ ــ وعليكَ أرْبابَ العلوم فلا تكن	في ضَبْطِ ما يُلْقُونَه بِمُفَنِّدِ
٨ ــ والزم كتابكَ دائمًا مُتفهمًا	واهْجُر منامَكَ في طِلاب السُّؤددِ
٩ ــ واسلُك سبيلَ الشافعي ومالكٍ	وأبي حنيفةَ في العُلُومِ وأَحْمَدِ
١٠ــ واقْصِدْ بِعِلْمِكَ وَجْهَ رَبِّكَ خالِصًا	تَظْفَرْ بِسُبْلِ الصالحينَ وتَهْتَدِ

١١ــ وتجنَّب اللهو الذي يُزْري الفتى وذَرِ الخَلاعةَ والمُجونَ مع الرَّدي

١٢ــ واتبع صراط المُصْطفى في كُلِّ ما يَـأْتـي بـه مـن كُـلِّ أمْـرٍ تَسْعَـدِ

١٣ــ واخْشَ المهيمن وَأتِ ما يدْعُو إلَيْـ ـه وانْتَـهِ عَمَّـا نَهَـى وتَـزَهَّـدِ

١٤ــ وعليكَ بالورع الصحيح ولا تَحُمْ حَوْلَ الحِمى واقْنُتْ لِرَبِّكَ واسْجُدِ

١٥ــ وصُن اللسان عن الخنا واحم الفواد عـن الحـرام وكُـفَّ عـن ظُلْـم اليدِ

١٦ــ ومكـارمَ الأخـلاقِ طُـرًّا فـأْتهـا مهما استطعت ووجهَ رَبِّكَ فاقْصدِ

١٧ــ واجعل شعارك ثوب زُهْدٍ محكم واجعـل دِثَـارك ثـوبَ عِلْـمٍ تـرتـدي

١٨ــ واملأ فـؤادك مـن معـارف ذاتـه حتـى تنـال مـن المقـام الأَحْمَـدِ

١٩ــ واحفـظ سلـوكـك لا تَـزِلّ فـإنـه مـن زل يهـوى فـي الجحيـم ويَبْعُـدِ

٢٠ــ وارْفَـعْ إلـى الـرَّحْمَـنِ كُـلَّ مُلِمَّـةٍ بضـراعـةٍ وتَمَسْكُـنٍ وتَعَبُّـدِ

٢١ــ واقْطَعْ عَنِ الأَسْبابِ قَلْبَك واصْطَبِرْ واشْكُـرْ لِمَـن أوْلاكَ خيـرًا واحْمَـدِ

٢٢ــ وطـريقـةَ الشيـخِ الجُنيـد وَصَحْبِـهِ والسَّـالِكيـنَ طَـرِيقَهُـم بهـمُ اقْتَـدِ

٢٣ــ وإذا أَتَتْـكَ مَقَـالـةٌ قَـدْ خَـالَفَـتْ نَـصَّ الكِتَـابِ أو الحـديـثِ المُسْنَـدِ

٢٤ــ فَقِفْ عند الكتاب[1] ولا تَمِلْ عَنْهُ وقِفْ مُتَـأَدِّبًـا مَـعْ كُـلِّ حَبْـرٍ أَوْحَـدِ

٢٥ــ فَلُحُـومُ أَهْـلِ العِلْـم سُمَّـتْ للجُنـا ةِ عَلَيْهِـمُ فـاحْفَـظْ لِسـانَـك وابْعُـدِ

٢٦ــ واحفـظ فـؤادكَ أن تبُـوحَ بِسـرِّه فَتَظَـلَّ مـن مِحَـنِ الـزَّمـانِ بمَـرْصَـدِ

٢٧ــ فالعِلْمُ والأَدَبُ الجميلُ مع التُّقَىٰ والحِلْمُ أفضلُ ما ارتداه المُرْتدي

٢٨ــ هَـذِي وَصِيَّتـي التـي أُوصِيكَهَـا أكْـرِمْ بهـا مـن والـدٍ مُتَـوِدِّدِ

٢٩ــ وعليـك منـي ذو الجـلال خليفـةً فيمـا أُؤَمِّـلُ مـن جميـل المَقْصِـدِ

٣٠ــ فيقيـكَ كُـلَّ النـائبـات ويصطفـي لـك مـن لَـدُنْـهُ كـلَّ أَمْـرٍ مُسْعِـدِ

---

(١) في الطبقات: «فاقْفُ الكتاب».

٣١ـ ولقد عَزَمْتُ على الحجاز لحجَّةٍ تمحو من الآثام ما اكْتَسَبَتْ يدي
٣٢ـ فلقد جنيتُ وما أقولُ جهالة ولقد عَصَيْتُ بِجُرْأَةٍ وتَعَمُّدِ
٣٣ـ ولقد ركبتُ هوىً وغِبًّا مفرطًا ولقد زَلَلْتُ وما نَسِيتُ تَوعُّدِي
٣٤ـ ولقد ظَلَمْتُ النَّفْسَ كُلَّ ظلامة فيحق لي آتي مقامَ مُحَمَّدِ
٣٥ـ عَلَّ الرسولَ برحمةٍ وتَعَطُّفٍ يَسْتَغْفِر الرَّحْمٰن للقلب الصدي
٣٦ـ وعسى لأجل المصطفى وبجاهه يرضىٰ ويرحمني لِذُلِّي سيِّدي
٣٧ـ فلو أنَّ خَلْقَ اللَّهِ إن ظلموا أتوا هذا الرسولَ لكان أَعْذَبَ مَوْرِدِ
٣٨ـ ولقد ظلمتُ وقد ظلمتُ وقد ظَلَمْتُ وقد أتيتُك يا كريمَ الموعد
٣٩ـ فامنُن عليَّ بتوبةٍ وامنن بخا تمة الهُدىٰ وامنن بفضل تغمُد
٤٠ـ إن أَنْتَ لم ترحَمْ فمن هو راحمٌ أو أنت لم تَغْفِرْ فمن للمعتدي
٤١ـ ومن الذي يا سيِّدي أرجو لما عندي من الأَمْرِ المقيمِ المقعد
٤٢ـ ما لي سوى تعفير خدي في ثرى بلدِ النبيِّ الهاشمي المَحْتِدِ
٤٣ـ في مَوْطِنِ القَدَمِ الشريفِ ومهبط الـ ـوحي الكريم فيا له من معهد
٤٤ـ بَلَدٌ عليه من الجلالة والمهابة والسنا نور يضيءُ لمُتهِمٍ أو مُنْجِدِ
٤٥ـ بَلَدٌ حوىٰ كُلَّ المكارم والمناقب والمحامد والعُلا والسؤدد
٤٦ـ بلدٌ له في الخافقين على العُلا شرفٌ مُنيفٌ فوق سعد الأسعدِ
٤٧ـ بلدٌ إذا شاء الدنو لأجلنا يدنو إلى فوق السماك لمهتدِ
٤٨ـ بلد له ولأَهْلِهِ ولصحبهم عند المليك الحق أصدق مقعدِ
٤٩ـ بلد به جَذْبُ القلوب موكل فلتوبةٍ يشتاق كُلُّ مُوَحِّدِ
٥٠ـ بلد به خيرُ الأنام وأَشْرَف الـ ـرسل الكرام وذو المفاخر في غدِ
٥١ـ بلد الهدى فَبِهَدْيه[1] وبضوئه كُلُّ البرية تستضيءُ وتقتدي

---

(١) في الأصل هنا زيادة: (وبدله)، فلتحرر.

٥٢ـ بلـد بـه أزكـى البقـاع وخيـرهـا جَـدَثٌ يفـوح بطيبـه النـدُ النـدي

٥٣ـ جدثٌ يُرى في أَرْض طيبةَ ثاويًا ومحلـه عنـد الـرفيـق الأَسْعَـدِ

٥٤ـ جـدثٌ يفـوق المـادحيـن فـوصفـه مُعـيٍ لكـل مـوجـز ومُقَصِّـدِ

٥٥ـ فبيثـرب كـل المُنـا وبطيبـة زال العنـا بحلـول ذاك المسجـدِ

٥٦ـ مـن ذا يـؤمـل مـدح أرض مـ ـشتها قدمٌ تعلى فوق أعلى الفرقد

٥٧ـ حسبي وحسب المادحين ترابها ولـذاك غـايـة مـدح كـل مُجَـوِّد

٥٨ـ إني أُجِلُّ المصطفى عن مدحي الـ ـداني وأكـرم أهـلَ ذاك المشهـدِ

٥٩ـ لا يستطيـع بلـوغ عشـر مـديحـه بشـرٌ ولـو كُـلٌّ أتـى بمنضـد

٦٠ـ يكفيـك منـه أن تُجِـلَّ إلـٰهـه ثـم احتكـم مهمـا تشـاءُ تعـدُدِ

٦١ـ صلَّـى عليـه الله منـه تحيـةً يـرضـى الإلـٰـهُ بهـا لهـذا السَّيِّـدِ

٦٢ـ صلَّـى عليـه الله أيَّـةَ سـاعـةٍ مـن كـل وقـت مُنْقَـضٍ ومجـدَّدِ

٦٣ـ صلَّـى عليـه اللَّـهُ خيـر تحيَّـةٍ وأبـرَّهـا مـن رايـح أو مغتـدي

* * *

تمت الوصية المباركة أعاد الله علي من بركة ناظمها وعلى المؤمنين. وعدد أبياتها ثلاثة ونحو ستين بيتًا كتبتها عَجَلاً لضرورة أباحت ذلك، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدي وحبيبي محمد ﷺ، وآله وصحبه وكرم.

علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده العبد الفقير إلى الله تعالى عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله النعمي الحصني أصلاً الشافعي مذهبًا، الأشعري معتقدًا، القادري طريقة. أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة، آمين. وذلك وقت الغروب، والابتداء كان بعد العصر يوم الأحد ثاني رجب الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة بجسر العجل شرقي جامع منجك[1] رحم الله واقفه آمين، والحمد لله وحده[2].

* * *

---

(١) جامع منجك بدمشق في حي الميدان الوسطاني ـ منطقة الجزماتية ـ شيَّده نائب دمشق الأمير ناصر الدِّين محمد بن إبراهيم بن سيف الدِّين منجك الكبير، وذلك سنة ٨١٠هـ، وهو من مساجد العصر المملوكي.
راجع: خطط الشام، أكرم العلبي، ص ٣٥٦؛ مآذن دمشق، قتيبة الشهابي، ص ١٦٩.

(٢) وجاء بالهامش الأيسر هاهنا ما يأتي: «شرحها بعض أكابر علماء الصوفية، وكان في السمصاطية فليطلب».

* * *

• تمَّت المقابلة قبيل أذان العصر بالمسجد الحرام بمكة المكرَّمة ـ حرسها الله ـ بقراءة الأخ المكرم الشيخ رمزي دمشقية حفظه الله تعالى ومتع به وبحضور ولدي أحمد بارك الله فيه. كتبه الفقير إلى الله نظام يعقوبي، ٢٢ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ.



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٢١)



إملاء
القاضي الإمام شرف الدين أبي القاسم هبة الله ابن البارزي
(المتوفى ٧٣٨ هـ)

بعناية
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي خلق فسوَّى وقدَّر فهدى، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الداعي إلى النجاةِ والهُدىٰ، وعلى آله وصحبه شُموسِ النهار وبُدورِ الدُّجىٰ، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ ما طلع فجرٌ وليل سجىٰ!

وبعد: فهذا جزءٌ من تصانيف إمام الشافعية في عصره بلا منازع القاضي الشيخ شرف الدين هبة الله بن البارزي رحمه الله تعالىٰ، أتقرَّبُ إلى الله تعالى بخدمته والعناية به. وكُتُبُ البارزيِّ لم يُطبع منها حتى الآن ـ فيما وقفتُ عليه ـ شيء يُذكر، مع جلالته وإمامته. وإليك شيئًا من ترجمته المباركة:

ترجمة الإمام شرف الدين ابن البارِزِيِّ:

اسمه ونسبه:

هو هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هِبة الله، الجُهنيُّ، قاضي القضاة، شرف الدين ابن البارِزي[1].

(١) البارزي: نسبة إلى باب أبرز إحدى محال بغداد (كذا في تاج العروس وغيره).

ولادته ووفاته:

وُلد في خامس رمضان سنة ٦٤٥هـ بحماه، وتوفي بمدينة حماه أيضًا في وسط ذِي القَعْدَة سنة ٧٣٨هـ.

شيوخه:

سمع من أبيه وجده، والشيخ عِزّ الدين الفارُوثي، والشيخ جمال الدين ابن مالك، وغيرهم.

وأجازه الشيخ عزُّ الدين ابن عبد السلام، والشيخ نجمُ الدين البادَرائي، والحافظ رشيدُ الدين العطّار، وأبو شامة المقدسي، وغيرهم.

منزلته ومكانته:

انتهت إليه مشيخة المذهب الشافعي ببلاد الشام، وقُصد من الأطراف، وكان إمامًا عارفًا بالمذهب، وفنونٍ كثيرة.

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ الذهبيُّ رحمه الله في «المعجم المختص»: «كان عديمَ النظير، له خبرةٌ تامَّةٌ بمتون الأحاديث، وانتهت إليه رياسةُ المذهب».

مؤلفاته:

له تصانيف كثيرة أكثرها مخطوط لم يطبع، نذكر منها:

١ ــ البستان في تفسير القرآن.

٢ ــ الشرعة في القراءات العشر.

٣ ــ تجريد الأصول في أحاديث الرسول (وهو ترتيب واختصار لجامع الأصول لابن الأثير).

٤ ــ الوفا في سرائر المصطفى.

٥ ــ شرح الحاوي الصغير للقزويني في فروع المذهب الشافعي، في أربع مجلدات وسماه: «مفتاح الحاوي».

وقد ذكر مترجموه أنه كان رحمه الله مُعتنيًا بالحاوي عناية تامة.

٦ ــ الناسخ والمنسوخ (مطبوع).

٧ ــ التمييز (في الفقه).

٨ ــ مختصر التنبيه للشيرازي.

(ملخصًا من طبقات الشافعية الكبرى، ١٠/ ٣٨٧ ــ ٣٩١؛ ومعجم المؤلفين لكحالة، ١٣/ ١٣٩ ــ ١٤٠).

موضوع الجزء:

أفرد المصنّفُ رحمه الله في هذا الجزء مسألة مهمة جدًّا تقع للنساء في كُلِّ حجٍّ، وهي مسألةُ المرأة المحرمة التي تحيض قبل أن تطوفَ طواف الإفاضة ولا تستطيع المقام حتى تطهر فتطوف، لأنها تريد الرحيل مع ركبها، فماذا تصنع؟

هذا ما يحاول المصنف رحمه الله حَلَّهُ وإزالةَ الإشكال عنه، ورفع الحرج عن نساءِ الأُمَّة.

وقد أورد هذه المسألة الفقيه الشافعي ابنُ حجر الهيتمي[1] المكي

---

(١) الهيتمي بالتاء المثناة، هو صاحب الحاشية الآتي ذكرها و «الفتاوى الحديثية» و «الفتاوى الفقهية» وهو الفقيه الشافعي المتأخر.
وأما الهيثمي بالثاء المثلثة فهو متقدم عليه وهو صاحب «مجمع الزوائد»، وهو المحدث المشهور نور الدين الهيثمي شيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمهم الله جميعًا، فلا تغلط!

في «حاشيته على الإيضاح» في مناسك الحج للإمام النووي[1] فقال:

«فائدة: كثر كلام الأئمة في نساء الحجيج إذا حِضْنَ قبل طواف الإفاضة ولم يمكنهن التخلُّف لفعله، وللبارزيّ في المسألة كلام حسن طويل. . .»

ثم لخَّص كلام الإمام البارزي الآتي في هذا الجزء.

ثمَّ قال:

«لكن اعترضه اليافعيُّ فقال: عجبتُ من تجويزه السَّفَرَ للحائض قبل طواف الإفاضة مع جلالة علمه[2] وقول الذهبيِّ في حقه: إنه بلغ رُتبة الاجتهاد. والنووي[3]: ليس في هذه البلاد أفقهُ من هذا الشاب. وكان يعرض عليه ما اختصره من «الروضة»[4]. وقد صحَّ قولُه ﷺ لمَّا حاضت صفيَّةُ: «أحابِسَتُنَا هي؟»[5]، يعني عن السَّفَرِ حتى تَطْهُرَ. . هذا خارج عن

(١) (٣٨٧ ــ ٣٨٩)، من طبعة محمود غانم غيث.

(٢) أي: البارزي رحمه الله.

(٣) أي: وقول النووي فيه.

(٤) أي: «روضة الطالبين» للإمام النووي رحمه الله.

(٥) نص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: حَجَجْنا مع النبي ﷺ، فَأَفَضْنَا يوم النحر، فحاضت صفيَّة، فأراد النبي ﷺ منها ما يريدُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ، فَقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّها حائِضٌ. قال: «أَحابِسَتُنَا هي؟»، قالوا: يا رسولَ الله، إنَّها قد أَفَاضَتْ يومَ النحرِ، قال: «اخْرُجُوا».
أخرجه البخاري في: باب الزيارة يوم النحر، وباب إذا حاضت المرأةُ بعدما أفاضت، وباب الإدلاج من المحصب، من كتاب الحج، وفي باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ . . .﴾ من كتاب الطلاق. صحيح البخاري ٢/ ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٣؛ ٧/ ٧٥. =

الكتاب والسنَّة والإجماع والقياس».

وأجاب الهيتمي عن اعتراض اليافعي هذا بقوله:

«ولك أن تقول: لم يقل البارزيُّ: يجوز لها السَّفَرُ بغير طوافٍ؛ وإنما قال: إذا سافرت صبرت حتّىٰ يتعذّر رجوعُها ثُمَّ تتحلل. وليس في ذلك تجويز السفر لها، بل بيان الطريق إلى تحللها إذا سافرت بلا طواف، فحينئذٍ كلامُهُ لم يُخالف الكتابَ ولا غيرَه!

ثُمَّ رأيتُ البُلْقينيَّ استنبطَ مما ذكروه في الإحصار من الطواف أنها إذا لم يمكنها الإقامة حتى تطهر وجاءت بلدها وهي محرمةٌ وعدمت النفقة ولم يمكنها الوصول إلى البيت؛ أنها كالمُحْصَرِ، فتتحلل تَحَلُّلَه. وأيَّده بما في «المجموع»: أنه لو صُدَّ عن طريقٍ ووجدَ آخرَ أطولَ ولم يكن معه ما يكفيه إذا سَلَكَهُ فَلَهُ التَّحَلُّلُ. قال الوليُّ العِراقيُّ: وهو استنباطٌ حَسَنٌ. وبه

= ومسلم في صحيحه في باب وجوب طواف الوداع، من كتاب الحج. صحيح مسلم ٢/ ٩٦٤، ٩٦٥.

كما أخرجه أبو داود، في باب الحائض تخرج بعد الإفاضة، من كتاب المناسك. سنن أبي داود ١/ ٤٦٢.

والترمذي في باب ما جاء في المرأة تحيض بعد الإفاضة، من أبواب الحج. عارضة الأحوذي ٤/ ١٧١.

وابن ماجه في باب الحائض تنفر قبل أن تودع، من كتاب المناسك. سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٢١.

والإمام مالك في باب إفاضة الحائض، من كتاب الحج. الموطأ ١/ ٤١٢، ٤١٣.

والإمام أحمد في المسند ٦/ ٣٨، ٣٩، ٨٢، ٨٥، ٩٩، ١٢٢، ١٦٤، ١٧٥، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٥٣، ٤٣١.

أفتى شيخُ الإسلام فقيه عصره الشرفُ المُناوي، وهو مُؤَيِّدٌ لما قال البارزيُّ، فهو المعتمد.

فإن قُلْتَ: فَقْدُ النَّفَقَةِ لا يجوزُ التحلُّلُ به إلاَّ لِمَنْ شَرَطَهُ[1]، كما صَرَّحوا به؟

قُلْتُ: الظاهرُ أن محل ذلك في التحلُّلِ قبل الوقوفِ، أَمَّا بعده ـ كما هنا ـ فيجوزُ التحلُّلُ بسببه وإنْ لم يَشْتَرِطْهُ.

علىٰ أَنَّ بعضَ الحنابلة نقل عن طائفة من العُلماء ما يُصَرِّحُ بجواز سَفَرِها وتَحلُّلها تَحَلُّلَ المُحْصَرِ.

وإذا علمت ما تَقَرَّرَ؛ فالأليقُ بمحاسن الشريعة أَنَّ من ابتُلِيَتْ بشيءٍ من أحدِ الأقسام الأربعة المذكورة[2] تُقَلِّدُ القائلَ بما لها فيه مَخْلَصٌ. بل اختار بعض الحنابلة وتبعه بعضُ متأخري الشافعية أنه لا يُشترط طُهْرُها إذا لم تتوقع فراغَ حيضها قبل سفر الركب للضَّررِ الشديد بالمقام والرحيل مُحْرِمةً، وأَنَّه يجوزُ لها دخولُ المسجدِ للطوافِ بعدَ إحكام الشَّدِّ والغسل والعَصْبِ، كما تباحُ الصلاةُ لنحو السلس، وأنه لا فديةَ عليها لعُذْرِها.

لكن لا يجوز تقليد القائل بذلك لأنه لم يُعلم من قاله من المجتهدين، وغير المجتهد لا يجوز تقليدُهُ!» انتهى كلام ابن حجر الهيتمي.

أقول: قائل هذا من الحنابلة ـ الذي أخفىٰ الهيتمي رحمه الله

---

(١) أي: اشترط ذلك عند نيته والدخول في نُسكه.

(٢) أي: المذكورة في جزء البارزي، كما سيأتي.

اسمه[١] ــ هو شيخ الإسلام ابن تيميةَ رحمه الله تعالىٰ، وابن تيمية وإن لم يبلغ مرتبة الأئمة الأربعة إلاَّ أنه لا شك في بلوغه درجة الاجتهاد بشهادة أعيان عصره وفقهائهم ومن بعدهم.. وما المانع أن يجتهد العالم في إيجاد الحلول للنوازل الواقعة والمسائل المستحدثة؟! لو لم يفعل فقهاؤنا ذلك لماتَ الفقه والتفقه في الدين وزال واضمحل!!

وشيخ الإسلام ابن تيمية لما أفتى في هذه المسألة، قال بكل تواضع وأمانة رحمه الله:

«هذا هو الذي تَوَجَّه عندي في هذه المسألة، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم. ولولا ضرورة الناس واحتياجهم إليها علمًا وعملاً لما تَجَشَّمْتُ الكلام، حيثُ لم أجد فيها كلامًا لغيري، فإن الاجتهاد عند الضرورةِ مما أَمَرَنا الله به، فإن يكن ما قُلْتُه صوابًا، فهو حكم الله ورسوله، والحمد لله. وإن يكن ما قُلْتُهُ خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من الخطأ. وإن كان المخطىء معفوًا عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم. والحمد لله وحده، وصلَّى الله على محمد وآله وسلّم تسليمًا»[٢].

أقول: وراجع تفصيل فتاواه في هذه المسألة المهمة في «مجموع الفتاوى» ٢٦/ ٢١٩ ــ ٢٤١؛ ٢٤٢ ــ ٢٤٥.

---

(١) وإنما أخفى اسمه لمخالفته له في كثير من مسائل الأصول والفروع!! وانظر: «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» للآلوسي، ويقصد بالأحمدين: ابن تيمية والهيتمي رحمها الله تعالىٰ.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦/ ٢٤١.

وخلاصة رأيه: أنها[١] تفعل ما تقدر عليه[٢] ويسقط عنها ما تعجز عنه، ولا دم عليها ـ في الراجح عنده ـ لأن الواجب إذا تُرِكَ من غير تفريط فلا يجب بتركه الدم.

ونعمَ الرأي رَأْيُهُ رحمه الله، ولا تحتاج المسلمةُ بعد ذلك إلى إعمال بعض الحيل التي ذكرها بعض الفقهاء رحمهم الله جمودًا منهم وتخوفًا من الاجتهاد!!

وصف النسخ وعملي فيها:

اعتمدتُ في إخراج النص على نسخة مخطوطة أصلية محفوظة في خزانة كتبي العامرة حرسها الله تعالى من الشرور والآفات. وقابلتها بنسخة وجدتها ضمن مجموع في مكتبة نيويورك العامة (New York Public Library) أثناء إحدىٰ زياراتي لها، وهي نسخة ناقصة مشوشة، ومع ذلك فقد استفدت من مواضع فيها تراها في الهامش.

هذا وللكتاب نسخ أخرى في المكتبات العالمية، منها نسختان في مكتبة جامعة برنستون ضمن مجموعة يهودا، ولكن لم يتيسر لي في هذه العجالة الوقوف عليهما فنظرة إلى ميسرة، والله الموفق.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قاله وكتبه

خادم العلم بالبحرين

نظام محمد صالح يعقوبي

---

(١) أي: المرأة المحرمة التي حاضت قبل طواف الإفاضة.

(٢) وذلك بأن تغتسل وتَسْتَثْفِر ـ أي تستحفظ ـ ثم تطوف.

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٢١)

مَسَائِلُ تَحْلِيلِ الحَائِضِ مِنَ الإِحْرَامِ

إِمْلَاءُ
القَاضِي الإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ أَبِي القَاسِمِ هِبَةِ اللهِ ابْنِ البَارِزِيِّ
(المتوفى ٧٣٨ هـ)

بِعِنَايَةِ
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى.

مسائل تحليل الحائض من الإحرام، إملاء القاضي الإمام شرف الدين أبـي القاسم هبة الله بن القاضي نجم الدين أبـي حامد عبد الرحيم بن القاضي شمس الدين أبـي الطاهر إبراهيم بن البارزي الشافعي قاضي حماه رحمه الله تعالى، قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

«بُعثتُ بالحنيفية السمحة».

مسألةٌ تقع في الحج كل عامٍ، ويُبتلى بها نساءُ كثيرٍ مِنَ العُلماء والعوامِّ؛ وهي أنَّ المرأة المُحْرِمةَ تحيضُ قبل طواف الرُّكنِ ــ وهو طوافُ الإفاضةِ ــ ، ويرحل الرَّكْبُ قبلَ طوافِها ولا يمكنها المقام.

وفي سنةِ سبعٍ وسبعمائة وقع ذلك لكثيرٍ من نساءِ الأعيان [وغيرهم][1]؛

(١) الزيادة من نسخة نيويورك.

فمنهنَّ من انقطعَ دَمُها يومًا أو أكثرَ لاستعمالِ دواءٍ لذلكَ، وظَنَّت أنَّ الدم لا يعودُ؛ فاغْتَسَلَتْ وطافَتْ، ثُمَّ عادَ الدَّمُ في أيَّام العادة.

ومنهنَّ من انقطع دَمُها يومًا أو أكثر بلا دواء؛ فاغتسلت وطافت، ثُمَّ عاد الدَّم في أيَّام العادةِ.

ومنهنَّ من طافَتْ قبل انقطاع الدَّمِ والاغتسال.

ومنهن من سافرت مع الركبِ قبل الطَّوافِ وكانت قد طافت طواف القدوم وسَعَت بَعْدَهُ.

فهؤلاء أربعةُ أصناف.

فَلَمَّا اشْتَدَّ الأَمْرُ بهنَّ وخِفْنَ أن يحرم تزويجهن[1] وَوَطْءُ المزوجة منهنَّ، ويرجعنَ بلا حجٍّ وقد أتَيْنَ من البلاد البعيدة، وقاسين المشاقَّ الشديدة، وفَارَقْنَ الأوْلادَ والرجال، وخاطَرْنَ بالأَنْفُسِ وأَنْفَقْنَ الأموال، كَثُرَ مِنْهُنَّ السؤال، وقد قارَبَتْ عقولُهُنَّ الزوال: هل من مخرج عن[2] هذا الحرج؟ وهل مع هذه الشدة من فَرَج[3]؟

فَسَأَلْتُ الله تعالى التوفيق والإرشاد إلى ما فيه التيسيرُ على العباد، من مذاهبِ العُلماءِ الأئمةِ، الَّذين جعل [الله][4] اختلافهم رحمةً للأُمَّة.

فَظَهَرَ لي من[5] الجواب، واللَّهُ أعلمُ بالصواب:

---

(١) في نسخة نيويورك: «تزوجهن».

(٢) في نسخة نيويورك: «فرج من».

(٣) في نسخة نيويورك: «وهل مع هذه الشدة والضنا، من أمر يزيل العنا».

(٤) الزيادة من نسخة نيويورك.

(٥) في الأصل: «في». والمثبت من نسخة نيويورك.

أنه يجوز تقليد كل واحدٍ من الأئمة الأربعةِ رضي الله عنهم، ويجوزُ لكل أحدٍ أن يُقَلِّدَ واحدًا منهم في مَسْأَلةٍ ويُقَلِّدُ إمامًا آخرَ في مسألةٍ أُخرى؛ ولا يتعيَّنُ عليه تقليدُ واحدٍ بِعَيْنِهِ في كُلِّ المسائل.

وإذا عُرِف هذا؛ فَيَصِحُّ حَجُّ كُلِّ واحدةٍ من الأصنافِ المذكورة على قولِ بعضِ الأئمةِ.

* أما الصنف الأول والثاني؛ فَيَصِحُّ طوافُهُنَّ في مذهب الإمام الشافعيِّ على أحدِ القَوْلَيْنِ فيما إذا انقطعَ دمُ الحيضِ يَومًا ويَوْمًا؛ فإنَّ يَوْمَ النقاءِ طُهْرٌ على هذا القولِ، ويُعْرَفُ بقولِ التلفيق.

وصَحَّحَهُ من أصحاب الشافعيِّ أبو حامدٍ المحامليُّ في كُتُبِهِ، وسليمان، والشيخ نصر المقدسي، والروياني. واختاره أبو إسحاقَ المروزيُّ، وقَطَعَ به الدارميُّ.

وأَمَّا مذهب الإمام أبـي حنيفة؛ فيصحُّ طوافُهُنَّ؛ لأنَّهُ لا يُشترط عنده ــ في الطواف ــ طهارَةُ الحدثِ ولا النجس، ويَصِحُّ عندَهُ طوافُ الحائض والجنُبِ.

وأمَّا على مذهبِ الإمام مالكٍ، فَيَصِحُّ طوافُهُنَّ؛ لأَنَّ مَذْهَبَهُ أَنَّ النقاءَ في أَيَّام التقطُّعِ طُهْرٌ.

وأما على مذهبِ الإمامِ أحمد؛ فَيَصِحُّ طوافُهُنَّ، لأنَّ مَذْهَبَه في النقاءِ كمذهبِ مالكٍ، وفي اشتراط طهارة الحدث والخبث كمذهبِ أبـي حنيفة، في إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

* وأمَّـا الصِّنْفُ الثـالـثُ[1] فَيَصِـحُّ طـوافُهُـنَّ علـى مَـذْهـبِ الإمـامِ

---

(١) وهن اللاتي طفن قبل انقطاع الدم والاغتسال.

أبي حنيفة، وفي إحدى الروايَتَيْنِ عن الإمام أحمدَ؛ لكن يلزمها ذبح بَدَنةٍ وتأثمُ بدخولها المسجدَ وهي حائضٌ؛ فيقال: لا يحلُّ لكِ دخول المسجدِ وأنت حائض؛ لكن إنْ دَخَلْتِ وطفتِ أَثِمْتِ وصَحَّ طوافُكِ وأَجْزَأَكِ عن الفَرْضِ!

* وأَمَّا الصنف الرابع ــ وهي التي سَافَرتْ من مكة شَرَّفها اللّٰهُ تعالى قبل الطواف ــ ؛ فقد نَقَلَ المِصْرِيُّون[1] عن الإمام مالكٍ: أنَّ مَنْ طافَ طوافَ القُدوم وسعىٰ ورجَعَ إلى بلده قبل طوافِ الإفاضةِ جاهلاً أو ناسيًا، أَجْزَأَهُ عن طوافِ الإفاضةِ.

ونَقَلَ البغداديُّون عن مالكٍ خلافَهُ.

حكى الروايتَيْنِ عن مذهب الإمام مالكٍ رحمه الله القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكيُّ في كتاب «المنهاج في مناسك الحجِّ»، وهو كتابٌ جليل مشهورٌ عند المالكية.

ويَتَخَرَّجُ على روايةِ المصريين عن مالكٍ، سقوط طواف الإفاضةِ عن الحائض التي تَعَذَّرَ عليها الطوافُ والإفاضةُ؛ فإنَّ عُذْرَها أَظْهَرُ من عُذْرِ الجاهل والناسي.

فإن لم يعمل بهذه الرواية أو لم يَصِحَّ التخريجُ المذكور، وأرادت الخروج من محظور الإحرام؛ فعلى قياس أصولِ مذهب الإمام الشافعيِّ وغَيْرِهِ تَصْبِرُ حتى تجاوز مكة بيوم أو يَوْمَيْن بحيث لا يمكنها الرجوع إلى مكة خوفًا على نفسها أو مالها، فتصير حينئذٍ كالمُحْصَرِ، لأنها تتيقن الإحصار لو رجعت إلى مكة.

---

(١) في «حاشية الهيتمي على الإيضاح للنووي»: البصريون، وهو تحريف.

وتَيقُّن الإِحصار كوجود الإِحصار، كما أن تيقُّن الضرب لو خالف الأمر كوجود الضرْبِ في حصول الإِكراه، حتى لو أمره بالطلاق سلطانٌ عَلِمَ من عادته أنَّه يُعاقبُ إذا خولف فَطَلَّق؛ لم يقع طلاقه.

فإذا تقرَّر هذا، وأرادت الخروجَ من الإِحرام فَتَتَحَلَّلُ كما يَتَحَلَّلُ المحصَر، بأن ينوي الخروجَ من الحجِّ؛ حيث عجزت عن الرجوع، وتذبح هناك شاةً تَجزيءُ في الأضحية وتَتَصَدَّقُ بها وتُقَصِّرُ شعر رأسها فتصيرُ حلالاً، ويحل لها جميعُ ما حَرُم عليها بالإِحرام. لكن إن كان إحرامها بحجِّ الفرض بقي في ذمَّتها، فتأتي به في عام آخر.

وإذا صحَّ حجُّها على قول بعض الأئمة المذكورين دون بعض، وأرادت الاحتياط بالخروج عن محظورات الإِحرام، فتتحلَّل كما ذكرنا، والله أعلم.

تمَّ وكمل لله الحمد والمنَّة وبه التوفيق والعصمة[1].

* * *

---

(١) * فرغت من نسخ هذا الجزء قُبيل الفجر وقت السَّحر في ٢١ رمضان ١٤٢٠هـ، بمكة المكرمة حرسها الله تعالى.

* قوبلت بالمسجد الحرام بقراءة الأخ الحبيب المحب في الله، فضيلة الشيخ المحقِّق المدقِّق، محمد بن ناصر العجمي عليَّ، ليلة الجمعة ٢٣ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ بين العشاءين، فصحَّ وثبت والحمد لله أولاً وآخرًا.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

الفقير إلى الله تعالى

نظام محمد صالح يعقوبي

العباسي نسبًا، الشافعي مذهبًا، البحريني مولدًا ومنشأً



الفهـرس

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑